إلى الذين ينتظرون الليل ليعيشوا بأحلامهم

فضلا تذكروا .... أن بعضها لا يكتمل

رواية

ظلمنى الحب

بقلم ١ منة الله سيد

هل الحياة حقا هى المخطئة كما نتهمها دوما فى كل مرة تداهمنا إحدى الكوارث ؟ ، هل هى المسئول الأول و الأخير عن كل ما يحدث لنا من مصائب كما نزعم ؟ ، أم أن ذلك هو مجرد هذيان نتفوه به للهروب من المسئولية ؟ ، أو ربما هو ضعف بداخلنا نحاول إخفاءه بأن نلقى ذنوبنا و أغلاطنا على عاتقها حتى ننأى بأنفسنا عن أى شعور بالذنب قد يتسرب بداخلنا ، و لنستطيع وقتها التلذذ بشعور الضعف و القهر و قلة الحيلة

مهلا !

يجب ألا ننكر أنها تمنحنا فرص كثيرة لنرى وجهها الآخر من النعيم و السعادة ، و لكن وقتها ينتابنا الغباء ! فنرفض تلك الفرص بأقصى كبرياء و أقوى جبروت متعللين بإنتظار ما هو أفضل ، معتقدين أنه الأفضل و أنه سيجلب الراحة و الأمان، و لكن ذلك يكون نتاج تفكير العقل و الذى لا يهمه سوى حسابات مادية عقيمة ، غافلا تماما عن المشاعر و الأحاسيس ، ظانا أن له سلطة على القلب الذى يهدأ فجأة و يخرج من ذلك الصراع ، تاركا العنان للعقل المغرور يفعل ما يريد عله ينجح و لكنه يتمادى فى الخطأ متخذا أبشع القرارات ... وقتها ينهض القلب مرة آخرى معلنا انتهاء فترة الهراء تلك ، و مستعيدا لزمام الأمور مرة آخرى ، و محاولا إصلاح ما أفسده العقل ، و هنا تظهر الأوجاع و المآسى ، و ينتاب الإنسان حالة من الحزن و الكآبة ، لإدراكه حقيقة وضعه و ما فقد ! .... فيتخبط الإنسان و يظلم و كأنها فترة الآثار الجانبية لعمل العقل محل القلب ... و لكن هل يحق للإنسان أن يطلب العفو و السفاح بعدما ظلم من أحب ؟

ربما لا ، و ربما نعم ! .. فللقلب رأى ثان كما كان للعقل القرار الأول

إهداء إلى من ظلمنى يوما بعد أن أحببته

آسيا عزت اللامى

حزن يغتالنى

و هم يقتلنى

و ظلم حبيب يعذبنى

آه

ما هذه الحياة التى كلها

آلام لا تنتهى

و جروح لا تنبرى

و دموع من العين تجرى

نزار قبانى

فى بناية من أرقى بنايات حى مصر الجديدة العريق بالقاهرة بالطابق الرابع ، و تحديدا فى السادسة عصرا، و حول مائدة عريضة تحمل أطباق مليئة بجميع أصناف الطعام الشرقى اللذيذ ، اجتمعت أسرة " عزت اللامى " أحد أشهر كتاب الأدب ذو المكانة المرموقة بأسرة أخيه " عادل اللامى " بعد سنوات لم يلمح فيها أحدهم طرف الاخر يتناولون وجبة الغداء بمنزل "عزت" الذى تحدثت زوجته "عائشة " لتشق ذلك السكون حولهم فتقول بترحيب و ابتسامة بشوشة :والله منورنا يا جماعة

ليجيبها عادل و زوجته " سعاد " قائلين بود : ده نوركم أنتم والله

لتكمل سعاد قائلة بابتسامة و هى تنظر للطعام أمامها : بجد تسلم ايديكى على الأكل الجميل ده ، فيجيبها عزت قائلا بابتسامة عريضة : بألف هنا و شفا على قلوبكم

بادلتها عائشة الاشادة بمذاق طعامها هى الآخرى ليستمروا لعدة دقائق فى التحيات و التى غالبا ما يكثرمنها الكبار فى مثل تلك العزائم ، و لكن دعونا نجفل تلك الاشادات و نتابع حرب خامدة تدور بهدوء على الجانب الاخر من المائدة ، فعلى الجانب اليمين لسعاد جلس ابنها " يوسف " و بجانبه أيضا جلست زوجته "رانيا" والتى لم يلتفت لها منذ وطئت أقدامهم أرض تلك البناية و انما كانت نظراته منصبة على حركات تلك المتوترة التى اجبرها حظها التعيس على الجلوس أمامه مباشرة ، ليلحظ كل خلجة من خلجاتها ، و يصيبها ذلك بالتوتر أكثر مما جعلها تستمر لأكثرمن نصف الوقت تقريبا تقوم بصب جام غيظها على قطعة لحم مسكينة قطعتها تقريبا لألف قطعة و مع ذلك لم تلتهم منها سوى قطعة واحدة وعلى مضض مما جعل أختها توكزها بخفة دون أن يلحظ أحد قائلة بهمس : آسيا كلى بقى بقالك ساعة بتقطعى

أومأت برأسها و أوشكت على الشروع فى التهام الطعام حينما تلاقت أعينهم للحظة فأشاحت بوجهها سريعا لتعاود النظر فى طبقها وقد شعرت أن ضربات قلبها ازدادت بشدة حتى ظنت أنه سيخرج من موضعه ، فلقد اشتاقت لتلك العيون كثيرا و زاد شعورها بالحنين اليه و لكن خمد هذا الحنين فجأة بمجرد سماعها للمدعوة " رانيا " و هى تقول بصوت يملؤه الحنان و تمسك بيد زوجها قائلة : يوسف حبيبى مبتاكلش ليه و زاد شعورها بالغيرة ابتسامته لها و تربيته على يدها و شروعه فى الطعام و كأنه يجهل وجودها أمامه ، و كأنه لا يعلم تأثير رؤيتها لهم يتعاملون بتلك الطريقة على قلبها الضعيف ، ظلت تشعر بالغليان الذى لم يقل نسبيا الا عندما سمعت عمها "عادل يقول " سفرة دايمة يا جماعة " لينهضوا بعد وجبة الغداء تلك التى شعرت أنها استمرت لأكثر من نصف قرن و ليس نصف ساعة

توجه الجميع الى غرفة الصالون فى حين دخلت آسيا و رغدة الى المطبخ لتحضير الشاى للجميع ، حين قالت رغدة و هى تضع السكر فى الأكواب موجهة حديثها لأختها المشغولة بتقطيع الكعك : آسيا افردى وشك و الا رانيا هتاخد بالها

أجابتها آسيا بغيظ مكتوم و قد تركت ما بيدها : رغدة أنا ماسكة نفسى بالعافية كفاية أصلا انى رضيت أقابلهم

انتهت رغدة من تقليب الشاى فى الأكواب ثم اقتربت من أختها و نظرت لها بشفقة ثم قالت بحنان : طيب يلا هم شوية و يمشوا متضايقيش نفسك

خرجت كلتاهما من المطبخ يحملان الشاى و الكعك وتوجهوا بها الى الصالون ، قدمت رغدة الشاى و تلتها آسيا التى كانت تنظر أرضا معظم الوقت خوفا من أن تتلاقى النظرات مرة آخرى ، تحدث عزت بتساؤل موجها حديثه لأخيه قائلا : صحتك أخبارها ايه دلوقتى يا عادل ؟

أجابه عادل و هو يلوك الكعك فى فمه قائلا: الحمد لله أحسن ، سعاد واخدة بالها منى و من مواعيد الدوا كويس

قال عزت برضا و هو يهز رأسه : ربنا يديك الصحة و طولة العمر و تشوف أحفادك

كانت هذه الدعوة مثل الغصة التى توقفت فى حلقه ليتوقف عن ارتشاف الشاى و تعاجله زوجته بكوب الماء لتوقف تلك السعلة التى باغتته فجأة ، بينما علمت آسيا سبب سعلته المفاجأة فنظرت اليه بتشفى ثم شعرت بغليان الدم يسرى فى عروقها عندما رأت زوجته قد قامت من مجلسها و وقفت تربت على ظهره بحنان و قد مالت عليه و جلست على طرف مقعده قائلة : سلامتك يا قلبى

بعد دقائق قالت عائشة بابتسامة عريضة موجهة حديثها لزوجها : قلتلهم يا عزت

قال عزت و قد تذكر للتو ما ترنو اليه موجها حديثه للجميع : صحيح ..آسيا بنتى جالها عريس

سأله عادل بفضول قائلا : مين يا عزت حد نعرفه ؟

أجابه عزت قائلا : ابن واحد صاحبى .. أعتقد تعرفه يا عادل .." مختار جميل " صاحب دار النشر الى بشتغل معاها .. ابنه بيشتغل طيار" يس"

قال عادل بابتسامة موجها حديثه لآسيا : و أنتى ايه رأيك يا بنتى ؟

شعرت بأن الفرصة قد سنحت لها لتذيقه من كأس الغيرة االذى تتجرع هى منه و قالت بمرح مصطنع و لكنها أتقنت تمثيله : الى بابا يشوفه يا عمى

كلمات مقتضبة كان لها تأثيرات مختلفة على الجالسين منهم من شعر بالفرح و منهم من شعر بالغيرة و لكن الأكيد أنها شعرت بالفخر الشديد و الأنتشاء لكلمات والدها خاصة عندما رأت حركة قدمه المتوترة و جحوظ عينيه و نظرات الغيرة التى تنطق على وجهه

تحدثت زوجته قائلة بابتسامة مصطنعة و هى تنظر لها بعلو : مبروك يا آسيا

أجابتها آسيا بنفس البرود و نفس الابتسامة الجامدة : ميرسى

انتهت تلك الزيارة بحلوها و مرها و عادوا الى بيوتهم يحمل كلا منهم ما يحمل بقلبه ، و دلفت هى مسرعة الى غرفتها تلتقط أنفاسها التى كتمتها طوال فترة وجودهم ،فى حين قالت رغدة لأمها بهدوء و هى تحمل حقيبتها : يلا يا ماما انا هصحى محمود بقى عشان نمشى

التفتت لها عائشة قائلة برجاء : ما تخليكى يا رغدة يا بنتى بايتة معانا أنا ملحقتش أشبع من محمود

قالت رغدة معتذرة : معلش يا ماما لازم نروح عشان خالد لما يتصل فى البيت يلاقينا و ميقلقش علينا و بعدين مانا بجيلك كل يوم يا ست الكل

حينما وجدتها عائشة مصرة على الذهاب تركتها و دخلت غرفتها لتوقظ طفلها محمود ليذهب معها ، بينما نظرت رغدة حولها تبحث عن آسيا فلم تجدها فتأكدت من أنها دلفت لغرفتها تختبىء بها

طرقات على باب غرفتها من الخارج جعلتها تعتدل فى مجلسها و تقول بهدوء : ادخل ، فتح الباب و طلت رغدة منه برأسها فقط قائلة بدعابة : طب سلمى عليا طيب ، و لا امسكى فيا أبات معاكى حتى ؟

تبسمت آسيا بهدوء و أشارت لها بالدخول قائلة : مانا عارفة انك لازم تروحى عشان خالد

أغلقت رغدة الباب و جلست بجوارها على طرف الفراش و قد شعرت بالحزن فى نبرة أختها فقالت بتساؤل : امم و أنتى مش هتفكى بقى ؟

فرت دمعة هاربة على وجنتها فمسحتها رغدة بيدها بحنان و قالت : مش هننسى بقى ولا ايه يا آسيا !

لم تستطع آسيا أن تمنع دموعها من الهطول فأمام رغدة يظهر ضعفها بالكامل فارتمت فى حضنها و قالت من وسط دموعها : مش قادرة يا رغدة كنت فاكرة نفسى نسيت لكن لما شفته رجعت افتكرت كل حاجة و غصب عنى حنيت

ظلت رغدة تمسح على شعرها بحنان وهى تقول : ده بيتهيألك يا حبيبتى عشان بس أول مرة تشوفيه من ساعتها لكن خلاص يا آسيا صدقينى يوسف خرج من جواكى أو يعنى محتاج زقة صغيرة و يخرج

أخرجتها رغدة من حضنها و نظرت لها فى عينيها و قالت بثقة : متعيطيش على حد ميستاهلش دموعك دى أبدا ، بكرة تحبى غيره حد يستاهلك و تبنوا حياتكم سوا و يوسف ده هيبقى مجرد ماضى و اندفن ، ماضى حتى مش هتحبى تفتكريه حتى ولو بينك و بين نفسك

أومأت آسيا برأسها و قد أراحتها كلمات رغدة قليلا ، فمسحت رغدة دموعها بيدها و قالت بحزم : مش عاوزة أشوف دموعك تانى

خرجتا سويا من الغرفة و حملت رغدة طفلها و قبلت أمها و صافحتها ثم صافحت آسيا و قالت لها بصوت منخفض للغاية : عاوزاكى تجيلى بكرة بعد ما تخلصى شغلك

أومأت آسيا برأسها و قبلتها هى و طفلها الصغير ثم انصرفت رغدة الى بيتها بصحبة والدها الذى أصر على توصيلها بنفسه

****

كانت تضع لمسات الزينة الأخيرة على وجهها أمام المرآة التى تنظر له منها بغيظ و حنق ، فمنذ أن خرجوا من بيت عمه و هو لم ينطق معها بحرف ولم تلق منه أية التفاتة و لو بالصدفة، فقط تراه شاردا و أمارات الغضب مرسومة بدقة على وجهه الأسمر، قررت أن تقطع هذا الصمت فقالت و هى تصفف شعرها و نظرها مثبت عليه : مالك يا يوسف ؟

لم يسمعها من الأساس ليجيب فقررت أن تجعله ينتبه لها فقالت بمكر: ايه رأيك فى عريس آسيا ؟

التفت لها بكل جسده عندما سمع اسمها فقال بتساؤل و صوت يشوبه الضيق : هو أنا كنت شوفته عشان تسألينى رأيى ايه ؟

أجابته بنفس النبرة الماكرة و قد انتهت من تصفيف شعرها و مازالت تراقبه بالمرآة : لا عادى من الكلام الى سمعناه من عمك يعنى

زفر بغضب قائلا : بقولك ايه يا رانيا ملناش بالموضوع ده خالص ، قالها و نهض من الفراش و اتجه الى النافذة و فتحها ليملأ رئتيه بالهواء عله يهدأ قليلا او يهدأ ذلك الثائر فى صدره

نظرت له بحزن و قد تأكدت من حبه لآسيا و الذى لم ينتهى بمجرد زواجه منها ، و لكن قررت أن تواجهه فقامت من مجلسها و قد ألقت نظرة رضا عن نفسها بالمرآة ، ثم اتجهت نحوه ووقفت بجانبه ووضعت يدها على كتفه و قالت بلوعة : للدرجة دى بتحبها يا يوسف و مش قادر تنساها ؟

زفر بحنق و أشاح بوجهه بعيدا فلمعت عيناها بالدموع و قالت بقهر : للدرجة دى مش شايفنى خالص

كان يشعر أنه غير قادر على الحديث أو التبرير فيكفيه ما سمع ببيت عمه فكان يريد أن ينهى تلك الليلة فقال بهدوء يناقض ما يعتمل بصدره : رانيا حبيبتى ممكن تشيلى من دماغك كل الأوهام دى ...وضع يديه على كتفيها العاريتين من غلالتها المغوية و قال بحنان : أنا مضايق ومضغوط شوية فى الشغل مش أكتر، و لا فى دماغى آسيا و لا غيرها

ادعت تصديقه فهى لا تستطيع فعل شىء غير ذلك فهو مهما فعل سيظل زوجها و حبها الوحيد الذى تزوجته بارادتها و لا تريد أبدا ان تخسره ففضلت الصمت و مجاراته فى تمثيل دور المتزوجين تلك الليلة عل ذلك ينسيها قليلا نظراته لآسيا و تقنع نفسها بالفعل لا القول أنها هى فقط زوجته الليلة و كل ليلة ، فأحيانا نضطر للصمت و عدم المواجهة و البوح بما يعتمل فى صدورنا حتى لا نفتح النيران و نجرح أنفسنا بالحقيقة التى نعلمها جيدا و نعلم أثر البوح بها

****

فى مكان آخر كانت تجلس بجانب طفلها تلعب معه بألعابه و هى تتثاءب ،فالساعة الآن الحادية عشر و هى تريد النوم بشدة و لكن لا يمكن أن تنام قبل أن يهاتفها خالد ، ولكنه اليوم تأخر فى الإتصال و لا تعرف السبب لذلك ..قطع عليها أفكارها

صوت رنين هاتف المنزل فهرولت مسرعة تلتقطه لتجده رقم خالد فابتسمت تلقائيا ثم أجابت على الفورقائلة بحب:حبيبى وحشتنى

رد خالد ببرود قائلا :و أنتى كمان ، عاملة إيه؟

أجابته رغدة بلهفة :الحمد لله يا حبيبى

تحدث خالد بنفس النبرة الجامدة قائلا :محمود عامل إيه؟

ردت رغدة بسرعة قائلة :الحمد لله كويس بس أنت وحشته أوى

أجابها خالد بنبرة يشوبها الضيق:هو كمان وحشنى و نفسى أشوفه

رغدة و قد انتبهت الآن لجموده معها وأدركت سبب ضيقه فقالت بترقب : أنت هتنزل إجازة إمتى يا حبيبى؟

أجابها خالد بحنق :ربنا يسهل بس أكيد مش دلوقتى على الأقل كمان كام شهر كده لأن الشغل كتير و مقدرش أسيبهم و أنزل

سألته بتردد قائلة :خالد أنت لسه زعلان منى؟

أجابها خالد بتهكم قائلا :لسه واخدة بالك؟

حاولت رغدة الحديث و شرح موقفها قائلة :خالد يا حبيبى أنت عارف إن

قاطعها خالد قائلا بنبرة غاضبة:خلاص يا رغدة أنا مضطر أقفل عشان أنام عندى شغل الصبح و لازم أصحى بدرى

سألته بحزن قائلة :طيب يا خالد ،بس مش عاوز تكلم محمود ؟

أجابها و قد هدأت نبرته قليلا :هبقى أكلمكو الصبح و أطمن عليه

قالت باستسلام:حاضر زى ما تحب

أغلقت الخط ووضعت سماعة الهاتف مكانها وعادت للجلوس بجانب محمود أرضا تكمل اللعب معه و قد فقدت رغبتها فى النوم

و رغما عنها سقطت دموعها الحارقة على وجهها فى صمت ، ثم حملت محمود و التقطت معها لعبة من ألعابه متجهة إلى غرفة النوم، وضعت طفلها على الفراش و وضعت لعبته بجانبه و استلقت هى الآخرى و تدثرت معه بالغطاء جيدا

بينما كان يلعب كانت هى تتأمله ، فكم يشبه والده الذى تركها و سافر ليعمل فى بلد عربى ليجنى راتب كبير و يكون قادر على رفع مستواهم المعيشى وسط هذا الغلاء

و لكن ثمن هذه الغربة و هذا الراتب الكبير هو تشتتهم و بعدهم عن بعض و حرمانها هى و طفلها منه ؛ ذلك الطفل ذو الثلاث سنوات الذى بدأ يخطو أولى خطواته دون أن يكون والده معه ، فدائما ما يكون ثمن الغربة غال يدفعه المغترب من صحته و حياته و قربه من أهله.... تقلبت على الفراش عندما تذكرت المكالمة الأخيرة التى دارت بينهم و التى طلب فيها خالد منها مثل كل مرة أن تأتى إليه و تعيش معه و لكنها رفضت كالعادة بسبب أنها لا تقدر أن تعيش فى بلد آخرى غريبة عنها و تبعد عن أمها و أسرتها فغضب منها و صرخ فيها أنه يريد أنه من حقه أن يرى إبنه و يعيش معه .. ولكن كالعادة تنتهى المكالمة بينهما دون الوصول الى حل يرضى كليهما

توقفت عند تلك المحطة من الذكريات فأوقفت قطارها و مسحت دموعها ، نظرت لمحمود فوجدته قد غط فى نوم عميق فأخذت اللعبة من يده برفق ووضعتها جانبا و دثرته جيدا بالغطاء ، ثم قبلته فى جبهته و مسحت على وجهه برفق ،ونامت هى الآخرى

***

أشرقت شمس يوم جديد فى حياة أبطالنا ، فمهما كان الحزن الكامن بقلوبنا و مهما كان الأسى الذى نحياه ، فالشمس ستشرق و سيطل علينا يوم جديد رغم أنوفنا جميعا ، عله يكون يوم لبداية جديدة أو ربما حياة آخرى ... و لكن هل عندما تواتينا أحد الفرص هل سنستغلها على الوجه الأكمل ؟ .. أم سنرفض و نتشبث بالماضى رافضين خروجه من صدورنا و عقولنا عله يعود ... و كان ذلك هو ما يدور بخلدها فى ذلك الوقت من الصباح...

كانوا ملتفين حول المائدة يتناولون الفطور فى هدوء ، عندما تحدثت عائشة موجهة حديثها لعزت المنشغل بتصفح الجريدة و قالت : هتتفق انهاردة مع مختار صاحبك و تحددوا معاد لقراية الفاتحة ؟

توقف الطعام فى حلقها و نقلت نظرها بين أمها التى تتحدث بتحفز ووالدها المنشغل بتقليب صفحات الجريدة حين قال : ان شاء الله هبلغه الرد انهاردة عشان نقرأ الفاتحة

ابتسمت عائشة فى سعادة و تحفزت لتتناول الفطور بشهية حين قالت آسيا بحذر : بصراحة أنا فكرت فى الموضوع و لقيت انى مش مستعدة لموضوع الجواز ده دلوقتى خالص

انتبه عزت لكلامها و توقف عن القراءة و توقفت زوجته عن تناول الفطور بعدما أفسدت شهيتها و نظروا لها باستنكار فليلة البارحة لم يمضى عليها وقتا كثيرا حين أعلنت موافقتها أمام الجميع و الآن تعلن رفضها و بكل بساطة

تحدثت عائشة بنزق قائلة : ايه الى جرالك يا بنت ؟ مش امبارح قلتى انك موافقة قدام الكل ... بين يوم و ليلة كده تغيرى رأيك !

قطع عزت صمته و متابعته للحديث من بعيد فقال لها بلوم : مش تشوفيه الأول و تقعدى معاه و بعدين تحكمى يا بنتى !

التقطت آسيا حقيبتها و نهضت قائلة لوالدها : بعد أذنك يا بابا أنا رافضة المبدأ نفسه و مش مؤهلة للارتباط حاليا .. عن اذنكم

قالتها و انصرفت من أمامهم بسرعة حتى تنهى تلك المناقشة التى لن تجنى منها فى النهاية سوى صياح والدتها بها ثم تهدئة عزت لها ... ثم استقلت سيارتها و توجهت لعملها

بينما على المائدة انفجرت عائشة بوجه عزت الذى كان صامتا يفكر فى حديث ابنته قائلة : شايف بنتك و عمايلها عاوزة تجننا امبارح موافقة و انهاردة مبفكرش فى الارتباط .. بذمتك فى واحدة عاقلة فى الدنيا ترفض عريس زى الى متقدملها ده ؟

قال لها عزت بهدوء محاولا إقناعها : البنت لسه صغيرة يا عائشة .. و بعدين هى شايفة انها لسه مش مستعدة تشيل مسئولية بيت و زوج و عيلة .. بالراحة يا عائشة كل حاجة بالخناق الا الجواز بالاتفاق

تنهدت عائشة بحنق و لوت شفتيها بامتعاض و قالت : حاضر يا عزت هو أنا هقدر أتكلم قدامك .. مفيش حد يقدر يغلبك فى الكلام أبدا يا حضرة الكاتب الكبير

أراد عزت تلطيف الجو فربت على يدها بحنان و داعبها قائلا بابتسامة : و هتستفيدى ايه بقى لما تغلبينى .. مش كفاية حبك غلبنى زمان ؟

رغما عنها ابتسمت من كلماته الرقيقة التى دائما تثير مشاعرها تجاهه و التى لم تهدأ أبدا طيلة فترة زواجهم .. فهو بالنسبة لها الزوج و الأب و الأخ و الصديق و كل شيء لها فى هذه الدنيا

فقالت باستسلام : هقول ايه !! ربنا يقدم الى فيه الخير و يرزقها بالى أحسن منه ... و يحبها زيك كده يا حبيبى

شعر بالسعادة لسماع دعوتها تلك و لأنه استطاع ترضيتها فنهض من مكانه و قبل رأسها قائلا : أيوة كده .. ربنا يخليكى لينا ... ثم انصرف لعمله ..

***

وصلت بسيارتها إلى مقر المكتب الهندسى الذى تعمل به منذ سنوات .. صفت السيارة جانبا و دخلت البناية فى هدوء .. دقائق و استقلت المصعد الذى توقف بها فى الدور السابع .. ثم دخلت مكتب كبير يبدو أنه يأخذ مساحة دور بأكمله فى تلك البناية وعلق عليه لافتة "شركة العوضى الهندسية"

دخلت مكتبها و الذى كان عبارة عن غرفة أنيقة بها مكتبين ،جلست على خاصتها ووضعت الحقيبة جانبا وفتحت الكمبيوتر و بدأت مباشرة عملها ، بعد دقائق تبعتها فتاة فى العقد الثالث من عمرها بشوشة الوجه، سلمت عليها بود لتجيبها آسيا بابتسامة .. ثم باشرت كلا منهم عملها فى هدوء

فى مكان آخر كان يجلس على مكتبه شاردا يفكر بها ، و رغما عنه يتذكر ليلة البارحة التى قضاها مع زوجته فيشعر بالغضب من نفسه ،يعرف جيدا أنه فعل ذلك بدافع أن يشغلها عن أى أفكار تأتى فى رأسها ناحيته و ناحية آسيا .. فشبح حبه لآسيا سيظل يخيم فى رأس زوجته و يفسد عليه حياته الزوجية .. لذلك فهو يحاول أن يقطع الشك باليقين بأن يثبت ل " رانيا " و بالدليل القاطع أنها هى زوجته و ليست آسيا .. هى من لها كامل الحق بأن تنعم ليلا بدفء أحضانه ، أن تنال من حبه ، أن تشعر بدفء أنفاسه بجانبها على الفراش كلما تقلبت أثناء النوم ، أن تستيقظ على قبلة منه تنعش يومها .. و لكن رغم كل ذلك فهو لا يشعر سوى بحب " آسيا " !

من تربت على يديه ، من قضى معها طفولته يوما بيوم يكبرون سويا ، يتعلمون مبادىء الحياة من مواقف تمر بهم ، من عرفته معنى الحب من براءة عينيها و علمته معنى الجمال بملامح وجهها الذى يعشق تفاصيله ... قضى فترة مراهقته

يحلم باليوم الذى تتأبط فيه ذراعه و يخطون سويا قاعة الزفاف أمام كل المدعوين ، و يوضع اسمها بجانب اسمه على عقد زواج يجمعهم للأبد .. زوج و زوجة

و لكنها مجرد احلام لم تأخذ دورها فى التحقيق .. فالواقع الملموس هو زواجه برانيا .. من تزوجها بكامل ارادته و أقنعه عقله أنها أنسب زوجة يختارها المنطق .. فهى فتاة جيدة من كل المقاييس .. جميلة و ذكية و ذو مؤهل عالى مثله و مستوى أسرتها الاجتماعى تماما مثل أسرته و فوق كل ذلك تحبه بل يلمس منها عشق لا مثيل له .. و لكن مع كل ذلك يسأل نفسه " لما لا يستطيع أن يحبها مثلما تحبه .. رغم أنها ترى منه ما تحلم به أى زوجة على وجه الأرض .. و لكن من منا يقدر على العنيد ... فهو بمثابة البوصلة التى توجهنا الى مقصدنا فى عز الصحراء

كان يشعر بغليان الدم فى صدره كلما يتذكر أنها وافقت على ذلك الذى تقدم للزواج منها .. فرك جبينه بحنق و هو يفكر أنها عن قريب ستصبح زوجة لغيره .. زوجة لشخص يسقيها كأس الحب كاملا .. و من ثم تصبح أما لأبناءه أيضا .. لم يستطع أن يستمر فى تلك المخيلات التى تنهش قلبه بلا رحمة فنهض من مكانه و هو يلهث بعنف و الغضب يملؤه .. قرر أن يذهب لمواجهتها فنظر فى ساعته و لكنه تراجع عندما وجد أن ميعاد خروجها من عملها الذى ساعدها قبلا ان تلتحق به .. لم يحن بعد .. فجلس بمكتبه مرة آخرى وهدأ من نفسه قليلا و عزم أن يواجهها اليوم مهما كلفه الأمر...

***

أنهت عملها و توجهت هى و زميلتها " سلمى " يستقلون المصعد سويا حين رن هاتفها .. ابتسمت حين أضاءت الشاشة باسم رغدة و صورة طفلها .. أجابتها على الفور حين قالت رغدة : قدامك قد إيه و تكونى قدامى عشان الغدا ؟

أجابتها آسيا بابتسامة قائلة : نص ساعة بالظبط و أكون قدامك يا جميل

أنهت مع رغدة المكالمة و هى تغلق باب المصعد .. ثم ودعت سلمى بابتسامة اختفت على الفور حينما رأته يتكأ بجسده على سيارتها واضعا يديه بجيوب بنطاله و ينظر لها و الشرر يتطاير من عينيه .. ابتلعت ريقها بخوف فبالتأكيد أتى اليوم ليعاقبها على موافقتها البارحة .. و لكنها استجمعت قواها و قررت مواجهته بشجاعة فهو المذنب الأول و ليست هى

اقتربت من السيارة و قالت ببرود: ممكن تبعد عن العربية عشان عايزة أركب ؟

أخرج يديه من جيوب بنطاله و اقترب منها قائلا بهدوء نسبى : عاوز أتكلم معاكى

رجعت خطوة للوراء حين شعرت بأنفاسه الساخنة تحرق وجهها و قالت بتوتر من أثر قربه منها بهذا الشكل : يستحسن تمشى بدل ما حد يشوفنا و يروح يقول للهانم بتاعتك

اشتد غضبه و أمسك بها من ذراعيها قائلا بحنق : هتروحى معايا دلوقتى نتكلم فى مكان و مش عاوز عناد .. عشان عفاريت الدنيا بتتنطط فى وشى دلوقتى

شعرت بالخوف من علو نبرة صوته الغاضبة و التى تعرفها جيدا .. نظرت له بخوف أن يرفع صوته أكثر و يتسبب فى مشاكل أسفل البناية التى تعمل بها

شعر ما يدور بداخلها فأفلت يدها و قال محاولا التحكم بغضبه : هتركبى عربيتك و همشى وراكى و نروح نشرب حاجة و نتكلم فى المكان بتاعنا

قاطعته قائلة بحدة بعدما أثار غضبها عندما ذكر سيرة المكان الذى كانوا دائما يتقابلون فيه :مبقاش بتاعنا يا يوسف و مبقتش فى حاجة تجمعنا تانى و متحطنيش معاك فى جملة واحدة .. فاهم ولا لا ؟

أجابها بغضب و بصوت حاول خفضه بكل قوته : آسيا ... أنا مش عايز أعمل فضايح .. أحسنلك تركبى عشان نتكلم و نخلص

نظرت له شزرا و أبعدته من أمامها و ركبت سيارتها بحنق .. و لحق هو وراءها بسيارته .. شعر بالحنق حين رآها توقفت بسيارتها أمام أقرب كافيتريا .. و نزلت من سيارتها و دخلته معلنة رفضها أن تذهب لمقابلته فى مكانهما الخاص كما قال..

زفر بغضب و نزل من سيارته هو الآخر و تبعها الى ذلك المقهى حيث وجدها تجلس على طاولة قريبة من الباب تنظر اليه بحنق و هى تضغط أسنانها بغيظ .. جلس أمامها و نظره مثبت عليها .. نظرت له بذهول و هو يطلب من النادل أن يحضر مشروبهما المفضل و بهدوء شديد يناقض تماما تلك الجلبة التى أحدثها عند مقر عملها و كأنه تبدل لشخص آخر.. و لكن لا يهمها مزاجه فى شىء .. فقالت بنزق و هى تكتف ذراعيها أمام صدرها : خير .. ممكن أعرف عاوز ايه؟

سألها بهدوء قائلا : وافقتى على العريس الى متقدملك ليه يا آسيا ؟

ذهلت من جرأته تلك .. فبعدما تركها و تزوج من آخرى لم يخجل .. و بكل جبروت يسألها عن حياتها الشخصية فقالت بحنق : و أنت مالك أصلا .. أوافق و لا موافقش .. أجوز انهادرة و لا بكرة ده يخصك فى ايه أساسا ..

قاطعها بغضب قائلا : لا يخصنى يا آسيا يا بنت عم يخصنى أوى ... ثم قال بنبرة ذات مغزى : و لا نسيتى ؟

ضحكت بسخرية ثم قالت : أديك قلتها بلسانك " بنت عمى " بنت عمك و بس يا يوسف .. بنت عمك و بس

أوشك على الصراخ بوجهها و لكنه صمت حين اقترب النادل ووضع فنجانى القهوة أمامهما ، و عندما رحل قالت بحنق: خليك فى حالك أحسن يا يوسف و متتدخلش فى الى ميخصكش

رد عليها بحنق قائلا : أنا عارف كويس أوى انك لسه بتحبينى يا آسيا و موافقتك دى حاجة بتغظينى بيها ، بس لعلمك يا آسيا مش هتعرفى تحبيه و لا تعيشى معاه فى راحة أبدا

لمعت عيناها بالدموع بسبب قسوة كلماته ، فهو يعلم مدى حبها له و لذلك يضغط عليها به فما أسوأ من أن يعرف عدوك نقاط ضعفك و الأسوأ أن يكون هذا العدو هو حبيب سابق و هو ليس حبيب فحسب .. فهو من تربت على يداه ، من علمها الحب ، من يحفظ على ظهر قلب كل خلجة من خلجاتها ، سمعته يكمل حديثه قائلا بتحدى : أنا عارف انك لسه بتحبينى يا آسيا و عمرك ما هتنسى الى كان بينا

قالها و أخذ فنجان القهوة يرتشف منه بهدوء حين قالت بنبرة صوت منخفضة تملأها الأسى على حبيب قاس : لا يا بشمهندس أنت غلطان و مخموم أوى فى روحك

كلماتها جعلت القهوة تقف فى حلقه فنظر اليها بعينين متسعتين فأكملت قائلة : أنا بطلت أحبك من زمان أوى يا يوسف ، عارف من امتى ؟

ابتلعت ريقها و أكملت قائلة : من يوم ما بعتلى صور خطوبتك من الهانم ، من يومها شلتك من دماغى و خرجتك من قلبى الى أنت متستحقوش

قالتها والتقطت حقيبتها بسرعة لتنهض من مكانها و قالت لذلك الذى كأنه عقد لسانه و لم يجد ما يقوله بعد كلماتها فاكتفى بالنظر لها بعينين متواريتين من الخزى : انسانى يا يوسف زى ما نسيتك و ركز مع مراتك ، ثم أنهت كلماتها قائلة بسخرية : بكرة تبقى أب

ألقت كلماتها بوجهه وهربت من أمامه حتى لا يرى تلك الدموع الحبيسة بعينيها تسقط أمامه فينتشى فخرا أكثر مما هو عليه

ظل ينظرالى مكان جلوسها أمامه بعينين خاويتين و قلبه يتمزق من كل كلمة قالتها لأنها حقيقة لا يستطيع إنكارها فلقد تركها بعد وفاة جده بسبب حسابات مالية لا قيمة لها أمام حبهما و لكنه الآن يدفع الثمن .. أخرج المال من جيبه و ألقاه على الطاولة بلامبالاة و رحل .. كان يقود سيارته و شريط الماضى يتجسد أمامه بكامل تفاصيله ، تذكر يوم قاموا بفتح وصية جده بعد وفاته بأيام .. يومها قرأها عليهم محامى العائلة ، شعر بغصة فى قلبه لتذكره ذلك اليوم ، فتخللت أصابعه فروة رأسه و تنهد بحرقة .

كانوا كمن نزلت عليهم الصاعقة متجهمين لم ينبت أحدهم ببنت شفة حين شق صوت المحامى هذا السكون قائلا بجدية و هو يشبك أصابعه ببعضها و يستند بهم على سطح مكتبه : دى وصية الحاج _الله يرحمه _ و هو طلب منى أنفذها زى ما هى و قالى ان الى هيرفض ده يبقى بمثابة تنازل عن ميراثه

تحدث عادل بعد صمته الطويل بنبرة تحمل كل ما يعتريه من ألم : أنا مش قادر أصدق ان أبويا يعمل فيا كده و يظلمنى بالشكل ده .. نظر الى عزت المتجهم و الذى ينظر اليه بشفقة و ألم و أردف قائلا :طول عمره مفضلك عليا حتى لما مات ، مكفاهوش كل الى عمله عشانك طول حياته

حاول عزت أن يدافع عن نفسه و يتحدث و لكنه أوقفه باشارة من سبابته قائلا بحسم :أنا مش مسمحك و لا مسمحه .. ثم قال و دموعه تلمع بعينيه : عمرى ما هسامحكم على الى عملتوه فيا

مسح دموعه بيديه ثم وجه حديثه للمحامى قائلا بجدية : نفذ الوصية يا متر زى ما هى

اقترب منه يوسف ووقف خلفه واضعا يده فوق كتفه ناظرا له بذهول بعد تغير موقفه بتلك السرعة و حاول الحديث معه قائلا : بابا ! حضرتك موافق على الظلم ده !

التفت له عادل و قال بنبرة تحمل حزنا على ظلم أب فقد عقله فى أيامه الأخيرة و ظلمه بكل جبروت :ده أبويا و كلامه لازم يتنفذ حتى لو على رقبتنا كلنا يابنى

أفاق من شروده بأفكاره عندما انتبه الى صراخ ذلك الرجل الغاضب الذى يطرق له على زجاج السيارة فالتفت ينظر حوله ، و أدرك سبب صراخه فهو متوقف بسيارته فى منتصف الشارع بعدما فتحت الاشارة .. غمغم معتذرا له و أدار محرك

السيارة مكملا فى طريقه تتردد فى ذاكرته أحداث تلك الأيام التى مضت و التى تسببت فى تشكيل حياته و بعده عن حبيبته " آسيا " ....

***

كانت تحتسى الشاى مع رغدة أمام التلفاز الذى كانت تشاهده بعينين خاويتين حين قالت رغدة بتساؤل و هى تتفحصها من رأسها لأخمص قدمها باستغراب فمنذ أتت من الخارج لم تتحدث سوى بكلمات مقتضبة و حتى أثناء تناول الغداء:مالك يا آسيا من ساعة ما جيتى و أنتى ساكتة و مسهمة .. مالك يا حبيبتى فى حاجة مضيقاكى ؟

ردت بابتسامة بسيطة قائلة : مفيش يا رغدة بس الشغل انهادرة كان متعب شوية ... نهضت رغدة من مكانها و هى تحمل كوب الشاى و أغلقت التلفاز ثم جلست بجانبها على الأريكة و قالت بتساؤل : شغل برضه و لا حاجة تانية ؟

تنهدت آسيا بملل و وضعت كوب الشاى جانبا على الطاولة أمامها ولم ترد فى حين قالت رغدة : آسيا أنتى قابلتى يوسف مش كده ؟

نظرت لها آسيا بدهشة و قالت بتساؤل : عرفتى ازاى ؟ ... ردت رغدة بابتسامة قائلة : مش محتاجة فقاقة يعنى ، أكيد من ساعة ما قلتى قدامهم انك موافقة على العريس و هو هيتجنن

ردت آسيا بحنق قائلة : هو اتجنن فعلا و جالى أدام الشغل و عمل دوشة وصمم أنى اروح معاه و نقعد و نتكلم

سألتها رغدة قائلة : و روحتى معاه مش كده .. نظرت لها آسيا بحذر فى حين قالت رغدة بتساؤل : و علشان كده اتأخرتى صح ؟

أجابتها آسيا بنفاذ صبر قائلة : أيوة روحت معاه عشان ميعمليش فضايح فى مكان شغلى ، ثم نهضت و نظرت أمامها قائلة : أنا مش ناقصة كمان أخسر شغلى .. كفاية الى خسرته

شعرت رغدة بالحنق من أختها التى لا تريد أن تنسى فنهضت من مكانها ووقفت أمامها قائلة بصوت أشبه للصراخ : يعنى ايه كفاية الى خسرتيه !! أنتى ايه أصلا الى خسرتيه يا آسيا ؟ .. هو الى خسر مش أنتى ، الموضوع ده انتهى و اتقفل خلاص و لو حاول يتعرضلك تانى احنا نقول لبابا يتصرف معاه

ردت آسيا قائلة بثقة : مش محتاجة أقول لبابا حاجة ، انا خلاص قولتله يبعد عنى و ادتله الى فيه النصيب

كتفت رغدة ذراعيها أمام صدرها و سألتها قائلة : بمناسبة النصيب .. رفضتى العريس الى متقدملك ليه ؟

ابتسمت آسيا بسخرية قائلة : هى ماما لحقت تقولك ؟ ... ردت رغدة قائلة : طبعا قالتلى لما اتصلت بيها أقولها هتقروا الفاتحة امتى لقتها بتقولى كل شىء نصيب .. و بعدين ماما عارفة انك مبتتكلميش و تفضفضى مع حد غيرى

التقطت آسيا حقيبتها و قالت : زى ماما ما قالت يا رغدة كل شىء نصيب .. ثم ربتت على كتفيها و لم تعطى لها فرصة للحديث ورحلت و الدموع تترقرق بعينيها

****

الكثير منا يكون على يقين بأن الماضى أبدا لن يعود و لكنه يعاند و يصمم و يتشبث بذكريات أليمة تحيى به روح المثابر ، و يخوض محاولات عدة يكون على ثقة من البداية أنها ستبوء بالفشل و لكن لا يهم فالنهاية تستحق المثابرة ...بعدما أنهكته قيادة السيارة فى الشوارع المزدحمة التى كان يمشى بها و أنهكته الذكريات الأليمة أيضا قرر العودة لمنزله لينال قسط من الراحة بعد عناء ذلك اليوم و لكنه أدرك أنه لا راحة اليوم عندما وجدها جالسة على الأريكة بغرفة النوم تنظر له بحنق .. خلع التى يرتديها و ألقاها على الفراش بلامبالاة ثم قال لها بإرهاق : مساء الخير يا رانيا

أدركت أن ذلك الوقت المناسب لتخرج ما بجعبتها من حنق و غيظ فنهضت من مكانها قائلة بغضب : قول صباح الخير يا أستاذ .. ثم نظرت فى ساعة يدها و قالت بنفس النبرة : الساعة 2 الفجر يا يوسف .. كنت فين كل ده ؟

رد عليها بتعب قائلا : رانيا أنا مش قادر أتكلم و تعبان و عاوز أنام .. ممكن نأجل كلامنا للصبح ؟

صرخت بوجهه قائلة : مفيش صبح هيطلع عليا معاك يا يوسف قبل ما أعرف كنت فين ؟ .. أثار صراخها غضبه الذى حاول بكل قوته أن يخفيه حتى لا يتشاجر معها فقال :رانيا خلى ليلتك تعدى على خير

صرخت به قائلة : أنا مش عارفة ايه الى جرالك بين يوم وليلة ما كنا ليلة امبارح كويسين ؟ ... فضل أن يصمت حتى لا يلهب المشكلة أكثر فى حين أثار صمته هذا غيظها فصرخت قائلة : شكلها كانت وحشاك أوى يا يوسف فتخيلتنى هى عشان تتطلع الكبت الى كان جواك ناحيتها

لم يستطع أن يتجاوز عن وقاحتها تجاهه و تجاه ابنة عمه فصفعها صفعة مدوية أسقطتها أرضا ثم نظر لها و قال و الدم يغلى فى عروقه : أنا عشان متربى مش همد ايدى عليكى .. قالها و خرج من الغرفة فى حين ظلت تتحسس وجهها فى ذهول و دموعها تنهمر كالشلال .. ثم بعد دقائق نهضت و قامت بجمع ملابسها و تجهزت للرحيل .. بعد دقائق خرجت من الغرفة فوجدته جالسا فى الشرفة فنظرت له شزرا و دموعها مستمرة فى الهطول و صفعت الباب خلفها و رحلت ... خرج من الشرفة على الصوت المدوى لغلق باب الشقة فزفر بنفاذ صبر و ضرب الحائط بقبضة يده قائلا بغضب : فى ستين دهية ..

***

كانت جالسة خلف مكتبها تباشر عملها على الحاسوب حين رن هاتف مكتبها فأجابت على الفور لتجد المدير يطلب منها الحضور الى مكتبه حالا .. فتركت ما فى يدها من عمل و اتجهت إليه على الفور ، طرقت الباب فأذن بالدخول.. دخلت و أغلقت الباب خلفها بهدوء ثم وقفت أمامه قائلة بأدب :حضرتك طلبتنى يا فندم؟

أشار لها بالجلوس قائلا بجدية :أيوة يا آسيا اتفضلى اقعدى

جلست أمامه تنظر إليه بترقب فتحدث هو قائلا :شوفى يا آسيا احنا هنقفل الشركة هنا

قطبت ملامح وجهها بشدة و قالت بوجه مضطرب :ليه يا فندم؟

أحس باضطرابها فهو يعلم مدى حبها للعمل الهندسى فابتسم قائلا :ما تخافيش إحنا هننقل الفرع الرئيسى

اطمأن قلبها فتنهدت بارتياح بينما سألها هومشاكسا و هو يخلع نظارته الطبية :ها اطمنتى يا بشمهندسة؟

ابتسمت قائلة :بصراحة أيوة يا فندم أنا قولت بقى هبدأ رحلة الكفاح و البحث عن وظيفة

ضحك المدير من كلامها ثم قال:لا يا ستى و احنا منستغناش

استدرجت متسائلة :بس ليه يافندم؟ .أخبرها بأن المقر هنا تواجهه بعض المشاكل و الحل هو الانتقال للفرع الرئيسى ووعدها بزيادة الراتب لأن الفرع الرئيسى سيكون بعيد بالنسبة لها ثم اختتم حديثه سائلا اياها عن الرد فأجابته بعملية قائلة : مفيش مشكلة يافندم .. لكن هننقل امتى ؟

رد قائلا : يعنى كمان 3 أسابيع ان شاء الله

هزت رأسها بتفهم ثم نهضت من مكانها قائلة : باذن الله يافندم .. عن اذن حضرتك

انصرفت من أمامه بينما استكمل هو مباشرة عمله

****

كانت متكومة على الفراش تضم ركبتيها الى صدرها و تنظر الى الفراغ أمامها و تبكى فى صمت حين سمعت طرقات على باب غرفتها فأغمضت عينيها على الفور هربا من مواجهة والدتها التى هزت رأسها حزنا و شفقة على حال ابنتها التى

فوجئت بها منذ يومين آتية فى منتصف الليل تبكى بحرقة و معها حقيبة بها جميع ملابسها و أخبرتها أنها ستقضى معها عدة أيام لأنها تشاجرت مع زوجها و لكن الى الآن لم تخبرها السبب و حين ألحت عليها لتعرف صرخت و هددتها ان لم تتركها و شأنها ستأخذ حقيبتها و تذهب لتبيت بأى فندق .

جلست بجانبها على طرف الفراش و ربتت على ظهرها و مسحت على شعرها بحنان ثم قالت : رانيا يا بنتى اصحى بقى ، كفاية نوم الساعة بقت 2 الظهر و أنتى لسه فى السرير .. ثم قالت بحزن : أنا عارفة انك مش نايمة .. قومى يابنتى اقعدى معايا شوية اتكلمى خرجى الى فى قلبك

تململت رانيا فى فراشها ، بينما ساعدتها والدتها لتجلس على الفراش ووضعت خلف ظهرها عدة وسائد لكى تجلس براحة ثم أزالت شعرها المنسدل على عينيها و قالت بحنان : مالك يا حبيبتى .. افتحيلى قلبك يا رانيا .. اتكلمى يا بنتى و طمنيني عليكى

هدأت دموعها قليلا حتى لا ينفطر قلب تلك السيدة المسكينة أكثر و قالت بصوت مبحوح : متخافيش عليا يا ماما أنا بخير

قالت أمها بصوت أشبه للبكاء : بخير ازاى بس يا بنتى؟ .. ده أنتى من ساعة ما جيتى غضبانة من بيت جوزك و أنتى مفطورة من العياط و مش عاوزة تتكلمى معايا و لا تقوليلى ايه الى حصل !

نظرت لها رانيا بعينين حمراوتين من كثرة البكاء لتردف والدتها قائلة :ايه يا حبيتى الى نزلك من بيت جوزك الفجر ؟

نظرت لها رانيا باستسلام و قصت عليها ما حدث بينهم تلك الليلة المشئومة .. كانت والدتها تسمعها بصمت و قد ظهر الحنق بوضوح على قسمات وجهها و عندما انتهت رانيا من السرد قالت بلوم : أنتى الى غلطانة

صدمت رانيا من رد والدتها فقالت بغضب : بعد كل الى حكيته لحضرتك ده و برضه مطلعانى أنا الى غلطانة

أردفت والدتها بتصميم قائلة : أيوة أنتى .. جوزك جاى تعبان من بره و مخنوق و قالك مش عاوز أتكلم دلوقتى خلاص استنى لغاية الصبح ، مش تعندى معاه و تقوليله الى قولتيهوله ده .. أنا مش مصدقة انك تقوليله حاجة زى الى قولتيها دلوقتى .. فى بنت متربية تقول كده! .. ملكيش حق أبدا

قالت رانيا بتبرير : و أنا أعمل ايه يعنى و أنا لاقياه جاى وش الفجر وكمان مش طايق منى كلمة .. يبقى أكيد كان مع الهانم بيترجاها ترجعله

قالت والدتها بتساؤل حانق:و أنتى مين قالك انه كان معاها ..مش يمكن كان مع حد من أصحابه؟

قالت رانيا بحسرة : لا يا ماما أنتى مشفتيهوش لما كنا عندهم فى البيت كان بيبصلها ازاى .. و لا لما روحنا من عندهم كان قايد نار و متكلمش معايا كلمة .. كل ده عشان عرف ان جايلها عريس ووافقت عليه

قالت والدتها بابتسامة علها تهدأ من روع ابنتها الثائرة : يا عبيطة ده شوية كده بس .. هو عشان كان بقاله كتير مشافهاش لغاية ما شافها لما أبوه دخل المستشفى .. فيعنى قلبه حن و بعدين مفروض تتطمنى انها هتتجوز و شوية و ينساها

فكرت رانيا فى كلام والدتها قليلا ثم قالت بشك : تفتكرى يا ماما !

****

لم يذهب هذا اليوم الى عمله فحالته النفسية لا تسمح له بالخروج من المنزل أو ركوب سيارته و القيادة بها فى هذا الزحام ، فبالتأكيد سيرتكب جناية اذا تشاجر مع أحدهم ، و لهذه الأسباب أيضا هو جالس أمام التلفاز يقلب قنواته فى ملل دون أن يكلف نفسه عناء الرد على الهاتف الذى يدق منذ ساعتين تقريبا .. ولكنه اضطر الى النهوض ليفتح باب الشقة الذى يطرق منذ دقائق

زفر بملل و هو يفتح باب الشقة ليرى من القادم ، حاول أن يبتسم قليلا و يعدل من هيئته عندما رآها أمه التى أغلقت خلفها باب الشقة ثم جلست بجانبه فى غرفة المعيشة و ظلت تتفحصه بنظراتها القلقة.. قلقها الذى تزايد عندما سألته عند زوجته و أخبرها أنها عند والدتها تقضى معها بعض الوقت .. و زاد على ذلك تغيبه اليوم عن عمله و تلك ليست عادته أبدا و أيضا ذلك الغضب الذى يحاول اخفاءه بأن ذهب ليحضر لها الشاى بنفسه

ارتشفت قليلا من الشاى و هى تنظر له بتفحص ثم قالت و هى تضع الكوب جانبا : يوسف .. أنت متخانق يا بنى مع مراتك ؟

مط شفتيه مللا و قد أدرك أنه لا مجال للهروب ثم قال بتقرير و هو يغلق التلفاز حتى يتفرغ للنقاش مع أمه : أيوة يا ماما متخانقين

زعقت والدته بغضب قائلة : ده الى كنت خايفة منه يا يوسف .. من ساعة ما شفت المخفية الى اسمها آسيا و أنت قلبك حن .. ده الى كنت خايفة منه و عاملة حسابه عشان كده قولت لأبوك يعتذر عن الزيارة الى مش هيجى من وراها خير دى .. بس طبعا مسمعش كلامى

نهض من مكانه و قال بنفاذ صبر : ماما لو سمحتى .. آسيا ملهاش دعوة بمشكلتى أنا و رانيا

نهضت من مكانها هى الآخرى واقفة خلفه ثم قالت بابتسامة سخرية : آمال مين الى ليه دعوة يا قلب أمك ؟

التفت لها و قال بنبرة تحمل ما يخفيه فى قلبه من لوعة و شوق و حزن : متفتحيش مواضيع قديمة يا ماما .. عشان أنا لو اتكلمت محدش هيزعل غير حضرتك

ارتعشت شفتاها فقالت بتوتر : تقصد ايه يا ولد ؟

ابتسم ابتسامة بجانب فمه و قال بنبرة ذات مغزى : بلاش أحسن يا أمى .. بلاش عشان منزعلش مع بعض

حاولت التظاهر بالقوة فقالت بحنق : لا قول .. قول و ما يهمكش يا ابن بطنى

عاود الجلوس مرة آخرى و قد فضل عدم الخوض فى ذكريات قديمة قد تفسد تلك العلاقة السامية بين الأم و وحيدها فقال محاولا طمأنتها : متخافيش يا ماما مش هطلق رانيا يعنى .. هى بس بتريح أعصابها يومين عند والدتها و مسيرها ترجع هنا تانى متخافيش

ارتاح قلبها بسماع كلماته تلك فاطمأنت و قالت بجدية و هى تأخذ حقيبتها استعدادا للرحيل أو ربما الهروب من أمامه : رانيا مراتك متتعوضش يا يوسف و حط الكلمة دى حلقة فى ودنك

نظر لها بحنق و هو يعلم ما ترمى اليه لتردف قائلة : انسى زمان و أيام زمان .. و حب زمان

قالتها و رحلت تاركة اياه يغلى من الغضب لتذكره ما يحاول تناسيه .. فحدث نفسه قائلا بسخرية : قول للزمان ارجع يا زمان .. قالها و ركل تلك الطاولة الصغيرة أمامه ليتهشم زجاجها لقطع صغيرة كما كانت أمه سببا فى تهشم قلبه من قبل

****

تحت شعار الحب هناك الكثير من الذين جرحوا و ظلموا بسبب دقة قلب ! .. دقة كانت لشخص خاطىء لم يستطع تقدير مشاعر من يحبه .. ربما أخطأ فهمها .. أو ربما فهمها و لكن هو على ثقة أن الظروف ليست مناسبة .. أو ربما فضل استغلالها لمصلحته الشخصية علها تفيده فى شىء .. ولكن هناك من يفهمها جيدا و لكنه يلقيها بلامبالاة و يمضى فى طريقه كأن لم يحدث شىء .. و لكن قد تشاء الظروف و يتلقى تلك المشاعر المهدرة عبثا شخصا آخر .. و لكن كيف من الممكن أن يتعامل وقتها مع مشاعر مستهلكة ؟!! .. ربما يحسن استخدامها و تطويعها لقلبه هو .. أو ربما ترفضه هى متشبثة بالماضى !!! و لكن هل يعود الماضى يوما ؟!!!

كانت تقف مع والدتها بالمطبخ حين تركت ما بيدها للمرة الثالثة و ذهبت الى الحمام لتفرغ ما بمعدتها .. خرجت بعد دقائق تجفف وجهها المتعرق بمنشفة لتلحقها والدتها التى خرجت من المطبخ بسرعة هى الآخرى .. ساعدتها على دخول فراشها و دثرتها جيدا ثم تحسست حرارة وجهها بيدها و قالت : الحمد لله مش سخنة .. صمتت قليلا ثم أردفت قائلة و هى تنهض من الفراش : أنا لازم أطلبلك دكتور

حاولت رانيا منعها فقالت باعياء : ملوش لزوم يا ماما .. تلاقينى أكلت حاجة مش نظيفة .. دور برد و يومين و يروح

لم تسمع لها والدتها و اتصلت بالطبيب على الفور .. و بعد ما يقرب من ساعة كان الطبيب يفحص ابنتها بينما كانت هى واقفة بجانبه تنظرلها بحسرة فمنذ تركت منزل زوجها منذ ما يقرب من أسبوعين لم يكلف نفسه عناء الاتصال بهم أو الاطمئنان عليهم ، وها هو يخلف بوعده الذى قطعه على نفسه لوالدها بأن يكون سندها و أمانها و ألا يكون سبب فى حزنها أبدا.. فقالت فى سرها بحزن " الله يرحمك يا مصطفى ، لو كنت عايش مكنتش بنتك اتبهدلت من بعدك "

أفاقت من شرود أفكارهاعلى صوت الطبيب و هو يغلق حقيبته فعاجلته قائلة بقلق : خير يا دكتور ؟ بنتى مالها ؟

أجابها بابتسامة قبل أن يبدأ فى كتابة الروشتة و قال : ألف مبروك المدام " حامل "

تهللت أساريرها بشدة و قالت بشفاه مرتعشة : بجد يا دكتور ؟

أكد الطبيب على كلامه ثم أعطاها الروشتة و قال بجدية : أنا كتبتلها شوية فيتامينات لازم تاخدها و كمان ياريت تقلل الحركة اليومين دول

ظلت والدتها تسمع ارشادات الطبيب و هى تحمد الله فى سرها ثم ودعته محملا بسيل من الدعوات التى تمنت أن تكون من نصيبه هى و أسرته ، أغلقت الباب خلفه ثم قالت بفرحة لم تشعر بها منذ زمن : ياما أنت كريم يارب

قالتها و دخلت غرفة ابنتها التى منذ سمعت الخبر و هى متجهمة ، لم تفعل شىء سوى احتضان طفلها الذى ينمو بداخل أحشائها ، كانت تحتضن بطنها بكلتا يديها و كأنها تخاف عليه من غدر الزمن ، أو من أب ربما يرفض وجوده

أوشكت والدتها على الحديث و لكنها صعقت عندما سمعتها تقول : يوسف مش لازم يعرف بالطفل ده أبدا .. ثم التفتت لوالدتها و كررت قائلة و الدموع تترقرق بعينيها : أبدا يا ماما

***

كانت جالسة مع طفلها تنظر الى ابتسامته بابتسامة أكبر فمنذ أنجبته أصبح لا يمتعها شىء أكثر من مراقبة هذا الصغير ، تقريبا تقضى كل وقتها تلحظ كل خلجة من خلجاته ، حتى ان عملها قد تركته منذ أنجبت " محمود " طفلها الأول ، كانت تريد أن تكون معه فى كل خطوة يخطوها ، تريد ان تقضى معه كل ثانية تمر فى عمره ، فضلت ترك العمل حتى تتفرغ له بالكامل رغم اعتراض والدتها التى كانت تعلم مدى حب ابنتها للعمل كما أنها عرضت عليها أن تتركه معها فى أوقات عملها و لكنها رفضت رفضا قاطعا فيكفى طفلها بعد والده عنه فمحمود حالة خاصة ؛ حرم من وجود والده بجانبه فى مراحل حياته الأولى، والده الذى لم يكد يحمد الله على مجىء طفله للدنيا حتى جاءته فرصة عمل متميزة فى بلاد الخليج العربى و بالطبع لم يستطع أن يرفضها فهو يريد لولده أن يعيش فى مستوى أفضل مما كان سيعيش اذا ظل هنا فى وظيفته الحكومية التى تعطيه راتب لا يقارن بما سيأخذ هناك فسافر دون أن يتردد و لكنه وقتها فوجىء بالرفض القاطع من زوجته التى أصرت على البقاء فى مصر حتى تربى طفلها ببلده بين أهلها و جيرانها و أصدقائها

انتبهت الى طرقات الباب فنهضت من مكانها والتقطت الحجاب و ارتدته على الفور لتفتح الباب الذى فور ما فتحته حتى ألجمتها الدهشة لعدة دقائق فقال الواقف أمامها والذى لم يدخل الشقة بعد : ايه يا رغدة مش هتقوليلى أدخل و لا ايه ؟

ابتلعت ريقها ثم قالت بملامح تنطق بالفرح المخلوط بدهشة لم تذهب بعد : خالد ! .. أنا مش مصدقة انك قدامى

ابتسم من طريقتها و فضل الدخول بنفسه فمن الواضح أن زوجته ستظل فى حالة الذهول تلك لبعض الوقت ، وضع حقيبته جانبا ثم احتضنها فجأة فحاوطته هى بذراعيها و أغمضت عينيها كأنها تريد أن تتأكد أنه معها ، و لم يختلف الحال معه هو الآخر فقد كان يشعر أن عظامها ستتهشم فى أحضانه و لكن لا يهم فهو لا يفكر فى أى شىء الآن سوى أنه فى بيته فى بلده و فى حضنه زوجته الحبيبة يمسح على ظهرها بحنان .. يريد أن يشبع من لمساتها و حنانها المحروم منهم فى غربته ... بعد دقائق أفلتها لينظر لها قائلا بهمس أمام شفتيها : وحشتينى .. وحشتينى أوى يا رغدة

كانت تحيط وجهه بكفيها و هى تنظر له بعينين مشتاقتان و تقول : مش أكتر منى يا حبيبى

ظلوا لفترة قصيرة على تلك الحال فقط مكتفين بنظرات الأعين التى تبث حب و شوق و لوعة .. و لوم وعتاب من عينين ملت و أنهكها البعد الا أن انتبه خالد لحركة شد بنطاله لأسفل فأفلتها و نظر ليرى طفله الذى يريد أن يذكرهم بوجوده فحمله و أخذ يقبله بشوق و يداعبه ثم جلس على الأريكة يحمله و يخبره بصوت حانى أنه والده الذى اشتاق له كثيرا .. ظلت تتابعهم بعينين ملأتهما الدموع .. لم ترد أن يرى خالد دموعها فقالت و هى تجر حقيبته لغرفة النوم : هحضرلك الأكل حالا يا حبيبى

أومأ لها برأسه و مضى يكمل لعب مع ذلك الصغير الذى لم يكف عن الضحك و التحدث بالكلمات البسيطة التى علمتها له أمه و كأنه يرحب به و يخبره بطريقته الطفولية كم اشتاق له .. بينما اختفت هى عن ناظريه بالمطبخ حتى لا يرى دموعها التى لا تعلم ان كانت هى السبب فى نزولها ! أم هو ؟

****

كان جالسا فى غرفة الصالون ببيت زوجته يهزساقه بملل ، فمنذ تلقى اتصالا من والدة زوجته اليوم و هو جالس فى عمله و هو يشعر بالقلق خاصة عندما أصرت ألا تخبره سبب طلبها رؤيته ، فأنهى عمله و جاء على الفور ...و هاهو يجلس بغرفة الصالون ينتظر ظهور رانيا أو والدتها التى منذ فتحت له الباب اختفت و لم تظهر بعد

توقف عن هز ساقه عندما وجدها تفتح باب الغرفة ثم تغلقه فابتسم ابتسامة مصطنعة ..جلست أمامه ثم قالت بهدوء: تشرب ايه يا بنى ؟

أجابها قائلا : متشكر يا طنط .. أنا مش غريب .. ممكن أعرف ايه الموضوع الخطير الى حضرتك قولتيلى انك عاوزانى فيه ؟

وضعت ساقا فوق ساق ثم قالت بصوت رخيم بعد تنهيدة طويلة : مراتك حامل يا يوسف

رجع بجسده للوراء على الأريكة و هو يرمقها بذهول ثم قال بشفاه مرتعشة : بجد يا طنط .. رانيا حامل ؟

أجابته قائلة بنبرة يملأها اللوم الذى لم تستطع أن تخفيه : طبعا بجد و الا مكنش اتصلت بيك و قولتلك رغم انك راميها بقالك أسبوعين مفكرتش حتى تتصل تسأل عليها و لو لمرة واحدة

تبدلت مشاعر الفرح التى غمرته لآخرى غاضبة فهو لا يستطيع السكوت عن ذلك الاتهام بالاهمال فقال بغضب وقد عقد حاجبيه : أعتقد يا طنط ان رانيا حكت لحضرتك ايه سبب المشكلة الى حصلت .. و أعتقد برضه انى مغلطتش

كانت تريد أن تصرخ بوجهه لعدة أسباب منهم ضربها و تركها تنزل الى الشارع فجرا و آخرهم عدم السؤال عنها أو الاطمئنان عليها ، و لكنها لم تستدعيه لمنزلها ليتشاجروا سويا و انما لتحل هذا الموضوع السخيف فقالت بهدوء زائف يخفى بداخله بركان من الغضب : شوف يا يوسف ان كانت بنتى غلطت فأنت كمان غلطان ، بس أنا مجبتكش هنا دلوقتى عشان نتخانق ، أنا جبتك عشان نحل الموضوع ده لأنه طول أوى .. دلوقتى رانيا هتدخل ، تقعدوا مع بعض و تشوفوا ناويين على ايه .. ناويين تكملوا سوا و ابنكم يتربى وسط أبوه و أمه .. و لا تنفصلوا بالمعروف و ابنك يتربى مع أمه فى بيت جده _ الله يرحمه _ و أنت تبقى تشوفه فى أى وقت

كان ينظر اليها و هو خجل من تلميحاتها خاصة أنها لم توبخه على شىء بعينه فقط اكتفت بتوضيح كل شىء أمامه حتى يختار ما يريحه ... خرج من دوامة أفكاره على صوت فتح باب غرفة الصالون و دخول رانيا و جلوسها أمامه بينما انسحبت والدتها بعد ما قالت " تقعدوا سوا و تقرروا عشان أنتو مش صغيرين للعب العيال ده "

كانت رانيا تنظر أرضا و لم تنطق ببنت شفة كذلك هو كان مكتفى بالنظر اليها ، يتفحصها من رأسها لأخمص قدمها و كأنه اشتاق اليها ، كانت ترتدى عباءة منزلية

أنيقة فضفاضة لم يراها ترتديها من قبل و لكنه أدرك أنها ارتدتها نظرا لوضعها الحالى و كأنها تدرب نفسها على ارتداء ملابس المرحلة القادمة

تنحنح قائلا : ليه مكلمتنيش و قولتيلى بنفسك على موضوع الحمل ؟

رفعت رأسها و قالت بحنق : أنا أصلا مكنتش عاوزة أقولك على موضوع الحمل ده .. لكن ماما هى الى أصرت تكلمك

نهض من مكانه ليجلس بالقرب منها فأشاحت بوجهها بعيدا عنه بينما قال هو بتوسل : ليه يا رانيا ؟ كنتى عاوزة متقوليليش ..كنتى عاوزة تحرمينى من ابنى الى بقالنا سنتين بتمناه

واجهته قائلة بنبرة هجومية: كنت خايفة عليه منك .. كنت خايفة تقولى نزليه خصوصا بعد

أسكتها بأن وضع يده على شفتيها قائلا برجاء : متكمليش لو سمحتى .. ازاى متخيلة انى أقولك كده و احنا بقالنا سنتين بنترجاه من الدنيا .. قالها و قد لمعت عينه بالدموع فأردف قائلا : يا رانيا أنا مكنتش عاوز المشكلة دى تحصل بينا و أنتى عارفة انك أنتى الى استفزتينى يومها

شعرت بالخجل من كلامه فبالفعل هى التى أثارت جنونه يومها و أصرت على الشجار فخفضت رأسها و نظرت أرضا و لكنه رفع رأسها بيده قائلا بابتسامة : خلاص احنا ننسى كل الى فات و نبتدى مع بعض صفحة جديدة .. ثم وضع يده على بطنها قائلا بحنان : على الأقل عشان خاطر عادل ابننا

وضعت يدها على يده التى شعرت برعشة بها و قالت له بابتسامة : و أنا موافقة يا يوسف .. موافقة نرجع زى ما كنا عشان خاطر ابننا يتربى وسط أمه .. ثم وضعت يدها على وجنته قائلة بحنان : و أبوه

****

أحيانا تجبرنا الحياة على تقديم بعض التنازلات التى لم نعتقد يوم أننا سنضطر اليها ولكن فى سبيل من نحب فانها تصبح صغيرة جدا فقيمته أكبر منها بكثير و يا ليتها تكون على قدر ما نريد .. وعلى عكس ما كنا نتوقع فبعد أن نفعلها فاننا لا نشعر بالندم بل ربما نشعر براحة كبيرة لأنها كانت السبب فى تقريبنا ممن نحب عدة خطوات لم نكن لندركها أبدا ان لم نقدم تلك التضحيات ، و لأنهما أغلى شخصين بالنسبة لها و تريد أن تنعم بوجودهما حولها قررت اليوم أن تخبره بعد أن يتناولوا

الفطور بقرارها الذى حسمته ، فبعد أن تناولوا العشاء ليلة البارحة و دخلت هى المطبخ لتنهى غسيل الصحون ظل يلعب مع طفلهما حتى أنها كانت تسمع صريخهما و ضحكاتهم العالية يرن فى أذنيها و عندما انتهت من أعمال المنزل و غيرت ملابسها بآخرى مناسبة للنوم وجدته قد نام مع طفله على سريره الصغير بغرفته .. منظر زوجها و هو يحتضنه بشدة و طفله و هو يضغط على يده ..ذلك المنظر أثار القشعريرة بجسدها .. شعرت كم هى أنانية لتحرم طفل صغير من أبيه لأسباب أصبحت بالنسبة لها الآن سخيفة بعد أن ظلت متشبثة بها لأيام و شهور كثيرة و لكنها قررت تصحيح ذلك الخطأ اليوم و بأى طريقة ومهما كلفها الثمن فمن الآن وصاعدا لن تكون السبب فى تشتيت أسرتها الصغيرة بل ستحارب جاهدة لتكون سبب فى تجميعهم .. و مهما كلفها الأمر من عناء فهى لن تتنازل عنهما أبدا

****

اجتمعت العائلة للمرة الثانية فى هذا الشهر و فى نفس المنزل و لكن كانت التحضيرات تلك المرة أكثر و نساء المنزل كن يقفن على قدم و ساق لتحضير الغداء ، كانت عائشة تتحرك بين بناتها فى المطبخ بخفة و هى تشرف على تحضير أشهى الأكلات و الأصناف التى يفضلها " خالد " زوج ابنتها الغائب ، بينما كان عزت يجلس فى غرفة الصالون مع أخيه و زوجته و ابنهما و رانيا و خالد يتحدثون فى أمور شتى تقريبا بكل المواضيع ؛ فبالبداية كان الحديث مع خالد عن أحوال العمل فى دول الخليج ثم تدرجوا فى الحديث الى المشكلات السياسية بالبلد و التى تدفع بعض الشباب للهجرة و أخيرا الظروف الاقتصادية ، كانوا سيتدرجوا فى الحديث أكثر عندما اشتد النقاش بين عزت و عادل و لكن قطع عليهم الاستمرار دخول عائشة غرفة الصالون لتخبرهم بابتسامة " اتفضلوا يا جماعة الغدا جاهز على السفرة "

انتبهوا الى بطونهم التى تتدور جوعا و ابتسموا مقررين تأجيل النقاش لوقت الآخر ، نهض من مكانه و مشى برفقة زوجته التى منذ وطأت قدميها أرض ذلك المنزل و هى تتأبط ذراعه و كأنها تريد أن ترى حبيبته القديمة أنها الوحيدة التى يحق لها أن تقترب منه بهذا الشكل أو بأكثر من ذلك أو ربما لتثبت لنفسها قبل أن تثبت لآسيا عل ثقتها بنفسها تزيد قليلا

بعد أن جلس بجانب زوجته أمام المائدة كان يتلفت بحثا عنها و لكن التمعت عينيه بخبث عندما سمع والدتها تناديها و تطلب منها احضار شىء ما هنا نهض من مكانه و استأذن عمه قائلا بأدب : تسمحلى يا عمى أروح أغسل ايدى

رد عزت قائلا : طبعا يا بنى اتفضل البيت بيتك

خرج من الحمام بعد أن غسل يديه و جففهما ثم نظر حوله و تأكد من انشغال الجميع فى غرفة الطعام ، ألقى نظرة على المطبخ فوجدها هناك فابتسم ابتسامة شيطانية و قرر الدخول

كانت تقف أمام الموقد تقوم بتحضير طبق ما و بداخلها تريد أن تؤخر دخولها أمامهم قدر المستطاع حتى لا تراه ، اقترب منها بهدوء حتى وقف خلفها تماما لا يفصل بينهما سوى الهواء ، التفتت لتجده واقف أمامها يحدق بها بطريقة لم تعجبها و لم ترها منه طوال فترة حياتها هنا شهقت بخوف و سقط الطبق من يدها و قالت بشفاه مرتعشة : انت ايه الى موقفك كده

أعجبته كثيرا نبرة الخوف فى صوتها كما أعجبه أيضا لون وجنتيها و قد اندفعت لهما الدماء بغزارة ليتلونوا باللون القرمزى فمظهرها الآن هكذا يختلف كثيرا عن ما كانت فى آخر مقابلة بينهما حين كانت تحدثه بكل قوة و شجاعة أما الآن فبالتأكيد لن ترفع صوتها أو تستغيث بأحد حتى لا تتسبب فى فضيحة لها و لأهلها أولا ، فالكل يعرف علاقة الحب التى كانت تجمعهم و بالتأكيد سيتهمها الجميع باغواء رجل متزوج مسكين ضعف أمام ابتزازها له

راودته تلك الأفكارالشيطانية وقتها و التى جعلته يطمئن و يقترب منها أكثر و يحاوط خصرها بيديه بجرأة ووقاحة لم تعهدها منه ثم قال بصوت أشبه للفحيح و نظره مصوب تجاه شفتيها : وحشتينى أوى يا آسيا ..

كانت تنظر اله بدموع و هو يقترب منها و شعرت بالخوف و بضربات قلبها التى ازدادت حتى صمت أذنيها ، كانت تشعر بالضعف و قلة الحيلة لا تعرف ماذا تفعل أو كيف تبعده عنها ، قربه منها أثار مشاعرها تجاهه و التى كانت قد دفنتها منذ زمن ، و لكنها تحلت بالقوة عندما اقترب منها حد الخطر دفعته بكل قوتها مستغلة حالة الضعف التى يمر بها ففتح عينيه ليجدها تنظر له بشراسة و فى يدها تمسك سكينا و تقول مهددة و صدرها يعلو و يهبط بجنون : لو قربت منى أكترأنا هموتك يا يوسف

نظر اليها بدهشة فلأول مرة يراها بتلك الحالة عيناها تلمع بالخوف و نفس الوقت يرى بهما لمعة من القوة .. مزيج غريب لم يراه بعينيها من قبل ، ففضل أن يخرج الآن قبل أن تأتى زوجته أو أى شخص و يرى ذلك المشهد ، فقال بتوتر و هو يشير لها أن تبعد السكين : خلاص ..خلاص يا آسيا أنا خارج

عدل من هندامه و خرج من المطبخ بسرعة لتلقى هى السكين أرضا و تسقط دموعها حزنا على حبيب قديم أراد أن يلوث شرفها و شرف أبيها الذى حتى لم يحترم أنه ببيته ، مالت و استندت على الحائط و زاد انهمار دموعها و شعورها بالخوف مازال موجود .. كانت تريد أن تختبىء بغرفتها و تغلق بابها عليها و لا تظهر أمامه أبدا و لكن بالتأكيد ذلك سيثير الشكوك و الظنون بداخل الحاضرين .. وضعت يدها على صدرها و أخذت نفسا عميقا ثم مسحت دموعها و عدلت هندامها و قامت بلملمة أجزاء الصحن المكسور ثم قررت الخروج

****

أحيانا عندما نتخذ بعض القرارات نكون على ثقة تامة بأن وقت تنفيذها سنكون أسعد الناس و أكثرهم فرحا ، و لكننا نغفل عن أشياء آخرى ...أشياء عظيمة سوف تقف كالسد فى طريقنا الذى سلكناه باحثين عن الأمان ، الأمان الذى سنفتقده بالبعد عن تلك الحاجات ، و لكن ما باليد حيلة ،،،

شعور قاس لم تختبره من قبل ينتابها الآن .. شعور الوحدة و الغربة رغم أن الطائرة لم تقلع بعد و لكن لا يوجد فرق !! فبعد دقائق ستقلع الطائرة لتحلق بها بعيدا عن البلد التى ولدت بها و عاشت فيها كل أيام حياتها الحلوة منها و المرة ، ستحلق بها بعيدا عن كل شىء لديها معه ذكرى .. بعد دقائق و ساعات لا تعلم عددها بالضبط ستحط الطائرة ببلد آخرى .. بلد لم تعش بها من قبل ، بلد لا تعرف أى شخص فيها ، لا تعلم شىء عن عاداتها و تقاليدها .. لم تختلط قبلا بأحد من أبنائها ... كل ما تعرفه أن بتلك البلد سوف تجنى و زوجها مالا كثيرا و هنا صغر كل شىء فى عينيها .. شعرت باحتقار تلك الأوراق التى تسببت فى ترك بلدها و عائلتها و كل شىء لها .. و لكن عندما نظرت بجانبها لترى زوجها يحمل طفله و يداعبه و يرد عليه الطفل بالمزيد من الضحكات و القبلات شعرت أن الهدف يستحق .. يستحق منها بعض التضحية

أدركت الآن أنها تركت عائلتها الكبيرة وراء ظهرها بحثا عن أسرتها الصغيرة ... قبل دقائق ودعت والديها و الأصعب من ذلك ودعت ابنة قلبها " آسيا "

نعم ،،

فرغدة لم تكن يوما أخت لآسيا و انما أمها الثانية .. لا من الممكن أن نقول أمها الأولى ، فالأم هى التى تربى و ليست من تنجب فقط ، و رغدة قامت بهذا الدور

على أكمل وجه .. فحينما ولدت آسيا كانت والدتها فى حالة صحية متدهورة و انشغل زوجها بها و باستعادة صحتها فكانوا يقضون معظم الأوقات فى المشفى تاركين مسئولية الطفلة الصغيرة على كاهل رغدة .. فشعرت بالأمومة بوقت مبكر جدا مقارنة بمثيلاتها ، وقتها عندما تلقفت آسيا بين يديها لم يكن عمرها قد تجاوز سن الخامسة عشر بعد .. وقتها شعرت بالمسئولية تجاه تلك الطفلة ..قضت ليالى فى السهر بجانبها بعد أن اعتادت النوم على صوتها و هى تغنى ، كانت تأكل و تشرب من يدها هى ، تعلمت المشى و الحديث بفضلها هى ، كانت رغدة هى وسادتها التى تبكى عليها حين تواجهها أحد المشكلات بالمدرسة ثم الجامعة ، كانت مرآتها التى ترى بها الحقيقة فى جميع أمورها .. تتحدث اليها وكأنها تحدث نفسها و هى على ثقة تامة بأن أسرارها لن تفشى

الآن هى بجانب زوجها و طفلهما و لكن طفلتها الثانية تركتها .. تشعر باعتصار قلبها ألما عليها .. غير مطمئنة عليها بالمرة فكيف تطمئن و هى التى كانت توجهها فى كل شىء ، تساعدها فى النظر للأشياء بمنظور آخر .. تربى و تنصح و تعلم حتى بعدما كبرت طفلتها و دخلت مجال العمل الهندسى .فلا يهم فهى دوما ستظل بأعينها طفلة مهما كبرت ووصلت لأعلى الدرجات العلمية ... و مهما أخبرتها أنها ستكون بخير وحدها فهى تعلم أنها كاذبة

نعم كاذبة .. فآسيا لا تطلب شيئا من أحد مهما كانت فى أمس الحاجة و مهما كان قرب ذلك الشخص منها فهى تمتلك عزة نفس بالغة تمنعها أن تستجدى أحدا كى يظل بجانبها فما الحال و ذلك الشخص هو " رغدة " !

انتبهت الى صوت المضيفة الرقيق و هى تطلب منها ربط الأحزمة لأن الطائرة أوشكت على الاقلاع فأومأت برأسها بهدوء و ربطت الأحزمة جيدا و هنا سقطت من عينها دمعة حارة .. فالآن أدركت أنه لا مفر من الفراق و أن قرارها الذى اتخذته منذ أسبوع جارى تنفيذه ليصبح واقع ملموس لا هروب منه .. نظرت باتجاه النافذة ثم تحسستها بيد مرتعشة و بقلبها شعور عظيم بالحنين .. تعانق جفنيها ألما و حركت شفتيها لتقول بهمس نابع من أعماق قلبها

" فى حفظ الله يا آسيا "

"و قل للماضى سلاما فأبدا لن تعود و لن أعود أنا

و لهذا

سوف أبدأ من جديد "

اليوم هو بداية جديدة بالنسبة لها فى كل شىء .. هو اليوم الأول بالشهر .. اليوم الأول فى فراق رغدة .. اليوم الأول لبداية جديدة لقلبها فالأيام الماضية كانت كالتحدى بالنسبة لها .. أخرجته من قلبها و عقلها .. قامت باعادة ترتيب أوراقها فى تلك القضية الخاسرة .. وقفت أمام مرآتها لتواجه نفسها بالحقيقة .. واجهتها بأن يوسف أصبح ماضى لن يعود أبدا .. ماضى رحل بكل ما يحمل من أوجاع و مآسى .. رحل بعد أن قضى على براءتها بعد أن أفهمها أن المصلحة تأتى أولا قبل الحب بل ربما الحب لم يكن موجود بالأساس و هذا الذى تأكدت منه بنفسها عندما حاول أن يقترب منها فى بيت والدها .. عندما رأته ينظر لجسدها بشهوانية .. عندما أخبرتها زوجته يومها بكل قسوة أنها تحمل فى أحشائها طفلا منه .. وقتها نزل عليها الخبر كالصاعقة و لكنها عادت و استدركت نفسها .. فهذا هو ابن عمها منذ البداية .. أنانى لا يفكر الا بنفسه و بمصلحته و الدليل على ذلك عندما تركها و ذهب ليتزوج برانيا ابنة صاحب المكتب الهندسى الذى كان يعمل به .. تزوجها و اختارها هى لتكون زوجة له و أم مستقبلية لأولاده و لم يعبأ بحب و لا عشق كان بينهما .. فبعد كل ذلك هل يستحق أن يأخذ مساحة حتى و لو صغيرة فى قلبها و عقلها ؟

أرادت أن تخرج نفسها من دوامة الأفكار الخبيثة تلك فزفرت زفرة حارة طويلة و هى تتابع الطريق أمامها .. فالآن هى فى طريقها لبداية آخرى جديدة .. الآن هى متوجهة لمقر العمل الجديد .. تشعر بالسعادة الغامرة لتلك البداية و السبب الأساسى هو أن يوسف لا يعرف هذا المكان و بالتالى سوف تتخلص من ملاحقاته لها .. نظرت فى ساعة يدها لتجد الساعة العاشرة فعقدت حاجبيها ضيقا وتأففت بحنق فلحظها السيء استيقظت اليوم متأخرة على غير العادة ، ولكن معها العذر فالبارحة ودعت حبيبتها و ذلك جعل ليلها مؤرقا للغاية و جعل النوم يجافى عينيها و لا يأتيها إلا وقت آذان الفجر فنامت ساعتين و استيقظت لتجد الساعة الثامنة ...

حاولت أن تغيرهذا المزاج السيء بأن طمأنت نفسها بأن كل شىء سيكون على ما يرام .. فقامت بتشغيل المذياع علها تسمع بعض الموسيقى التى تريحها قليلا قبل أن تذهب الى الشركة و تلقى وبالا من التوبيخ من قبل مديرها .. شغلت المذياع على محطة الأغانى لتسمع المذيع يقول بصوته الرخيم " و دلوقتى هنسمع مع بعض الأغنية الى وعدناكو بيها و الى كتير منكم طلبها و هى .... "

عندما سمعت اسم الأغنية تأكدت من حظها السيىء الذى لم يتركها حتى و هى تحاول الترفيه عن روحها قليلا .. ابتسمت بسخرية و قامت برفع صوت المذياع لتكتمل حالة الشجن التى تعيشها

" يا مسافر وحدك

يا مسافر وحدك و فايتنى

ليه تبعد عنى و تشغلنى "

.. خطت داخل الشركة للمرة الأولى بخطوات واسعة مهرولة و بداخلها تسب و تلعن زحام الطريق الذى جعلها تتأخر عن موعد عملها ساعتين كاملتين ، سألت أحد الأشخاص عن مكتب شئون العاملين ثم توجهت اليه على الفور ، و هناك أنهت أوراق استلام العمل فى مقر الشركة الجديد ... و بعد دقائق كانت أمام مكتبها بصحبة الموظف الذى فتح لها باب المكتب و أشار لها بالدخول قائلا بابتسامة : اتفضلى يا بشمهندسة ده مكتب حضرتك ، و فى نفس الدور فى مكتب رئيس مجلس إدارة الشركة و هو المسئول المباشر لقسم التصميمات

شكرته و أغلقت خلفه الباب بعد أن أخبرها ألا تتردد فى طلب مساعدته إن احتاجت لأى شىء ، وقفت لدقائق تتأمل غرفة مكتبها الجديدة و التى من الواضح أن سلمى لن تشاركها بها ، تأملت اتساع الغرفة و ألوان الحائط الهادئة و التى تبعث الراحة فى النفس ، تقدمت الى مكتبها الجديد الأنيق للغاية وضعت حقيبتها عليه ثم استدارت لتجلس على مقعدها و هى تبتسم برضا و بداخلها تشعر أن تلك البداية ستكون الأجمل فعلى الأقل لم تفرض عليها كباقى البدايات التى ظهرت فى حياتها فى الآونة الأخيرة .. انتبهت الى صوت رنين الهاتف على المكتب فأجابت على الفور ليتطرق الى أذنها صوت أنثوى يخبرها بجدية أن المدير يطلب رؤيتها حالا ، أغلقت معها ثم أخذت نفسا عميقا ..وقفت أمام المرآة الصغيرة بغرفتها الجديدة و عدلت من هندامها ثم خرجت من مكتبها الذى لم تكد تجلس فيه ..

بعد ثوان معدودة انتقلت من غرفة السكرتيرة التى أغلقت خلفها الباب بهدوء الى غرفة آخرى ، وجدت نفسها تقف فى غرفة غاية فى الفخامة ، واسعة للغاية ، يبدو أنها صممت لتكون غرفة مكتب المدير و غرفة اجتماعات أيضا ، وقفت تتأمل الطاولة الكبيرة فى آخر الغرفة و التى يحيط بها عدد هائل من المقاعد الضخمة و الوثيرة جدا أيضا ، أما النصف الثانى فكان عبارة عن غرفة مكتب يتصدرها مكتب فخم لم ترى فى جماله قط و خلفه مقعد لا يختلف فى ضخامته و نوعه كثيرا عن مقاعد طاولة الإجتماعات و لكنها لم ترى منه سوى ظهره فقط لأن صاحبه ملتف به و يوليها ظهره و لكن ما جذب عينيها و جعلها تتناسى ذلك المدير الفظ و الذى لم ينتبه لوجودها تلك اللوحة الزيتية التى تتوسط الجدار خلفه فتفاصيلها الكثيرة و التى لم تفهمها و ألوانها المتداخلة بريشة فنان عبقرى جعلها تحدق بها و بشدة ،

كانت تريد أن تقترب منها أكثر تلمسها بيديها و تفهم فكرة الفنان الذى رسمها و تعرف لما اختار تلك الألوان التى من الصعب أن تجتمع معا ، و لكن ما قطع عليها التحديق باللوحة الصوت الرجولى الأجش الذى جاءها من خلف المقعد و الذى لم ترى صاحبه بعد و هو يقول : الساعة معاكى كام ؟

سؤاله أثار توترها و تذكرت تأخيرها اليوم و الذى كانت قد نسيته عندما رأت تلك اللوحة ، نظرت فى ساعة يدها ثم قالت بخزى و هى ترمش بعينيها باتجاه المقعد الملتف صاحبه : الساعة 11 و نصف

ازداد توترها حين التف المقعد لترى صاحبه ، رجل يبدو أنه فى أواخر الثلاثينيات يضع ساقا فوق الآخرى ، يشبك أصابع يديه ببعضها و يستند بهما على سطح مكتبه ، نظرة عينيه الحادة و حاجبيه المنعقدين أثاروا الرهبة فى نفسها ، فهاهى و لأول مرة تقف كالتلميذ الذى لم ينهى واجباته المدرسية بعد ، و لأول مرة أيضا ستنال توبيخا بسبب تأخيرها

سمعت صوته للمرة الثانية يقول بغلظة : أظن ان معاد حضرتك الساعة 8 مش كده ؟

أجابته بهزة رأس ثم قالت بخجل : أنا آسفة يا فندم لكن .. قاطعها بإشارة من يده فصمتت و ابتلعت ريقها ليقول هو : واضح انها بداية مش كويسة يا بشمهندسة ، العمل فى الشركة دى له قواعد و ضوابط لازم الكل يمشى عليها ، و الى يقصر يبقى ملوش مكان هنا ثم قال و هو يحذرها بسبابته : مهما كانت درجة كفاءته

شعرت بالحرج الشديد و انعقد لسانها ولم تجد ما تقوله ، شعرت بالدموع بدأت تتجمع بعينيها و شعرت برغبة فى البكاء فنظرت أرضا و عضت على شفتيها حتى لا يراها تبكى و هى تراه لم يرمش بعينيه أو يحيد ببصره عنها منذ بدأ فى الحديث حينها أردف هو قائلا بنفس النبرة الغليظة : مخصوم من حضرتك يوم كامل و لو اتكرر ده تانى فأنا ساعتها هضطر أخد إجراء تانى خالص ممكن ميعجبش حضرتك

بعد ثوانى رفعت رأسها لتعرف سبب صمته فوجدته يقلب فى بعض الأوراق و قد ارتدى نظارته الطبية فشعرت بالمهانة الشديدة فهو حتى لم يكلف نفسه عناء أن يخبرها أن تذهب الى مكتبها ، نظرت له بغيظ و استدارت و أوشكت على فتح باب غرفة مكتبه و الخروج منها و لكنها توقفت عندما سمعته يقول بجدية : الملفات الى على مكتبك تخلص فى خلال يومين مش أكتر

خرجت من الغرفة و عندما التفت لتغلق الباب خلفها وجدته مازال يحدق بالأوراق أمامه و كأن رؤيتها ستسبب له فقدان البصر ، أغلقت الباب ثم اختفت من أمام السكرتيرة بسرعة ، دخلت مكتبها و ما إن أغلقت الباب خلفها حتى أطلقت لدموعها الحبيسة العنان ، بكت كما لم تبكى من قبل ، فطيلة مدة عملها منذ تخرجت من كلية " الهندسة " لم يكلمها أحد بتلك الطريقة المهينة ، و لم يوبخها أحد على شيء ، فقط ما كانت تسمعه هو إطراءات على تصميماتها الهندسية من قبل مديريها ، و أبدا لم يحدثها أحد بتلك الطريقة الفظة ، و بعد وقت ليس بطويل مسحت دموعها و بللت وجهها بالماء و هدأت من روعها قليلا حتى انتظمت دقات قلبها و جلست خلف مكتبها و بداخلها إصرار و تحدى على إنهاء تلك التصميمات قبل يومين ، ستعمل جاهدة حتى تغير فكرته الخاطئة عنها فهى لم تكن يوما بالمهملة أو المستهترة ، ستجعله يرى من هى " آسيا " ، فتلك البداية تستحق المثابرة .

****

لم تكن البدايات من حقها هى فقط بل كان لغريمتها نصيب أيضا ، كانت تفترش الأرض و تحيط بها كومة من ملابس الأطفال التى ابتاعتها بصحبة والدتها صباح اليوم ،و لأن الوقت لم يكن قد حان بعد ليستطيع الطبيب تحديد نوع الجنين ابتاعت ملابس كثيرة تناسب الطفل القادم أيا كان نوعه ، كانت تقلب فى الملابس وتتأملها بفرح حقيقى تماما كالطفلة التى ابتاع لها والدها ثوب جديد ليلة العيد فكانت تقرب الملابس من وجهها و تقبلها بشوق ، تستنشق بها عبير أطفالها و الذين لم يكتمل نموهم برحمها بعد ثم تعود و تتأملهم من جديد ، تتهيأ منظرهم بداخل تلك الملابس و تسأل نفسها كيف سيكونون ؟! .. تتمنى لو يمر الوقت سريعا حتى تستطيع أن تراهم ، تريد أن تنعم بشعور جديد لم تختبره قط ، أعظم شعور من الممكن أن تشعر به امرأة ؛ شعور الأمومة ، أن تصبح مسئولة عن طفل و طفلة يتشبثون بها طيلة الوقت ، يكونون فى حاجة اليها دائما ، تقربهم من صدرها لتشعر بدقات قلبهم بجانب قلبها ، تطعمهم بيديها ، تأخذ بأيديهم ليخطو أولى خطواتهم فى الحياة ، تنهدت براحة و هى ترسم فى مخيلتها مستقبلها معهم ، فبالتأكيد سيكون أفضل و أجمل من أن تكون بمفردها كما كانت طيلة حياتها .. كانت عازمة أن تجعل منهم اخوتها الذين لم تنجبهم أمها ، عندما وصلت بتفكيرها الى هذا الحد عاد اليها الشعور الذى تمقته ؛ شعور الوحدة هذا الشعور الذى ظلت تعانى منه كثيرا و لكنه تضائل كثيرا عندما تزوجت بيوسف فحبها له ملأ عليها حياتها ووجدانها و شغلها عن أى شيء آخر حتى عملها تركته بكل أريحية حتى تتفرغ له و لكن شعور الاخوة يختلف كثيرا ، فكم كانت تتمنى أن يكون لديها شقيقة تشاركها أحزانها قبل أفراحها و تلجأ اليها فى أوقات يكون من الصعب اللجوء لوالدتها لشعورها ببعض الحرج ، أو

يكون لديها شقيق يكون لديها سند و عون يقف معها فى وجه الدنيا اذا جارت عليها أو منعتها من أخذ حقها ، يكون بديلا لوالدها الراحل ... دمعت عيناها عندما تذكرت والدها الراحل فضمت الملابس بقوة الى صدرها و رجعت بجسدها للوراء لتستند بظهرها الى الأريكة ، أغلقت عينيها و ظلت تربت على الملابس بهدوء و بداخلها شعور عظيم بالشوق لأناس رحلوا من هذه الدنيا و أناس على وشك المجىء .. ظلت على ذلك الوضع لوقت لا تعرف مدته بالضبط و لكنها أفاقت من تخيلاتها تلك عندما تطرق الى أذنيها صوت ففتحت عينيها بسرعة لتجده يفترش الأرض بجانبها ينظر اليها و يضحك بملء فمه فوكزته فى صدره و قالت بحنق مصطنع : بتضحك على ايه ؟

ازدادت ضحكاته و علت أكثر من مظهرها الطفولى فقال من بين ضحكاته : عليكى يا حبيتى ، قاعدة على الأرض و حاضنة الهدوم جامد كأنها هتهرب منك

وضعت الملابس جانبا و نهضت من مجلسها و ارتكزت على ركبتيها ثم ظلت توكزه فى صدره و هى تقول بحنق :ماشى يا يوسف ببتريق عليا ؟؟! أنا هوريك

تظاهر بالدفاع عن نفسه من ضرباتها الخفيفة لتزيد هى منها أكثر ، ولكن فجأة نهض من مكانه و ضمها الى صدره بحنان و قبل جبينها و قال محاولا تهدئتها و هو يجلسها بجانبه أرضا : خلاص يا ستى حقك عليا ، بس قوليلى ايه كل الهدوم دى ؟ جبتيها ليه و احنا لسه حتى معرفناش البيبى الى جاى ولد و لا بنت ؟

تشبثت به أكثر ثم تنهدت قائلة : وحشونى أوى يا يوسف، نفسى أشوفهم و أخدهم فى حضنى

حاول أن يضفى بعض المرح فقال بتساؤل و هو يربت على ظهرها بحنان :طب قوليلى عاوزة البيبى الى جاى ده ولد و لا بنت ؟

تملصت منه برفق و اعتدلت فى مجلسها أمامه و قالت بثقة و هى تنظر بعينيه : نفسى يجى ولد ، تعجب كثيرا من ردها فأردف قائلا باستغراب : غريبة يعنى يا رانيا ده كل الستات بيبقى نفسهم فى بنت دايما ؟

اقتربت منه قليلا و أمسكت بيده ووضعتها على بطنها ثم قالت بنبرة تحمل ما يكمن بقلبها تجاهه و هى مازالت تحدق بعينيه و لكن بعمق أكثر تلك المرة : أنا مليش دعوة بحد ، أنا نفسى فى ولد يكون شبهك ، حتة منك جوايا و معايا و جمب قلبى ، طفل جه للدنيا نتيجة حبنا ، طفل شايل دمى و دمك ، عايزة لما أبصله أشوفك أنت

صمتت قليلا ثم قالت بعينين دامعتين : يوسف أنت مش عارف أنا بحبك قد ايه

كان ينظر لها بذهول و قد شعر بصدق كل حرف نطقت به و كل كلمة تفوهت بها كانت كالسهم النافذ بصدره ومن ثم الى قلبه ليشعره كم هو أنانى و كم هو ضئيل أمامها ، ببضع دقائق لخصت ما تكن له بقلبها و ما تحمل له من عشق و حب لو وزع على العالم سيكفيه و يفيض ، حاول أن يتحدث و لكنه لم يستطع ، لم يستطع أن يسمعها كلمات زائفة لا تمت للواقع بصلة ؛ فببساطة هى لا تستحق ذلك ، تمنى فى قرارة نفسه لو أنه لم يحب الآخرى يوما ؛ فبالتأكيد وقتها كان سيستطيع أن يوفى زوجته ما تستحق ، زفر زفرة حارة ثم ضمها الى صدره مرة آخرى و لكن تلك المرة كان يضغط علىها بقوة بينما كانت هى متشبثة بقميصه ، مغمضة العينين تستنشق عبيره الذى يشعرها دوما بالأمان

"و بعدت عنك و الفكر كان دايما وياك

و القلب منك غضبان فى دنيا الحب معاك "

****

طرقت باب مكتب السكرتيرة الخاصة به ثم دخلت وسألتها عنه قائلة : البشمهندس "على" موجود ؟ ..أخبرتها أنه بمكتبه فطلبت الدخول له .. نهضت السكرتيرة من مكانها و طرقت باب مكتبه ثم أدخلتها و أغلقت الباب خلفها بهدوء ، نظر اليها نظرة سريعة ثم عاود النظر فى الأوراق أمامه بينما أشار لها بالجلوس قائلا : اقعدى ثوانى من فضلك

جلست أمامه تنظر أرضا و هى تمسك بالتصميمات فى يدها و تهز قدمها بتوتر ...بعد عدة دقائق أغلق الملف الموجود أمامه و انتبه لها قائلا بتساؤل : خير يا بشمهندسة ؟

تنحنحت قائلة و هى تظهر التصميمات أمامه : أنا خلصت الشغل الى حضرتك طلبته منى و حابة أعرضه على حضرتك عشان لو فى أى تعديلات نلحق نخلصها قبل العميل ما يشوفها

رجع بمقعده للخلف و رفع ساقا فوق الآخرى ثم قال بابتسامة سخرية : معقول ! ده أنا اديتلك يومين و تصورت إنك هتطلبى وقت أكتر عشان تلحقى تخلصيهم

شعرت بالإهانة من تلميحاته السخيفة و معاملته الجافة معها و سخريته منها فهبت واقفة و قالت بحنق و قد عقدت حاجبيها : انا بهتم بشغلى جدا و دايما بخلصه فى الوقت المطلوب و قبل وقته كمان ، لكن حضرتك الى أخدت عنى فكرة وحشة لمجرد إنى إتأخرت يوم واحد و ده أصلا مش من عادتى ، و أظن حضرتك لو سألت المهندس عامر مدير الفرع الى كنت بشتغل فيه هيقولك و هيشهدلك بكفاءتى

لم يكن يتوقع ردة فعلها الهجومية تلك ، فظل يتفحصها من رأسها لأخمص قدمها و قد لاحظ علامات الغضب الشديد المرسومة على وجهها الأبيض و هى تنظر له بحنق ، وبعد وقت كانت تشعر فيه بالخجل من نظراته المتفحصة وعلى عكس توقعاتها بأن يطردها أو أن يطلب منها تقديم استقالتها من العمل ، رأته ينهض من مكانه و يذهب للجلوس على مقعده فى مقدمة طاولة الإجتماعات ثم يشير لها بالجلوس بجانبه قائلا بهدوء لم تتوقعه تماما : تعالى ورينى التصميمات الى عملتيها

تحركت نحوه بخطوات واثقة ثم جلست بجانبه و قامت بفتح أحد التصميمات و بدأت تشرحها له ، كانت تشرح له كل تفصيلة صغيرة قامت بها و تناقشه بكل جدية ، مر وقت طويل فى مناقشتهما لتلك التصميمات التى نفذتها و التى أعجب بها كثيرا ، كان معجب بطريقة شرحها للتصاميم ، ذكاءها الذى يطل من عينيها الخضراوتين ، حبها للعمل و الذى يظهر فى نبرة صوتها ، فى حركاتها و إشاراتها و هى توضح له بجدية وجهة نظرها ، نظرتها المتحفزة إليه لتعلم فيما أخطأت فتحاول تصحيحه

بسرعة بل و الإضافة عليه ما سيسر العميل .. نظرت إليه بخجل شديد و توقفت عن الحديث عندما لمست بأناملها الصغيرة كفه العريض خطأ و لكنه أراد أن يرفع الحرج عنها فلم ينظر إليها و استدرك الموقف سريعا بأن سألها عن أحد التفاصيل فى تصميم معين فابتلعت ريقها و أجابته على الفور و قد حمدت الله فى سرها أنه لم ينتبه لما حدث لتركيزه الشديد فى العمل ....و بعد ما يقرب من ساعة انتهوا من المناقشة و الإتفاق على التعديلات التى ستضيفها هى لتلك التصميمات ، نهضت من مكانها و قامت بلملمة أوراقها بينما خلع هو نظارته الطبية و فرك بيده جانب وجهه بإرهاق ..بينما أوشكت على الإقتراب من باب مكتبه و الخروج أوقفها قائلا بجدية : استنى

التفتت إليه لتجده مازال جالسا بمكانه أمام طاولة الإجتماعات يعبث بنظارته و لا يتحدث ، كورت قبضتها غيظا من طريقته المستفزة تلك .. و بعد دقائق من الصمت نطق أخيرا وهو يعبث بقلم فى يده و يدق به ببطء على الطاولة و كأنه يود إثارة توترها و قال : أنا أول مرة حد يكلمنى بالأسلوب ده .. خصوصا لو كانت واحدة ..أردف و هو يتفحص القلم و يقلبه بين يديه دون أن يعيرها و لو التفاتة : موظفين كبار ميقدروش يكلمونى كده

وبهدوء التفت بمقعده و نظر لها أخيرا و لكنها نظرة أرجفت أوصالها وقال بهدوء شديد : أنا مأخدتش عنك فكرة وحشة بمزاجى .. حضرتك السبب .. أنتى جيتى أول يوم ليكى هنا متأخرة .. و المفروض إن ده اليوم الأول لينا سوا و المفروض أتعرف فيه عليكو و أعمل معاكم اجتماع نوضح فيه الطريقة الى هنمشى بيها الشغل

ازداد توترها و شعرت برعشة فى جسدها عندما رأته يضع القلم على الطاولة بهدوء ثم ينهض من مكانه و يمشى باتجاهها واضعا يديه بجيوب بنطاله ناظرا لأى شىء فى الغرفة سواها ..احمر وجهها بشدة و شعرت بحرارة جسدها قد ارتفعت عندما وجدته قد توقف أمامها مباشرة تاركا بينهم مسافة قصيرة للغاية ، مسافة تظهر فارق الطول بينهم و فارق الحجم أيضا ، فقد كان طويل القامة عريض المنكبين ذو جسد رياضى ليس بالضخم و ليس بالضئيل أيضا و انما وسط بينهما ، نزل بجسده الى مستواها و هو مازال واضعا يديه بجيوب بنطاله ، و للمرة الأولى نظرت بعينيه مباشرة و نظر لها نظرة سبرت أغوارها و قال بعد ثوانى بنبرة منخفضة للغاية : على فكرة المهندس عامر اتنقل لفرع فى اسكندرية و خلاص مبقاش مديرك .. ابتسم بجانب فمه و قال و هو يضغط على حروف كلماته : أنا هنا هبقى المدير بتاعك ... ينفع يا آسيا ؟

كانت المرة الأولى التى تسمع فيها اسمها منه .. فقالت و هى تنظر له بثقة حاولت رسمها بصعوبة أمامه فى ذلك الوقت : ينفع يا بشمهندس .. عن إذنك

قالتها و اختفت من أمامه .. دخلت غرفتها و أغلقت الباب بسرعة و هى تضع يدها على صدرها الذى يعلو و يهبط بجنون ، نظرت لنفسها فى المرآة وجدت وجهها قد أصبح قرمزى اللون ، كانت تشعر بأن أنفاسه الحارة مازالت تحيط بها و نظرته لها مازالت أمام عينيها ، أغمضت عينيها و حاولت أن تهدأ نفسها بأن أخذت عدة أنفاس عميقة و لكنها فشلت فى استعادة توازنها الذى مثلته أمامه ، لا تعرف لما أصابتها تلك الحالة فتلك المرة الأولى التى تقترب فيها من عرين ذلك الأسد ذو الجسد الضخم ، تلك المرة الأولى التى ينظر لها مباشرة و تلك المرة الأولى أيضا التى ينطق فيها اسمها و دون ألقاب ، غسلت وجهها بالماء عدة مرات ثم جففته ، جلست خلف مكتبها و أغمضت عينيها قليلا حتى تستطيع محو صورته من أمامها و بالكاد استطاعت أن تتناساها بأن شغلت نفسها بالعمل .. و بعد فترة حمدت الله عندما نظرت فى ساعة يدها ووجدت أن حان موعد عودتها للمنزل .. دلكت رقبتها بيدها بتعب ثم نهضت و أخذت حقيبتها و استقلت المصعد .. أوشكت على ركوب سيارتها و لكن استوقفها شىء لأول مرة تراه بتلك الشركة .. رأته على مسافة بعيدة يقف بجانب سيارته بصحبة شاب و فتاة و يبدو من طريقتهم معا أنهم أصدقاء فضحكته الواسعة معهم و التى تراها للمرة الأولى تدل على ذلك ، رأته يرتدى جاكيت بدلته و يغلق أزرارها ثم يستقل سيارته بصحبتهم و ابتسامته لم تفارق وجهه ثم يرحل .. زفرت بحنق لم تعلم سببه ثم استقلت سيارتها هى الآخرى و خرجت من تلك الشركة التى منذ عملت بها و هى لم ترتح و لو ثانية .. و لا تعلم ما يخبأه القدر لها هنا

****

بعد يوم عمل طويل ، كان جالسا بالنادى مع صديقه و خطيبته حين قال بتساؤل " مش ناويين بقى تفرحونا بيكم و تتجوزوا و لا ايه بالضبط " قالها على بإبتسامة واسعة ، ليجيبه الجالس أمامه بعد أن ترك كوب العصير الذى كان يرتشف منه على زجاج الطاولة و يقول : لسه بدرى يا عم على ... مش لما نلاقى شقة الأول نتجوز فيها

اعتدل على فى جلسته و قال بتعجب : طب يبنى و لزمتها إيه بس الشقة ما تيجوا تتجوزوا عندى فى الفيلا .. الفيلا واسعة و كبيرة

تدخلت الجالسة معهم و قالت بمزاح : ليه بقى يا على أنت مش ناوى تتجوز و لا ناوى تضرب عن الجواز ؟

أشاح لها بيده و قال بإبتسامة سخرية : بقى بذمتك حد يجيب لنفسه وجع الدماغ .. لا لا أنا كده حلو أوى الحمد لله

قهقه صديقه " عمرو " كثيرا على كلماته تلك بينما نظرت له خطيبته " دينا" بضيق مصطنع و قالت بتوعد : كده ماشى يا على .. ثم وجهت نظرها للآخر و قالت : إضحك أوى يا سى عمرو ما الكلام جه على هواك طبعا

تدخل على قائلا بجدية أكثر تلك المرة : لا بجد يا عمرو أنت يا بنى مش لقيت شغل جديد و لا بتضحك عليا عشان متشتغلش معايا ؟

ترك كوب العصير جانبا بعد أن ارتشف آخر قطرة منه و قال بجدية : يا على أنت عارف رأيى كويس فى مسألة شغلى معاك .. أنت عارف مبدأى " صاحبك الى تحبه لا تحاسبه و لا تناسبه " .. ثم متخافش أنا الحمد لله لقيت شغل كويس أوى فى مكتب كبير و صاحبه بيثق فيا أوى و معتبرنى ذراعه اليمين

اغتاظ على من كلامه كثيرا فقال : ماشى يا عم عمرو .. أمال مستنى ايه أنت و دينا هانم ؟

أجابه عمرو قائلا بجدية : و الله يا على بدور .. أنا متفق مع السمسار لما يلاقى حاجة كويسة يكلمنى .. و أدينى مستنى

تدخلت دينا فى الحديث قائلة : و الله يا على مكلمين كذا سمسمار كمان .. بس لسه مش لاقيين حاجة عدلة

نقل نظراته بينهم و هو يتمنى لهم الزواج فى أقرب فرصة فنظرات الحب التى يتبادلونها سويا تخبره كم الإشتياق الذى يعيشونه .. فمن لديه فى هذه الدنيا سوى صديقه " عمرو" و خطيبته "دينا " .. هم من خرج بهم من تلك الدنيا .. هم من يشعر بجوارهم بالراحة و يضحك من أعماق قلبه .. فبرغم نفوذه و ثروته الطائلة و برغم المحيطين به يشعر بالوحدة فهو يعلم جيدا إن خسر أى شىء من أمواله الطائلة لن يجد أحدا بجانبه سوى صديقه .. صديقه الذى يرفض العمل معه حتى لا يفتح عليهم بابا تتسلل منه المشكلات التى قد تتسبب فى خسارتهم لبعض .. أفاق من شروده على صوت دينا و هى تقول : " على .. سرحان فى إيه .. يلا هنتأخر على السينما"

أومأ برأسه بإبتسامة و طلب منهم أن يسبقوه إلى سيارته بينما سيلحق بهم .. أشار إلى النادل و نقده المال .. و عندما انتهى رفع رأسه و ابتسم عندما رآهم من بعيد يضحكون سويا و أصابعهم متشابكة ببعضها ..تنهد بحزن و تمنى فى قرارة نفسه أن يعيش حالة الحب تلك .. الحب الذى لم يعيشه يوما .. و إنما عاش مجرد نزوات سريعة و صداقات زائفة بمن كن طامعين به .. لم يجد فى أى منهن من تملأ قلبه حبا أو تغدق عليه حنانا حرم منه ..و إنما كان يرى بأعينهم طمع بنفوذه و ماله و رغبة فى البقاء بجواره و التفاخر أمام الجميع بالزواج من ذلك الفاتن " على " .. كان يكره أن يكون بالنسبة لهن مجرد كنز ملىء بالمال يغترفون منه ما يشاءون ... و لذلك أعلن إضرابه عن الزواج حتى يجد من تلتقطه من ذلك الثرى المدفون به و تقوم بتلميعه لترى معدنه الحقيقى .. تنفذ إلى قلبه و تملؤه حبا لا يستطيع مقاومته ، و تنطق دماءه باسمها .. و لكن هل سيجدها يوما أم أنه يحلم ؟

****

مرت فترة ليست بالقصيرة على عملها بمقر الشركة الجديد ، فترة استطاعت خلالها أن تثبت له كفاءتها بالعمل كما استطاعت أيضا أن تكسب ثقته بعدما أسند لها بعض المهام و التى كانت حريصة على أن تنجزها فى أقصر وقت ممكن و هذا أكسبها شعور عظيم بالراحة فعلى الأقل إستطاعت أن تجعله يراها بصورة مختلفة عما كان يعتقد ، فهذا هو ما يهمها الآن و يشغلها " العمل " فقط تريد أن تكبر و تترقى إلى مناصب أعلى فهذا هو ما كان همها دوما أن تصبح الأولى قبلا بالجامعة و من قبلها المدرسة و الآن ب " شركة على "

رفعت وجهها عن الأوراق الموضوعة أمامها على المكتب لترد على الهاتف الذى يرن منذ دقائق لتجدها صفاء تخبرها بجدية " المهندس على عاوزك حالا فى مكتبه " ، أغلقت الهاتف و اتجهت إلى مكتبه فى الحال ، أشار لها بالجلوس أمامه ثم قال بجدية و هو يشير إلى ذلك الأربعينى الجالس قبالتها : أعرفك بنادر بيه المالك رجل الأعمال و يعتبر أهم عميل عندنا هنا فى الشركة

هزت رأسها مرحبة به و قالت بإبتسامة صغيرة و هى تنظرإليه بخجل من نظراته التى لم تسترح لها بالمرة : تشرفنا يا نادر بيه ليرد هو بإبتسامة أكبر و يقول و هو مازال على نظراته الجريئة لها :الشرف لينا يا بشمهندسة

لم تعجبها أبدا نبرته و لا نظراته تلك فأشاحت بوجهها بضيق و نظرت إلى مديرها الذى كان منشغل ببعض الأوراق أمامه و قالت بتساؤل : خير يا فندم ؟ ترك الأوراق جانبا ثم انتبه لها و قال بجدية : نادر بيه بيبنى فيلا فى أكتوبر و عايز

شركتنا هى الى تصممهاله عشان كده عاوز حضرتك تقعدى معاه و تشوفى إيه البلان الى هو عاوزه علشان ننفذه

نقلت نظرها إلى ذلك الجالس أمامها و الذى ينظر لها بإبتسامة عريضة فأخفضت رأسها و نظرت أرضا و ظلت تفرك يديها توترا .. تفكر كيف ستخرج من هذا المأزق ، فهى لا تريد أن تتعامل مع هذا الشخص الوقح الذى يمطرها بتلك النظرات الجريئة و لكن ماذا تفعل ؟ فكرت أنها إن رفضت فسوف تنال توبيخا من مديرها الذى استطاعت بالكاد كسب ثقته و ليس بعيدا عليه أن يطلب منها تقديم استقالتها و ترك العمل و هذا سوف يضطرها الى المكوث بالمنزل عدة أشهر حتى تستطيع إيجاد وظيفة آخرى و التى ستبدأ فيها من الصفر و براتب أقل .. صمتها أثار قلقه فقال بتساؤل : بشمهندسة آسيا .. أنتى كويسة ؟

انتبهت إليه و قالت بتلعثم : أبدا يافندم بس .... ترددها جعلت ابتسامته الجريئة تختفى و يحل محلها الضيق ، شعر بالخوف أن ترفض العمل معه و إسناد تلك المهمة لمهندس آخر و لكن تهللت أساريره عندما سمعها تقول لعلى : آسفة يا فندم .. بس سرحت شوية .. مسحت جبينها المتعرق بتوتر ثم قالت : تمام .. هقعد مع حضرته و أرسم البلان الى هو عاوزه .. اتفضل معايا على مكتبى ، قالتها و نهضت من مكانها فى حين تبعها هو و تلك المرة كان يتفحصها بجرأة و أريحية أكثر فالآن على لن يشاركهم تلك الجلسة .. و التى ستكون خاصة جدا من وجهة نظره

****

دقة قلب !!

كانت تعبث فى حقيبتها حين وصل المصعد فاستقلته و أوشك الباب أن يغلق و لكنها وجدته يدخل من خلال الباب و يضغط زر النزول ، تنحت جانبا بحرج و ظلت تنظر أرضا حتى وصل المصعد بهم إلى الطابق الأرضى .. انتظرت حتى يخرج ثم خرجت وراءه ... ركبت سيارتها و تحركت بها و بعد وقت ليس بالكثير توقفت السيارة فجأة ، زفرت بضيق ثم نزلت منها و فتحت غطائها الأمامى و لكنها قالت متمتمة لنفسها بسخرية " هو أنتى أصلا يا آسيا بتفهمى فى العربيات " أغلقت الغطاء بغضب ثم التقطت هاتفها الخلوى و حاولت الإتصال بوالدها و لكن دون جدوى فهاتف والدها مغلق ، ركلت السيارة بقدمها بضيق و زفرت بغضب , نظرت حولها فوجدت الطريق خالى تماما من المارة و السيارات ، شعرت بخوف خاصة عندما وجدت الشمس قد أوشكت على الرحيل ، احتضنت نفسها بيديها تحاول بث بعض الدفء لنفسها و أغلقت عينيها لثوانى تدعو الله أن يساعدها ثم فتحتهما و قد اغرورقتا بالدموع .

و كأن باب السماء كان مفتوحا فى ذلك الوقت فبعد قليل من الوقت رأت سيارة تركن خلف سيارتها مباشرة فتأهبت فى وقفتها و هى على إستعداد لتطلب منه المساعدة ، و لكنها تسمرت فى مكانها عندما وجدته هو ، رئيسها فى العمل ، ابتلعت ريقها فى توتر حين رأته يقترب منها و يسألها ما الخطب الذى جعلها تتوقف هكذا فى الطريق

فركت يديها فى توتر ثم قالت بتلعثم و هى تضغط على شفتيها بحرج : العربية وقفت فجأة و مش عارفة أعمل إيه و مبفهمش فى تصليح العربيات خالص

قالت جملتها الأخيرة بحرج شديد فقد خافت أن يشمت بها خاصة بعد أن صرخت فى وجهه فى مكتبه عندما اتهمها بالتقصير فى عملها ، و لكنه دائما ما يخلف توقعاتها حيث وجدته يتجه نحو سيارتها بهدوء ، يفتح غطائها الأمامى ثم تفحصه لدقائق بعدها اتجه نحو سيارته و خلع جاكيت بدلته ووضعه بها ثم شمر عن ساعديه ووقف يصلح سيارتها بعدما أحضر شنطة " العدة " من سيارته ، بينما هى تنحت جانبا تراقبه بإعجاب و تقدير ، لأول مرة يتاح لها أن تراقبه عن قرب دون خجل من نظراته فى المقابل ، وجدت نفسها تبتسم لاإراديا ، و لكن سرعان ما اختفت تلك الإبتسامة واعتدلت فى وقفتها حين اقترب منها و هو يعدل من هندامه و قميصه و يطلب منها أن تجرب السيارة الآن

أومأت برأسها و ركبت السيارة و أدارت المفتاح فوجدتها تعمل ، خرجت منها و قالت له بإبتسامة فرحة رآها على وجهها لأول مرة : متشكرة أوى يا بشمهندس .. حقيقى مش عارفة أقولك إيه

لم ينطق بكلمة و إنما كان مأخوذ فى عالم آخر حين رأى تلك الإبتسامة الرائعة ترسم على محياها فى هذا الوجه الصافى البرىء ، وجد نفسه يقترب منها قليلا و يقول بنبرة حالمة لم تسمعها منه قبلا : أنتى تؤمرى

رفعت حاجبيها دهشة من هول الصدمة فلأول مرة تراه يتحدث بتلك النبرة ، و لكنها وجدته فجأة يشيح ببصره عنها و قد قطب جبينه و قد عاد إلى هيئته المعتادة ، وجدته يقول دون أن ينظر لها : اتفضلى اركبى و أنا همشى وراكى شوية

انصاعت لأوامره و ركبت سيارتها بسرعة فقد شعرت بالحرج الشديد فبعدما تباسطت معه قليلا فى الحديث و لان هو معها للمرة الأولى وجدته يصدها بتلك الطريقة و هى فى الأساس لم تكن تريد أى شىء منه سوى أن تشكره على تعبه معها ، تنهدت براحة عندما افترقوا عند مطلع أحد الطرق ووجدته ينطلق بسيارته أمامها ، حمدت الله سرا ثم تابعت طريقها للمنزل

****

كانت تتقلب على فراشها بضجر فلقد جافى النوم عينيها اليوم و لا تعلم السبب ، قامت من فراشها و اتجهت نحو شرفة غرفتها ، فتحت النافذة ووقفت فى الشرفة قليلا مغمضة العينين تستنشق نسيم الليل البارد المنعش عله يهدئها قليلا فتستطيع النوم ، أحكمت إغلاق الروب على ثوب نومها ثم التقطت مقعد و جلست عليه ، كانت تنظر إلى الشارع أمامها بملل ، كان الطريق خالى إلا من السيارات التى تمشى بسرعة فائقة ، و رغما عنها تذكرت موقف المدير معها اليوم ، استندت بمرفقها على سور الشرفة وتخللت بأصابعها خصلات شعرها ، تذكرت منظره الوقور و هو ينزل من سيارته و يسألها بجدية إن كانت تحتاج للمساعدة ، عندما خلع جاكيت بدلته و شمر عن ساعديه ، و عندما اقترب منها و تحدث معها بنبرة رقيقة لم تسمعها منه قبلا ، وجدت نفسها تبتسم ابتسامة حالمة و هى مازالت تلعب بخصلات شعرها ، و لكنها فجأة انتبهت لتصرفاتها و لامت نفسها على تصرفات المراهقين تلك ، فقامت من مجلسها ، و أغلقت النافذة و دخلت إلى الفراش و تدثرت بالغطاء جيدا و فركت يديها بتوتر و قد عقدت حاجبيها ضيقا و قالت لنفسها بصوت مسموع : فوقى يا آسيا ، مش ناقصة فى حياتى يوسف تانى

لامت نفسها على علو صوتها عندما سمعت طرقات على باب غرفتها ، وجدت والدها يدخل بهدوء و يغلق الباب خلفه فابتسمت له مرحبة بوجوده ، جلس على طرف الفراش ثم قال بنبرة تحمل من حنانه الأبوى الفائض : حبيبة بابا صاحية ليه لحد دلوقتى ؟ .. بتفكر فى مين ؟

دهشت من سؤاله فكأنه يعلم ما يدور بداخلها و لكنها قالت دون النظر لعينيه : ولا حاجة يا بابا ، مبفكرش فى حد ، هفكر فى مين يعنى

ضحك ضحكة صغيرة ثم أدار وجهها ناحيته و قال بنبرة رقيقة : شوفى يا آسيا يا بنتى ، أنا أتمنى إنك تحبى و تعيشى حياتك زى أى بنت ، تتخلصى من الماضى الى مقيدك و مقيد قلبك و رابطه بسلاسل خنقاه ، آن الآوان بقى انك تقطعى السلاسل دى و متسبيهاش تتحكم فيكى و لا تتحكم فى عواطفك

اغرورقت عينيها بالدموع و قالت بنبرة مكتومة : أنا فعلا يا بابا بحاول أنسى الماضى و أتخلص منه لأنى مبقتش فاكرة من ذكريات حبى القديم غير الوحش منها ، صدقنى الوحش بس ، بس حتى الوحش ده مش عارفة أنساه .. تنهدت ثم قالت : صدقنى يا بابا أنا إن كنت ندمانة و زعلانة فأنا ندمانة على نفسى على قلبى الى اديته لشخص ميستاهلوش ، صدقنى يا بابا

قالتها و ارتمت بأحضانه ، أخذ يمسح على شعرها و ظهرها بحنان بالغ و ظل يتلو بعض الآيات القرآنية حتى هدأت قليلا و توقفت عن البكاء ، ثم أجلى صوته و قال بجدية : الحياة يا يا بنتى مبتقفش على حد ، و لازم الإنسان طول ما هو عايش يجرب و يقابل ناس ، منهم الى يطلع وحش و ميستاهلش إن إحنا نفكر فيه و إنما نتجنبه ،و منهم الى يطلع كويس و يستاهل إننا نحطه فى مكانة كبيرة فى حياتنا ، ومنهم الى يبقى مجرد معرفة سطحية و خلاص و منهم و منهم

الحياة يا آسيا يا بنتى تجارب ، و لازم الإنسان يعرف إزاى نستفيد من تجاربنا دى ،ونتعلم إزاى منقعش فى نفس الخطأ مرة تانية ،

أدارها ناحيته و قال و هو يمسك وجهها بكفيه بنبرة جدية : سلاسل قلبك اتقطعت و مش باقى منها غير خيال ضعيف ، مش هيختفى إلا لما يحل محله نور شمس حب جديد ، صادق ، و حقيقى ، مع شخص أمين يحبك و يعرف قيمتك و يقدرها ، و ده مش هيحصل إلا لو كان شخص فاهم و راجل خبير يعرف كويس أوى الفرق بين الألماظ الحقيقى و الألماظ المزيف الأى كلام ، فهمتى ؟

ظلت تنظر له نظرة طويلة تحمل ما تشعر به من إمتنان لهذا الرجل العظيم و تقدير لأب يعرف كيف يتحدث مع ابنته و يحمل عنها همومها و يتقاسمها معها أيضا بل و يلقيها بعيدا عنها ، مسحت دموعها بكفيها ثم قالت بإبتسامة : فهمت يا أحن أب فى العالم ، قالتها ثم قبلت يداه و قالت بحب : ربنا يخليك ليا

بعد أن تحدثت لوالدها و أفضت له همومها شعرت بأنها الآن قادرة على النوم بأريحية كبيرة دون الحاجة إلى التفكير فى شىء فنامت و البسمة على وجهها و هى تمنى نفسها بالقادم و تردد مقطع أغنية شهير **" و فرحتنا بالى جاى .. أحسن كتير من الى فات "**.

****

الحب ..

الحب هو مشاعر داخل القلب يصعب التحكم بها ، من منا لم يمر بتجربة حب فى حياته ؟! ، بالتأكيد مررنا بتجربة أو أكثر ، قضينا خلالها أجمل أيام حياتنا أو ربما أسوأ أيام حياتنا ، و لكن بالتأكيد تختلف النهايات بالنسبة لكل منا و لكنها لا تخرج عن إطار محدد يضم احتمالين فقط لا ثالث لهما ..فهناك من مازال مستمرا بحبه رغم تأكده أنه لا جدوى من ذلك الحب و لكنه غير قادر على السيطرة على قلبه ، فيستمر فى العطاء دون مقابل ، راضيا بأقل القليل الذى يقدم له من الطرف الآخر متمنيا منه فقط أن يبقى بجواره ..

و لكن الكثيرالكثير من البشر يفقدون الحب و هنا تتعدد الأسباب و تختلف فهناك الخيانة ، و هناك ظلم الأهل ، و القدر ..القدر الذى دائما ما نعلق عليه أسباب فشلنا فى الحب متجاهلين أسباب أقوى كنا نحن مسبيبها وانتهى الأمر ..

و مهما تعددت هذه الأسباب فالنهاية واحدة ، انكسار قلب ، بقايا إنسان ، ثقة مفقودة بالجميع ، إنسان ضائع تائه محطم ، أو ربما مصدوم ...

فالحب الأول يبقى ذكراه متعلقة فى القلب حيث أنه يأتى للقلب بغتة دون أى حسابات أو مقدمات ، و يترك أثره ، لأنك تصادفه فى حياتك لأول مرة فيبقى له مكانه المميز..

و لأن " آسيا " مرت بحالة الصدمة و عاشت مراحلها بالكامل من خوف .. خوف أن تفقد السيطرة على نفسها و على حياتها ، شعور بالعجز .. شعور مقيت أحست معه انها مغلوبة على أمرها تجاه ما حدث و ليس لها يد فيه ، غضب .. غضب تجاه ما حدث و تجاه المسئولين عنه ، حزن ..حزن عميق على أيام جميلة من عمرها قضتها تحلم أحلام وردية تجاه شخص تبين لها أنه لا شىء ..و أخيرا .. أمل

الآن تشعر أنها وصلت لنهاية تلك الصفحة السوداء من دفتر أيام حياتها ، فالآن هى تشعر بالأمل فى الغد ، فى مستقبل مشرق ، فى شخص جديد ينسيها ما حدث و يكون كما قال والدها " أمين " و " خبير " .

أفاقت من شرودها فى التفكير فى حديثها مع والدها و كلامه عن الحب عندما سمعت طرقات على باب مكتبها ،

أذنت بالدخول للطارق ، و عندما رأته تذكرت أن الآن هو موعدها مع ذلك الرجل الجرىء الذى لا يكف عن إغراقها بتلك النظرات المهينة و التى لا تسترح لها بالمرة ، حيته بإبتسامة زائفة ثم أشارت له بالجلوس أمامها و بدأت فى الحديث عن العمل و التصميمات التى أعدتها له كى يراها و يختار منها ما يود أن تقوم الشركة بتنفيذه ..

فى نفس الوقت كان قد أنهى إمضاء بعض الأوراق و سلمها لسكرتيرته " صفاء " قائلا بجدية : فى حاجة تانية عاوزة تتمضى ؟ ... هزت رأسها نفيا و أجابته ب "لا " فى حين سألها قائلا : نادر بيه جه و قعد مع المهندسة آسيا ؟

هزت رأسها إيجابا و قالت بتقرير : أيوة يا فندم جه و قاعد معاها دلوقتى فى مكتبها ، تحب أبلغها حاجة ؟

قال لها و هو ينهض من مكانه و يرتدى ساعة يده و يغلق أزرار جاكيت بدلته : لا .. أنا هروح بنفسى عشان أسلم عليه و أقوله على بعض الحاجات

..

كانت توضح له بعض النقاط فى تصميم أشاد به و طلب منها أن تقوم بتنفيذه دونا عن غيره ، عندما وجدته فجأة و بدون سابق إنذار يمد يده بصفاقة و يضعهاعلى يدها المستقرة على المكتب

شعرت و كأن حية لدغتها و قطب جبينها بشدة و قالت بغضب : سيب إيدى ..كانت تحاول إفلات يدها من تحت يده و لكنه زاد من ضغطه عليها و اقترب بجسده من المكتب و قال بهمس : مقدرش

صرخت به و زعقت حتى يترك يدها و لكنه كان يزيد من ضغطه عليها و يزيد أيضا من نظراته الجريئة الحقيرة نحوها حتى استطاعت أن تنزع يدها منه بعنف ، ثم هبت واقفة من مكانها و أشارت بسبابتها تجاه الباب وقالت و هى تلتقط أنفاسها من الخوف : إطلع بره يا حيوان و إلا هطلبلك الأمن يرموك بره

قهقه بشدة ثم نهض من مكانه و التف حول مكتبها حتى وقف قبالتها و قال بإستفزاز : ورينى كده يا حلوة تقدرى تعملى إيه .. أنا نادر بيه الى محدش يقدر يقولى تلت التلاتة كام .. أنا الى بدخل للشركة الى أنتى شغالة فيها دى ملايين من مشاريعى

قالها و اقترب منها أكثر حتى يسد عليها الطريق بجسده و يمنعها من الهروب ثم قال بصوت أشبه للفحيح و هو يحاول تطويق جسدها بذراعيه : شوفى بقى ، أنا من ساعة ما شفتك و أنتى معلقة معايا و مبفكرش غير فيكى

كانت تحاول أن تتملص منه و لكنه كان مكبل حركتها بذراعيه ، حاولت الحراك و لكنها وجدت نفسها أخيرا محتجزة من جميع الجهات فظهرها أصبح مستندا على الحائط و هو يقف امامها يمسكها من ذراعيها و يحاول تقبيلها رغما عنها ، ظلت تضربه فى صدره و تحاول دفعه عنها ، حاولت الصراخ و لكنه كمم فمها بيده

..

انتهى من المكالمة التليفونية التى جاءته و هو فى طريقه لمكتبها و أخذت من وقته عشرة دقائق ، أغلق الخط ثم أكمل طريقه تجاه مكتبها ، طرق الباب بهدوء ثم فتحه و دخل و لكنه ما إن دخل حتى تعجب من عدم وجود آسيا على مكتبها ، و لكن فزع لرؤيتها عند أحد أركان الغرفة مثبتة فى مكانها تحاول دفع جسد أحدهم عنها .. انقض عليه من ظهره فورا يسحبه بعيدا عنها ثم لكمه عدة لكمات لم يكن الآخر مستعد لها فأوجعته بشدة و نزف على أثرها من وجهه بغزارة ، فنظر له بغضب ثم حاول أن يرد له لكمة قوية و لكن على تفاداها بمهارة ثم أمسك به من ياقة قميصه و قال له و هو يرمقه بنظرات نارية و نبرة غاضبة للغاية :حسك عينك تعتب برجلك الشركة دى تانى ، و دينى أكسرهالك ثم أشار تجاهها و قال بنبرة قوية و عيون تحول لونهما للأحمر القانى من شدة الغضب : أو تقربلها .. ثم قال بوعيد : هتكون نهايتك و فيها موتك

ظل يمسك به من ياقة قميصه ، ثم أخرج هاتفه من جيبه بسرعة و طلب الأمن الذين حضروا على الفور ، فقال لهم بغضب ووعيد : الكلب ده ميدخلش الشركة دى تانى .. و لو جه اطلبلوه البوليس .. ثم صرخ بهم قائلا : فاهمين و إلا هطردكم كلكم

قالها ثم دفعه ناحيتهم فأمسكوا به جيدا و كبلوا حركته يمنعونه من الإقتراب من مديرهم ، ظل يصرخ و ينعتهم بأقذع الألفاظ و يتوعدهم قائلا : مش هسيبك يا على ، هخرب بيتك ، هجيب عاليها واطيها ، هعرفك مين هو نادر بيه يا حيوان

نجح أفراد الأمن فى إخراجه أخيرا من الغرفة فى حين بصق على عليه و صفق باب غرفة المكتب فى وجهه بعنف ، ثم اتجه ناحيتها وجدها قد سقطت على الأرض و تكومت على نفسها تبكى و تئن بصوت مكتوم ، اقترب منها و جلس على ركبتيه أرضا و قال لها بخوف و إشفاق : أنتى كويسة .. عملك حاجة ؟

هزت رأسها نفيا و ظلت تبكى بشدة ، حمد الله فى سره عندما وجد ملابسها سليمة و شعر بالغل فى قلبه عندما تذكر هذا الوغد و هو يحاول تقطيع ملابسها عندما دخل عليهم ، قام من مكانه و فتح باب الغرفة و لكنه فوجىء بصفاء التى وجدها تقف على باب الغرفة وسط تجمع من الموظفين الذين حضروا من مكاتبهم على الفور على أثر صوت الصراخ و الشجار ، صرخ بهم بعنف و أمرهم بالإنصراف فورا إلى مكاتبهم ، فانصاعوا إلى أوامره دون نقاش و فى خلال ثوانى كان الطابق فارغ كما العادة ، و لكنه أوقف صفاء و أمرها بإحضار كوب من الماء فأحضرته على الفور ثم دخل مرة آخرى إلى مكتبها و صفع الباب خلفه

اقترب منها مرة آخرى و أعطاها كوب الماء كى تهدأ قليلا و لكنها رفضت و ظلت تبكى دون توقف ، وضع الماء جانبا و شعر بالعجز أمامها فتلك هى المرة الأولى التى يوضع فيها فى مثل هذا الموقف ، و لكنه وجد نفسه يعتذر لها و بشدة قائلا و الندم يملؤه : أنا آسف يا آسيا ، والله العظيم ما كنت أعرف إنه حقير و دنىء بالشكل ده .. أنا مكنتش مطمن لنظراته ليكى أول مرة لكن متوقعتش إنه ممكن يتجرأ عليكى كده

شعر بأن قلبه يعتصر ألما عليها عندما وجد أن كلماته لم تزد إلا بكاءها و جرحها ، شعر بالعجز أكثر و لم يجد شىء يفعله سوى أن يقترب منها و يحتضنها ، و بلا تردد ضمها لصدره و ظل يربت على ظهرها بحنان و شعر بدموعه تترقرق بمقلتيه شفقة عليها ، شعر بزلزلة فى نفسه إثر احتضانها ، شعر بجسدها يهدأ و دموعها تتوقف ، و لكنه لم يستطع أن يفلتها رغم أنه يعلم أن ما يفعله ليس من حقه و أنه خطأ كبير أن يقترب منها بهذا الشكل

أما هى فقد شعرت أنها بعالم آخر ، لا تستطع وصف ما شعرت به ، فقد شعرت بالأمان بوجودها هكذا بحضنه ، شعرت بالدفء و الحماية ، شعرت كم هى تحبه و تتمنى أن يصبح رجلها ، هكذا و دون أية مقدمات ، شعرت أن هذا هو الحب الحقيقى الذى تتمنى أن تعيشه ، شعرت أن الحب ليس قصائد غزل و رومانسية و إنما طوفان من الأمان يجتاحك يزلزل كيانك ، يشعرك بأن الدنيا لا تحوى سواك أنت و حبيبك

ظلوا على هذا الوضع لعدة دقائق حتى أفلتها و نظر بوجهها ، و قد شعر بالسعادة فى نفسه لأنه استطاع أن يجعلها تتوقف عن البكاء ، ظلت تنظر له بحب تحاول أن تتبين حقيقة مشاعره تجاهها ، أغمضت عينيها عندما شعرت بيديه على وجهها تمسح دموعها برقة و هو يقول بحنان : متخافيش .. هتبقى كويسة

شعرت انها مسلوبة الإرادة أمام نظراته الحانية و لمساته الدافئة ، ازدادت ضربات قلبها بشدة حين وجدته يقترب بوجهه منها و يتلمس شفتيها بيديه برقة بالغة و يتحسسهما برعشة شعرت بها و لا تعرف السبب

لم تنتبه إلى خطورة الموقف الذى يجمعهما إلا عندما وجدته قد اقترب منها حد الخطر و قد أوشك على تقبيلها ، فجأة أفاقت من غفلتها و تحاملت على نفسها و استردت قوتها وأشاحت بوجهها عنه بسرعة و قامت من مكانها و التقطت حقيبتها ثم اقتربت من باب الغرفة و فتحته ، ألقت عليه نظرة لوم ثم اختفت من أمامه .

****

لم تنم تلك الليلة و إنما قضتها ساهرة تفكر فى أحداث ذلك اليوم العصيب الذى مر عليها و كأنه مائة يوم و ليس واحد. استرجعت أحداث ذلك اليوم بالكامل بدءا من تفكيرها فى بداية جديدة و حب جديد ينعش قلبها و يملأ حياتها ، و انتهاءا بتحقيق تلك الأمنية ووقوعها فى الحب فعلا فى نهاية يوم عملها .. لم تكن تتوقع أن تسقط فى فخ الحب بتلك السهولة ، حب ؟!

تعجبت من تسميتها لما حدث بينهم اليوم بحب ، ذلك الحب يختلف كثيرا عن الحب الطفولى الذى عاشته منذ كانت فى مدرسة الإبتدائية ، حبها لإبن عمها الذى كان يرافقها أغلب أوقات حياتها ، كان معها كظلها أو ربما كأختها رغدة ؟! ربما هذا لم يكن حبا و إنما اعتيادا لوجوده و قربه فأصبح هو من مسلمات حياتها ، وجدت نفسها تتساءل: لماذا أحبته ؟

صدمت من نفسها بشدة عندما وجدت نفسها تائهة لا تجد إجابة على سؤالها ، معقول ! .... أبعد كل هذه الحرب النفسية التى عاشتها ، أبعد كل هذا الحزن على الفراق ، و كل هذه الغيرة من زوجته ، أبعد كل تلك المشاعر تجد أنها كانت واهمة ! أنها كانت تجرى خلف سراب ، و ليس حبا ؟

نزعت غطاء الفراش عنها و نهضت بتثاقل ترتدى ثوب النوم الوردى القصير ذو الحمالات الرفيعة ، تخللت شعرها بأصابعها و ظلت تحركه بعشوائية ، توجهت نحو النافذة ، أزاحت الستار قليلا ووقفت تنظر إلى القمر و الذى كان من حسن حظها مكتملا تلك الليلة

عادت بتفكيرها لتلك النقطة التى توقفت عندها ، مطت شفتيها بملل و أقرت فى قرارة نفسها أن ما كانت تحمله من مشاعر لذلك اليوسف لم يكن حبا حقيقيا وإنما حالة من التعود فقط ، زواجه منها كان أمرا مفروغا منه بالنسبة للعائلة ، فلطالما

سمعت من جدها و جدتها أن آسيا ليوسف ، و يوسف لآسيا ، و لكن لا آسيا سألت لماذا و لا قال يوسف كيف ، و إنما تركوا الأمور تسير وحدها دون تخطيط لغد ،كأنما اشترك الجميع فى التمثيل بتلك المسرحية السخيفة ، و لكن كل شىء اختلف و خلع كل شخص قناعه عندما توفى الجد و تبين أن والد آسيا سوف ينال نصيب أكبر من الميراث ، وقتها تقطعت كل الروابط و تهدمت كل الجسور بينهما

زفرت بضجر ثم ذهبت لتتمدد فوق الأريكة التى تنزوى بأحد أركان الغرفة ، يوجد بجانب تلك الأريكة كومود وضعت عليه أباجورة ، أضاءتها لتضفى لونا ورديا خافتا يهدىء الأعصاب ، عقدت ذراعيها امام صدرها و قالت لنفسها أن الحب الحقيقى هو ما شعرت به اليوم و خلال دقائق معدودة ، الحب هو شعور الأمان الذى عاشته معه فى عدة مواقف ، دقات قلبها التى تتزايد بدرجة كبيرة كلما التقت عيناه صدفة ، شعورها الخفى بالفرح كلما تواجدت معه فى نفس المكان ، حمايته لها اليوم و دفاعه عنها و صراخه بذلك النذل و طرده له رغم المصالح التى تجمعهم ، ماذا سيكون ذلك إن لم يكن حبا بحق القدير

لا إراديا وجدت نفسها تحتضن نفسها بذراعيها بشدة و تغمض عينيها مستحضرة صورته بذهنها ، مستمتعة برائحة عطره التى مازالت عالقة بها إثر احتضانه لها بقوة و لفترة ليست بالقصيرة ، تحسست شفتيها برفق ، تلمست وجنتيها برقة مثلما كان يفعل اليوم فابتسمت لاإرداياً إبتسامة واسعة حين استطاعت استعادة ذلك المشهد مرة آخرى

فتحت عينيها و تساءلت فى قرارة نفسها بتعجب : كيف سمحت له بالإقتراب منه بهذا الشكل و هى التى طالما لقبت بالشاويش آسيا ، تلك التى كانت لا تسمح لنفسها بالتحدث حتى مع أحد زملاءها الشباب بالجامعة ، حتى يوسف ابن عمها حبها القديم كما كانت تعتقد و الذى كان من المفترض أن يصبح زوجها لم تسمح له و لم يسمح لنفسه يوما أن يلمس يدها أو أن يقترب منها مثلما فعل هو اليوم ، بعيد عن ذلك اليوم الذى جن فيه و حاول تقبيلها رغما عنها ، حتى ذلك الوغد نادر لم تستسلم له و إنما ظلت تدفعه عنها بكل قوة

إذا لماذا هو بالذات سمحت له ؟ سمحت له دون أى شعور بالضيق ، حتى ابتعادها عنه فى اللحظات الأخيرة لم يكن ضيقا أو نفورا ، بل كان خوفا .. نعم كانت خائفة من نفسها أن يتطور الأمر أكثر و ينجرفا لمنطقة لا رجوع منها

و أخيرا كانت الإجابة واحدة لكل تلك الأسئلة ، إجابة منطقية جدا .. إنه الحب وفقط ... قالت بهمس و هى مازالت مغمضة العينين : بحبك يا على

****

و أخيرا انتهى اجتماعه مع موظفى الشركة ، شعر به أطول اجتماع مر عليه منذ أنشأ تلك الشركة و كأن الموظفين قد ادخروا له كل المشكلات و المشاريع ليعرضوها عليه اليوم ، فرك بين عينيه بإرهاق فهو متعب للغاية لم ينم منذ ستة أيام بسبب القلق و التفكير ، منذ واقعة ذلك النادر ..

..كان الموظفين يلملمون أوراقهم استعدادا لمغادرة غرفة مكتبه ، قام على الفور و لم ينتظر خروجهم و طلب سكرتيرته صفاء ، حضرت على الفور ، أغلقت باب المكتب بعد خروج آخر موظف ، اقتربت من مكتبه ووقفت أمامه ثم قالت بجدية : تحت أمر حضرتك ، كانت فى قرارة نفسها تعلم عن من سوف يسألها .. سوف يسأل عن من لم يكف السؤال عنها طيلة الأيام الماضية ..و كما توقعت ، سألها بلهفة قائلا : صفاء .. المهندسة آسيا متصلتش أو جت تلغى الإجازة ؟

هزت رأسها نفيا و هى تقول بجدية : لا يا فندم ، لا جت و لا اتصلت

ظهرت خيبة الأمل على وجهه جلية فقالت كمحاولة للتخفيف عنه : عموما يا فندم هى المفروض اجازتها تنتهى بكرة و تيجى بعد بكرة ان شاء الله

هز رأسه بلامبالاة لكلامها ثم أشار لها بالذهاب لمكتبها فانصاعت لأوامره و انصرفت ..

شرد بفكره يتذكر ذلك المشهد الأخير الذى جمعهما بمكتبها الذى أطل عليه بلهفة صباح اليوم التالى للحادثة ليجده خالى منها و أصابته نوبة كبيرة من الغضب تلقتها المسكينة صفاء حين أخبرته بأن آسيا جاءت فى موعد العمل و قدمت لها طلب إجازة أسبوع و طلبت منها أن تقدمه لعلى .. أخبرته صفاء أنها طلبت منها انتظاره حتى يأتى و تقدم له الطلب نفسها و لكن آسيا أخبرتها أن لديها ظروف تمنعها من الانتظار ، و لم تمهلها فرصة للرد و انصرفت من امامها على الفور

جن جنونه فى ذلك اليوم و ظل يصيح بصفاء و ارتفع صوته جدا يتهمها بالتقصير فى عملها ، فالموافقة على طلبات الإجازة ليست من اختصاصات صفاء بل من حقه هو فقط رفضها أو الموافقة عليها .. ظلت تتوسل له حتى يتفهم أن الأمر ليس بيدها و أنها فقط تلقت الطلب ، أما آسيا فهى التى وافقت لنفسها على الإجازة ، وقتها حاولت تهدئته و طلبت منه أن تتصل له بآسيا حتى يتأكد بنفسه و يتبين حقيقة الأمر و لكنه رفض ..رفض و بشدة فكيف سيستطيع النظر بعينيها ، بالتأكيد لن يستطيع أن يلومها أو يوبخها و يتقمص دور المدير الحانق كما بالسابق ... لقد اختلت القاعدة

، كسرت بينهما كثير من الحواجز ، كسرها هو ... و كما كسرها يتوجب عليه ترميمها و لأن الترميم لا يحدث فى يوم ..قرر وقتها أن يمهلها الوقت الذى طلبته .. لا هى لم تطلبه ، هى وضعته أمام الأمر الواقع .. لا يهم سوف يتركها حتى تعود من نفسها ..و لكن هل ستعود من الأساس ؟! أم أنها ستأتى مرة آخرى و فى عدم وجوده أيضا لتسلم صفاء الغبية استقالتها.

دق بيده طرقات منتظمة على سطح المكتب و هو شارد ، يلوم نفسه و يؤنبه ضميره الذى لم يتوانى عن تقريعه منذ ذلك اليوم .. و لكن أين كنت أيها الضمير .. أين كنت يا من تتقمص دور القاضى العادل حينها .. لماذا لم توقفنى وقتها .. لماذا لم تمنعنى عن الإقتراب منها و لمسها .. لماذا دائما يظهر دور الضمير بعد ارتكاب الجرم و ليس قبله .. لماذا يترك الإنسان يتصرف تبع أهوائه و شهواته و عندما يراه قد سقط يأتى .. يأتى حاملا معه سوط التعذيب فيقسو و بشدة .. يلوم بشراسة .. يزيد من أوجاع النفس و يعذبها .. لماذا ؟

نظر عن يمينه بعينين تائهتين و وجه مكفهر و زفر زفرة حارة تحمل قليلا مما يعتمل بنفسه ، كان يسأل نفسه و يحاكمها .. ما الذى فعلته أنا يختلف عما فعله نادر .. لقد فعلت مثلما فعل بالضبط .. اقتربت منها ، لمستها ، حاولت أخذ شفتيها فى قبلة تروى ظمأ جسدى ، كلانا فعل نفس الشيء ، كلانا حاول اغتصاب حق ليس حقه ، أنا لا أختلف شئ عنه ، أنا مثله و لكن اختلفت الطرق.. مهلا ، هناك فرق هى استسلمت لى بينما لم تسمح له ، هى سمحت له بالإقتراب منها و لم تسمح لنادر و ظلت تدافع عن نفسها أمامه كانت تقاومه كعصفور جريح ، و أنا من ساعدها ... هى المخطئة و ليس أنا .. لماذا لم تدفعنى عنها بحزم .. لماذا لم تصفعنى على وجهى حتى أفيق من حالة النشوى التى أصابتنى أمام براءة و إثارة وجهها .

و لكنه عاد يلوم نفسه مرة آخرى و يوبخها على التفكير بها بتلك الطريقة ، هى كانت فى حالة ترثى لها ، شخص همجى حاول اغتصابها ، شجار فى مكتبها بين مديرها الذى تهابه و عميل هام ، فضيحة أمام الموظفين ستظل حكاية مسلية يتناقلونها فيما بينهم عن المهندسة التى يتقاتل عليها رجلين فى مكتبها كانت فى حالة مزرية ، كانت فى أمس الحاجة لأن تشعر بالأمان ... و هو الذى وضعه القدر أمامها فى تلك اللحظة ..و لكن من قال أنها لم تدفعه ، لقد دفعته فى صدره و التقطت حقيبتها و هربت من أمامه ، هربت عندما استجمعت قواها التى خارت مع نادر ، هربت عندما كانت قادرة على الهرب .. و لكنها هربت بعد أن رأى بعينيها نظرة غريبة .. نظرة لا يعلم سببها .. كأنما كانت نظرة حب أو هيام به .. هل كانت تنظر له هكذا فعلا أم أنه وهم أصابه يرضى غروره و يزيل عنه الخطأ و يبرئه ،

يخبره كذبا أنها كانت هائمة به و تتمنى منه المزيد ... لا يعلم ، هل نظرت له حقا بحب أم لا ،، هل كانت تقصد تلك النظرة حقا أم لا .. حقا لا يعلم شيء

نكس رأسه و أحاطها بكفيه مستندا بمرفقيه على سطح المكتب ، ظل يتمتم قائلا بحيرة : حقيقى أنا مش عارف حاجة .. مش عارف أعمل ايه .. أكفر عن غلطى ازاى ..

بعد دقائق طويلة من التفكير ، رفع رأسه و قد التمعت عينيه ، لقد توصل إلى قرار عزم على تنفيذه و بسرعة ، آملا أن يثمر نتائج جيدة تريح جميع الأطراف ، ارتدى جاكيت بدلته و نظر بساعته وجدها الثالثة عصرا ، وقف أمام المرآة الفضية الطويلة المائلة بزاوية و المستقرة بمسند على الأرض يعدل هندامه ، بعدها خرج من مكتبه مسرعا دون أن يلقى بالا لصفاء التى سألته بدهشة عن سبب خروجه مبكرا من العمل و ماذا ستكون وجهته .. و لكنها خمنت بذكاء أن الأمر بالتأكيد يتعلق بآسيا ، تلك الفتاة التى قلبت الشركة رأسا على عقب و كانت سببا لأن ترى رئيسها فى العمل و لأول مرة فى حياته يصاب بنوبات غضب لم ترها منه قبلا و لا يتضرر من تلك النوبات سواها هى ... آه منك يا آسيا .. أيتها الفتاة اللعوب التى يتقاتل من أجلها رجال الأعمال الكبار !.

****

انتهت من وضع لمسات المكياج على وجهها ، التقطت حقيبتها الصغيرة ذات اللون الكشميرى و المرصعة بورود صغيرة و فصوص من الكريستال اللامع ، اختارتها كى تتماشى مع حذائها الكشميرى ذو الكعب العالى ، علقت يد حقيبتها الطويل على كتفها ، ووقفت تنظر لنفسها بمرآة التسريحة ، كانت ترتدى بلوزة سوداء طويلة تقف عند ركبتيها ، ذو أكمام طويلة ، جزءها العلوى من خامة الجبردين ينتهى بعد منطقة الصدر بسنتيمترات قليلة ، ليبدأ بعدها خامة الشيفون الناعم .. بلوزة ضيقة بخامة الجبردين تبرز مفاتنها برقة ثم تتسع شيئا فشيئا فكانت تظهرها بمظهر رائع ، كما أن البلوزة رصعت أيضا بفصوص لامعة قليلة متناثرة بعشوائية على الجزء الجبردينى فتزيدها لمعانا، ارتدت بنطال قطنى ناعم أبيض اللون مخطط بخطوط سوداء يلف ساقيها بحنو ..نظرت إلى وجهها لترى تأثير لمساتها عليه ، حددت عينيها بالكحل الأسود ، كثفت رموشها بالمسكرة ، زادت من اللون الوردى لشفتيها بملمع شفاه باللون الوردى ، زادت من حمرة خديها ببودر وردى اللون وضعت منه القليل ، و على رأسها كانت تضع حجاب لفته بأناقة ورقة وقد كان أيضا باللون الكشميرى ... شعرت بالرضا عن نفسها و الإعجاب بجمال خلقتها و مظهرها الأنيق .. و تلك كانت غايتها حين تلقت منه اتصالا يطلب فيه مقابلتها .. فى البداية

عندما سمعت صوته توترت بشدة و شعرت بسخونة وجهها تستشعر لمساته لها من ذبذبات صوته التى تصلها عبر الهاتف .. بداية فكرت فى غلق جميع الأبواب بوجهه و لعنت نفسها أنها قدمت له طلب إجازة و لم تقدم إستقالة من العمل ، لو كانت فعلت ذلك لما كانت الآن مكلفة بمقابلته .. و بالفعل بلغته رفضها و اعتقدت أنه سيتراجع و لكنها دهشت عندما وجدته يترجاها بأدب فلم تنطق بحرف ، استغل صمتها و استرسل فى كلامه يحدد لها الزمان و المكان فلم تعترض ، و قال لها فى نهاية حديثه أنه لن يضايقها و إذا أرادت ترك العمل معه بعدها فلن يلومها ، و سيتركها و شأنها للأبد ، و أغلق الخط دون حتى أن يسمع منها كلمة موافقة و كأنه متأكد من قدرته على اقناعها و أنها لن تجرؤ على عدم المجيء .. ظلت حائرة منذ أغلق الخط لا تعرف هل تذهب وتواجهه أم لا .. و إن قررت الذهاب ماذا سترتدى .. و إن ذهبت كيف ستواجهه هل تواجهه بوجهها المتجهم و هيئتها الحزينة التى لازمتها منذ ذلك اليوم .. أم هل تواجهه بوجه مزين و مظهر أنيق للغاية و عطر قوى مثير و عينين بهما نظرة قوية يزيد من قوتهما ظل عيون جرئ اللون .. هل تواجهه إمرأة قوية لا تبالى ، أم إمرأة ضعيفة حطمها ما حدث .. و بعد وقت طويل من التفكير حسمت أمرها فستواجهه بالإثنتين ستواجهه إمرأة فاتنة للغاية قوية لا تبالى و بداخلها إمرأة مهزومة هشة و ضعيفة ، لكنها ستمحيها بثياب أنيقة ، نبرة صوت قوية ، نظرة حادة ، و ابتسامة واثقة .. نظرت بساعة يدها ماركة " جوتشى " فوجدت الساعة قاربت على الثامنة و النصف .. وجدت نفسها قد تأخرت عن الميعاد نصف ساعة .. و لكن لا يهم .. هو أغلق الخط دون أن حتى أن يتأكد من قدومى .. فلينتظر .. فتحت زجاجة عطر " شانيل " و رشت زخات كثيرة منها ثم وضعتها بحقيبتها ، ألقت نظرة أخيرة على نفسها و ابتسمت بثقة ثم انصرفت

****

صفت سيارتها جانبا على الطريق بجوار مطعم «جروبى » بمصر الجديدة، علقت يد حقيبتها على كتفها ، خرجت من السيارة ثم أغلقتها بالريموت الصغير الذى بيدها ، ثم وضعته بالحقيبة ، مشت بخطوات ثابتة تجاه المطعم و بداخلها تشعر بتوتر و خوف كبيرين ، ظلت تسأل نفسها طوال الطريق و تحاول أن تخمن فيما سيتحدث و لكنها لم تصل لشئ ... شعرت بدقات قلبها تزداد بشدة و أحست أن قناع القوة التى ارتدته على وشك الإنهيار ليطل بدلا منه خوف و ضعف و تلك هى حقيقة نفسها و ذلك هو طبعها الذى لا تستطيع الفكاك منه ، توقفت قبل باب المطعم بمترات قليلة .. أخذت نفس عميق ، حاولت تهدئة نفسها بأن قالت بتمتمة : اهدى يا آسيا ..كل حاجة هتبقى كويسة ... مش هياكلك متخافيش ، استدعت لنفسها بعض القوة و تحلت بها ، أكملت طريقها للمطعم و بداخلها تذكر نفسها بتنفيذ ما عزمت عليه ... وصلت إلى

باب المطعم ثم دلفت إليه بخطوات واثقة تدق بكعب حذائها العالى الأرض الرخامية للمطعم .. وقفت ثوانى بقرب الباب تجوب المطعم بعينيها و تتلفت برأسها يمينا و يسارا بهدوء بحثا عنه .. حتى وجدته يرفع إحدى يديه و يشير لها و على ثغره إبتسامة رائعة تراها تقريبا للمرة الأولى ..

خطت بخطوات ثابتة واثقة داخل المطعم حتى وصلت إلى الطاولة التى يجلس عليها ، قام لتحيتها فمدت يدها بخجل و صافحته محاولة تفادى النظر لعينيه ، أعجبها مظهره كثيرا و دهشت له فى نفس الوقت فلقد كان يرتدى قميص بأنصاف أكمام سماوى اللون و فتح أزاره العلوية ، ارتدى بنطال من الجينز الأزرق و حذاء أسود لامع للغاية ، كانت إطلالته شبابية جدا و حيوية ، أثارت دهشتها لأنها اعتادت أن تراه فى الزى الجدى « البدلة » ، سحبت يدها منه بسرعة ثم جلست على المقعد أمامه ، وضعت حقيبتها على الطاولة أمامها ،بينما بادرها هو قائلا بإبتسامة أذابتها : تشربى إيه ؟

حركت رأسها نفيا و قالت بأدب : ملوش لزوم .. شبك يديه ببعضهما و استند بهم على الطاولة أمامه و اقترب بجسده من الطاولة أكثر ثم أردف قائلا بنفس الإبتسامة حتى يرفع عنها الحرج : لا ازاى بقى .. معقول نبقى فى جروبى و متطلبيش حاجة ... طب أنتى عارفة المكان ده موجود من كام سنة ؟

فاجأها سؤاله فتوترت .. هزت رأسها نفيا قائلة : الحقيقة معرفش .. بس الى اعرفه انه موجود من زمان

قهقه بشدة ثم قال بإبتسامة عريضة تكشف عن أسنانه البيضاء ، المتراصة بجانب بعضها بشكل رائع زاده وسامة و جاذبية : معقول تبقى من مواليد مصر الجديدة و ساكنة فيها و متعرفيش ... شوفى يا ستى ... توقف عن الضحك و اكتسب صوته بعض الجدية و قال : المطعم ده موجود من التمانيات بناه واحد سويسرى اسمه « جاكومو جروبى » جه مصر ايام التمانينات مع ابنه و عملوا المطعم ده و سماه باسمه .. كانت تبتسم شيئا فشيئا و هى تستمع له إعجابا بلباقته فى الحديث و ثقافته التاريخية الواسعة التى تطل بوضوح من حديثه.. أفاقت من شرودها فيه عندما قال : أنتى معايا يا بشمهندسة ؟

هزت رأسها تحثه على الحديث فاسترسل قائلا : كان بيقدم فيه حلويات و مشروبات على الطريقة الأمريكانى ، تعرفى انه كان بيعمل ولايم فى بيوت الوزراء و كبار البلد ...كمان كان بيتعمل هنا حفلات رقص و بيقدم فرق موسيقية كبيرة ، كمان كان

بيتصور فيه أفلام سينما .. اتصور فيه فيلم العتبة الخضرا و عمارة يعقوبيان و يوم من عمرى .. ثم تنهد قائلا بإبتسامة : و بس يا ستى .. هى دى حكاية جروبى

ابتسمت و أثنت على ثقافته الواسعة تلك قائلة بنبرة إعجاب و قد زال توترها نهائيا : هايل .. واضح إن حضرتك بتحب التاريخ قوى و بتقرأ فيه كتير كمان

قهقه ضاحكا ثم قال بتواضع : يعنى على قدى كده .. أنا بقرأ في التاريخ أه .. بس مش كتير أوى زى ما أنتى متخيلة .. يعنى لما بيسمحلى وقتى بقرأ فيه ... بيمتعنى جدا

لدقائق معدودة صمتوا عن الكلام و اكتفوا فقط بتبادل النظرات و تلاقى الأعين فى حديث طويل .. كان مستغربا لهيئتها اليوم ،بالنسبة لملابسها فقد كانت أنيقة للغاية كالعادة ،و لكن عطرها كان مثير للغاية.. لم يكن هو الذى استنشقه عندما ضمها لصدره فى اليوم المشئوم ذاك ، عينيها واسعة و محددة بطريقة تزيد من جمالهما و تزيد من أنوثتها و لكنها تخفى برائتهما بتلك الظلال السوداء عليهما.. اللون الوردى لشفتيها زاد من إثارتهما ... شعر بنفسه قد أوشك على إفساد ما نوى فعله فتنحنح قائلا بحرج : أنا خدنى الكلام و أنتى لسه مطلبتيش حاجة

شعرت بالحرج هى الآخرى لهروبه من عينيها فقالت دون النظر لعينيه مباشرة و قد عاد إليها توترها : صدقنى مش عاوزة حاجة ... ممكن تقولى طلبتنى ليه بإختصار .. لأنى مش عاوزة أتأخر

دهشته تبدل طريقتها تماما من النقيض للنقيض كانت تحدثه منذ ثوانى بتباسط و رقة وقد ظهر عليها الإستمتاع لكلامه ،و الآن تحدثه بتلك النبرة الجامدة طالبة منه الإختصار .. أجلى صوته قائلا بجدية و هو ينظر ليديه المستند بهم على الطاولة و قد اختفت ابتسامته تماما و حل محلها تقطيبة جبينه المعتادة : أولا أنا عاوز أعتذرلك عن الى حصل فى المكتب آخر مرة ... مش عارف هتصدقينى و لا لا بس الى حصل ده أنا مكنتش أقصده تماما .. بعدها خرجت كلماته متقطعة بأنفاسه الساخنة و قد شعر بالحرج الشديد و هو يقول : أنتى كنتى منهارة و أنا حرفيا مكنتش عارف أعمل إيه ... و لا أهديكى إزاى .. فمن غير وعى عملت كده

شعرت بحرارة جسدها تزداد مع تذكرها لإحتضانه له ، شعرت بسخونة وجهها تزداد شيئا فشيئا .. و لكنها ضغطت على يدها اليمنى باليسرى من اسفل الطاولة محاولة بث الأمان لنفسها .. سمعته يكمل قائلا و قد رفع بصره نحوها أخيرا قائلا : أنا آسف يا آسيا ... أتمنى إنك تسامحينى .. حقيقى مكنتش أقصد

التمعت عينيها بالدموع و لكن كبرياءها أبى أن يسقطوا أمامه .. ماذا يظنها ستفعل بعد كلماته تلك .. ماذا يظنها ستشعر بعد حديثه ذاك ... هو يعتذر لها و يبرر أنه لم يقصد شئ .. بالتأكيد ما فعله كان بدافع الشفقة .. لامت نفسها بشدة على غبائها .. كيف ظنت أنه فعل ذلك بدافع حبه .. كيف كانت تمنى نفسها طيلة الأيام السابقة وحتى فى طريقها إلي « جروبى » اليوم أن يعترف لها بحبه؟ .. كيف كانت بتلك السذاجة ؟ ... هى لم تكن يوما غبية أو ساذجة ... إذا ماذا أصابها ؟ ... هل صدمتها من يوسف جعلتها هوائية متخبطة تتمنى أن يحبها أى شخص .. هل أصبحت مراهقة لتلك الدرجة .. هل وصلت حالتها المتدهورة لذلك المستوى من السذاجة ... لم تعد تسمع ما يقول فقط تراه يحرك شفتيه و يتحدث بجدية ... لماذا ظنت أن ذلك الصنم المتحجر سيحبها يوما ما .. الآن أصبحت تشك أن لديه قلب مثل بقية البشر ... لو كان له قلب لكان شعر بانتفاضة جسدها حين ضمها لصدره ..لكان شعر برعشة يدها الطفيفة و هو يحييها اليوم .. و لكنه بالنهاية صنم لا يحس و لا يشعر

بللت شفتيها بلسانها و تأهبت فى جلستها إستعداد للرحيل .. و لكنها انتبهت له عندما التقطت أذنيها اسم ذلك الحقير وهو يقول : لو تحبى تعمليله محضر تحرش فى القسم ... أنا هقف معاكى و أساعدك تجيبى حقك منه و كل الموظفين تحت أمرك .. هيشهدوا بالحق

ابتسمت بجانب فمها بسخرية قائلة فى قرارة نفسها بسخرية : كتر خيرك يا حضرة المدير .... أجلت صوتها أخيرا قائلة ببرود : مفيش داعى للشوشرة دى كلها ... أنا خلاص مش عاوزة أفتكر اليوم ده تانى و لا افتكر الى حصل فيه .. صمتت قليلا ثم قالت و هى تنظر بعينيه بتحد استطاعت تزييفه أمامه حفظا لكرامتها التى خدشها للتو : بكرة على مكتب حضرتك هتكون استقالتى ...عن إذنك أنا لازم أمشى

التقطت حقيبتها و قامت من مكانها بسرعة و لم تمهله فرصة للرد.. صدمه ردها المفاجىء و ذهل لسرعتها فى الهروب من أمامه فقام من مكانه على الفور ، أخرج من جيبه بعض الأوراق المالية و ألقاها على الطاولة و أسرع فى الخروج من المطعم محاولا اللحاق بها ... و لكنه لم يجدها ... لقد تركته و رحلت !!

****

أنت عمرى

انتهوا من تناول طعام وجبة الغداء ، قامت رانيا تحمل الأطباق و تأخذها للمطبخ ..و لكنها تفاجئت بزوجها العزيز يحمل الأطباق معها ، و يساعدها فى تنظيف السفرة ... رفعت حاجبها الأيمن باستنكار و قالت له بدهشة : معقول يوسف بيه ... رئيس مجلس إدارة شركة مودرن هاوس بحاله واقف معايا و بيساعدنى فى شيل الأطباق و تنظيف السفرة ... لا لا لا أنا مش مصدقة عنيا

زفر عابسا و هو يهم بجمع بقية الأطباق و قال بإستكانة و ضعف مصطنع : و بعدين بقى يا رونى يا حبيبتى .. أنتى لا كده عاجب و لا كده عاجب

تركت قطعة القماش التى كانت بيدها و تنظف بها الطاولة ، و اتجهت نحوه تحتضنه من ظهره و تطوق خصره بيديها قائلة : أنت عاجبنى فى كل الأحوال يا حبيبى ... ربنا يخليك ليا

ربت على يدها المستقرة على خصره بحنان .. فى حين أغمضت عينيها و زادت من احتضانها له ثم اقتربت بشفتيها من عنقه و ظلت تنثر عليه قبلاتها الرقيقة ، و بجانب أذنه ظلت تتحسس بشرته بشفتيها مما جعله يترك ما بيده و يلتف ليجعلها فى مواجهته .. فتحت عينيها و نظرت له بشغف فى انتظار أن يبدأ هو ... و بالفعل دون حديث أخذها فى قبلة طويلة .. و لم يستفيقوا من غفوتهم تلك إلا ليلتقطوا أنفاسهم اللاهثة .. قالت له بأنفاس متهدجة و هى تطوق رقبته بيدها و تضع رأسها على صدره : قولى بقى إيه الرضا ده كله

لم يرد عليها و إنما كان مغمض العينين يتخلل شعرها بأصابعه و يمسح على ظهرها بحنان .. رفعت بصرها إليه و مازالت مستقرة برأسها على صدره قائلة بهيام : بحبك يا يوسف

رفع رأسها من على صدره و قال و هو يمسك بذقنها و ينظر لعينيها : و أنا كمان ... بحبك يا رانيا

طوقت خصره بيدها و لف ذراعيه حول كتفيها بحنان و اتجهوا سويا للجلوس على الأريكة الموضوع بغرفة المعيشة أمام شاشة التلفاز ... جلس هو أولا ثم استلقت هى على الأريكة واضعة رأسها على فخذيه .. ظل يمسح على شعرها بحنان .. فى حين قالت و هى مغمضة العينين حتى تحتفظ بمشهد اقترابهما هذا لأطول وقت ممكن ..طالما لا يحدث كثيرا : قولى بقى يا حبيبى .. إيه الى مخليك مبسوط أوى كده .. ثم أمسكت يده التى تتجول بشعرها .. ربتت عليها و قالت بإبتسامة : وراضى عنى كده

ابتسم و انحنى فى مجلسه يقبل جبهتها .. ثم عاد لوضعه الأول يمسح على شعرها بحنان قائلا : أبدا يا ستى .. انهاردة شركتنا كسبت مناقصة كبيرة جدا .. تشطيب و فرش مجموعة عمارات فى مدينة الشيخ زايد ... ثم مال عليها قائلا بغمزة من عينيه : ده رزقك يا حبيبتى و رزق البيبى الجميل الى فى بطنك

قامت من رقدتها .. اقتربت منه تحتضن خده بيدها و قالت بهمس و هى تنظر لعينيه بعمق : ده فى قلبى يا حبيبى

كان ينظر إليها و هو يشعر كم هى تحبه .. كم تعشقه .. ربت على فخذها بحنان و أوشك على الرد .. و لكنها وضعت سبابتها على فمه قائلة برقة : متتكلمش .. مش عاوزة أسمع أى حاجة دلوقتى ... ثم أمسكت بكفيه تحتضنهما بقوة و تقبلهما بشغف قائلة من وسط قبلاتها : خلينا نعيش اللحظة دى و منضيعهاش من إيدينا .. و تلك المرة كانت هى البادئة .. تركت يديه ثم اقتربت تقبله بجنون على كل جزء فى وجهه .. فقدت السيطرة على نفسها .. وجدت نفسها تفعل ما لم تتوقع فعله ... لم تدع له فرصة ليفعل شئ .. عاطفتها الجياشة جعلتها تخلع عنه ملابسه و بجنون .. تقبل كل قطعة فى جسده ... ثم ذابا معا لساعات ينهل هو من حبها .. بينما تنهل هى من جسده فقط !.

*****

كانت مستلقية على الفراش فى غرفتها و قد انتهت للتو من قراءة رواية رومانسية مشوقة للغاية جعلتها تنهيها فى يوم واحد من الصباح حتى الآن ، التاسعة مساء ... و لما لا و هى رواية «أنت عمرى » بقلم والدها العزيز عزت اللامى .. تلك الرواية هى أحدث إصدارات دار النشر المرموقة « القلم حياة » ..أغلقت الرواية بهدوء و بداخلها شعور بالحزن لفراق أبطالها .. عرفتهم منذ ساعات و لكنها تعلقت بهم .. قصة حبهم آثرت فيها كثيرا و ستظل فى خلدها تتذكرها من حين لآخر .. ظلت تتأمل غلاف الرواية بإعجاب .. ثم هبطت ببصرها إلى نهاية الغلاف و قد ملأه اسم والدها الذى كتب بحروف ذهبية اللون تتفق مع المعنى الذهبى للرواية ... ضمت الرواية لصدرها و ظلت تتحسسها بيدها ... كم تحب كتابات والدها .. تستمتع بشدة بقراءة كل حرف يخطه بيده ...مثل باقى الفتيات و الشباب تنتظر رواياته بفارغ الصبر ..تشعر بسعادة طاغية عندما يطلبها للقدوم لغرفة مكتبه و تراه يخبىء بيديه شئ ما خلف ظهره ..تلتقطها منه بشغف .. تشعر بفرحة الطفل و هى يشترى ملابس جديدة ليلة العيد ، دائما يعطيها أول نسخة يتسلمها من دار النشر .. فيأخذها من يد صاحب دار النشر ليعطيها لحبيبته الصغيرة «آسيا » .. يقدمها لها مغلفة بشريط ستان وردى تحب لونه و شكل ربطته للغاية ، تفتح أول صفحة و التى

يجدها الآخرون بيضاء فارغة ... و لكنها وحدها تجدها نقشت بخط الكاتب اليدوى و قد كتب لها الإهداء الخاص بها و الذى دائما ما يبدأه بكلمة « إلى ساحرتى الصغيرة ... إلى حبيبة قلبى .. ونور عمرى .. آسيا الصغيرة » .. دائما يطلب منها الجلوس أمامه بعد أن يسلمها الرواية و قراءة كلمات الإهداء بصوت عالي حتى يرى تأثيرها عليها .. و يمتع عينيه برؤية إبتسامتها الرائعة تتسع على ثغرها شيئا فشيئا .. ثم يخبرها أنه فى انتظار رأيها بها عندما تنهى قرائتها .. رأيها هو الأهم بالنسبة له .. إن كان إيجابا يشعر بالنجاح و يهنىء نفسه على روايته و هو مطمئن حتى و إن تمت مهاجمته من قبل جميع النقاد .. و إن كان سلبا و هذا نادرا ما يحدث وقتها يعطيها وعدا بأن القادمة ستكون الأفضل ..بهدوء فتحت درج الكومود المجاور لفراشها ، وضعت الرواية به ثم أغلقته .. التقطت هاتفها المحمول تعبث به و تتصفح مواقع التواصل الإجتماعي من خلال حساباتها الشخصية .. زفرت بملل و هى تتصفح .. فلا شئ جديد ، كل شئ مكرر ، جميعها نكات سخيفة متكررة أو فضائح للمشاهير أو تعليقات على مظهرهم أو نقد لملابسهم .. أغلقت حسابها الشخصى على موقع الفيسبوك الذى ملت منه للغاية .. طيلة الأسابيع الماضية لم يكن يشغلها سواه .. فقط تستيقظ من نومها متأخرا بعد ليل طويل من التفكير ثم تشرب قهوتها و تتوسط الفراش مرة آخرى ممسكة بهاتفها الذكى بيدها و تفعل به أى شئ ..فلا شئ يشغلها الآن بعد أن أبلغته قرارها بترك العمل .. مطت شفتيها مللا و فتحت سجل الأسماء بالهاتف .. تتمنى لو أن لها صديقة غالية تبث لها أوجاعها و تفضى لها بمكنونات قلبها الحزين.. قرأت إسم رغدة فى منتصف القائمة فتوقفت عنده لثوان .. لقد اشتاقت لرغدة كثيرا .. اشتاقت لحضنها .. اشتقت لحكمتها و سعة صدرها عندما تشكو لها من شئ فتعطيها النصيحة التى تنفذها آسيا دون نقاش لثقتها الكبيرة بها و بعقلها.. رغم أنها تحدثها دائما على الهاتف و تثرثر معها كثيرا .. و لكنها قط لم تخبرها بما حدث فى الشركة ، لم تخبرها أنها تركت العمل الذى التحقت به منذ تخرجت من الجامعة و اكتسبت منه خبرة كبيرة .. لا تريد أن تثير قلقها و تعكر صفو سعادتها مع أسرتها الصغيرة بعد أن جمع شملهم أخيرا ... لذلك تخبرها دائما أنها بخير و كل شئ على ما يرام .. و لكن الغريب أن رغدة تصدقها .. فهل أصبحت لا تشعر بها إلى تلك الدرجة .. هل غيرها الإغتراب فى بلد آخر إلى هذا الحد؟ .. ربما تود رغدة أن تصدقها حتى لا تشعر بتأنيب الضمير أنها تركتها بمفردها .. فهى لا تصدق فحسب بل تؤكد على تصديقها قائلة « يارب دايما يا آسيا تبقى بخير » ... وجدت اسم سلمى يلى اسم رغدة من ضمن قائمة المتصلين بها .. سلمى لم تكن يوما لها صديقة و إنما مجرد زميلة تمتلك وجه بشوش للغاية .. لا يتعدى حديثهما معا التحيات و المجاملات الرقيقة ، لم يتحدثا يوما فى أمور أو أسرار تخص أيا منهما .. و لكن سلمى إنسانة طيبة للغاية ..

ممتازة بكل المقاييس لم تر يوما منها خبثا أو شرا .. لم تلحق بها أى آذى طالها كثيرا من غيرها .. سلمى اتصلت بها تطمئن عليها عندما طال غيابها بالشركة .. أخبرتها آسيا وقتها بتلقائية أنها فى إجازة طويلة بعض الشئ .. لا تعرف لماذا أخبرتها بذلك .. لماذا لم تخبرها أنها تركت العمل معه .. رغم أنها وعدته بأن استقالتها ستكون على مكتبه فى اليوم التالى لمقابلتهم فى « جروبى » و لكنها لم تذهب ، ربما لذلك تعتبر نفسها فى إجازة مفتوحة .. لا تعرف لماذا لم تذهب و تقدم له الإستقالة كما وعدته ؟ و لكن هناك شئ ما بداخلها منعها من الذهاب لذاك المكان مرة آخرى .. كرامتها أبت أن تجعلها تراه بعد كلامه الأخير لها ..هو أيضا لم يفكر أن يهاتفها و لو لمرة و كأنما كان ينتظر كلمتها تلك حتى ترحل و تغرب عن وجهه .. فى النهاية قررت أن تتصل بها لتطمئن على أحوالها و ترد لها جميلها بالسؤال عنها !

انتظرت لدقائق و لم تجد رد .. شعرت بالحرج لعدم الرد و قالت لنفسها أن الوقت متأخر و بالتأكيد هى الآن تغط فى نوم عميق فسلمى إنسانة ملتزمة بالنوم مبكرا .. أوشكت على إغلاق الخط و لكنها عدلت عن ذلك عندما سمعت صوت سلمى تقول ببشاشتها المعتادة : السلام عليكم .. ازيك حبيبتى آسيا ... أخبارك إيه ؟ تبادلا السلام و التحية و قد ارتاحت آسيا لطريقتها فهذا يدل أنها لم تكن نائمة أو أنها قد انزعجت من اتصالها .. و لكنها قالت بأدب : سورى يا سلمى لو كنت أزعجتك بإتصالى .. أنا عارفة إنك بتحبى تنامى بدرى .. تغير نبرة صوت سلمى و سمعتها آسيا تقول بنبرة يشوبها الحزن : أبدا يا آسيا مكنتش نايمة و لا حاجة .. أنا كنت فى المستشفى

قطب جبين آسيا و قالت بنبرة تملؤها الأسف : ليه خير يا سلمى .. ايه الى حصل ؟ .. أجابتها سلمى قائلة : البشمهندس على للأسف عمل حادثة .. و رحتله أنا و مجموعة من زمايلى فى الشركة عشان نزوره و نطمن عليه .. ثم قالت و هى تتثاءب بتعب : ولسه يدوب راجعة البيت

شعرت و كأن جدران غرفتها قد تصدعت و سقطت على رأسها فجأة ، و كأن أحدهم شق صدرها بسكين ذو نصل حاد و سرق قلبها من بين ضلوعها .. سقط الهاتف من يدها ، ارتعشت شفتيها ، و ارتجف جسدها و قالت بخوف و قد امتلأت عينيها بالدموع فتشوشت رؤيتها تماما : على !

*****

بعد ساعة كانت على الطريق الدائرى تقود سيارتها بسرعة فائقة و دموعها تنساب على وجهها بغزارة .. لا تعرف كيف وصلت إلى السيارة من الأساس ! .. لا تعرف

كيف استطاعت أن تنهض من الفراش و ترتدى ملابسها و هى كانت على حافة فقدان الوعى بعد أن أخبرتها سلمى .. لا تعرف كيف بررت لوالديها نزولها فى ذلك الوقت المتأخر .. لا تتذكر ماذا قالت لهم و لا تتذكر ما قالوه لها .. كل ما تتذكره هو كلمات سلمى التى نزلت عليها كالصاعقة " البشمهندس على عمل حادثة " ، كل ما تعرفه و تفهمه أنها الآن فى طريقها للمشفى التى يرقد بها .. و لا يهم أى شئ آخر .. يكفيها الكلمات المقتضبة التى أخبرتها بها سلمى عن الحادث .. فلقد هجم عليه مجموعة من البلطجية الملثمين ليلا أثناء عودته لمنزله و لأن الكثرة تغلب الشجاعة فقد تمكنوا منه.. استطاع اثنين منهم تكبيله و انهال عليه ثالث ضربا و ركلا حتى تساقطت دماؤه بغزارة مكونة بركة من الدماء من حوله و خارت قواه و سقط فاقد الوعى " .. أخبرتها سلمى أن هذا ما قاله أحد الموظفين الذى استطاع أن ينتزع تلك الأخبار من « عمر » صديقه المقرب ... كتمت شهقاتها بيدها عندما تذكرت وصف سلمى للحادث و انخلع قلبها خوفا عليه .. لم تصدق عينيها عندما وجدت نفسها قد وصلت للمشفى و قرأت إسمها على اللافتة الكبيرة .. التقطت حقيبتها و نزلت من السيارة بسرعة .. توجهت نحو مكتب الإستعلامات بالمشفى و سألتهم عن غرفته .. لم تنتظر المصعد و إنما كانت تقفز على سلالم المشفى بجنون .. لا تشعر بشئ حولها .. لا تشعر بأحد .. كل ما يهمها أن تراه أمامها ..تراه كما رأته المرة الأخيرة عندما كانا سويا فى « جروبى» .. وجدت نفسها بعد دقائق أمام غرفته رقم « ٢١٧ » لم تتردد لثانية فى فتحها ثم بدون مقدمات وجدت نفسها أمامه .. كان راقدا على الفراش يتحدث مع أحدهم .. لم تنتبه من و لم تنظر نحوه .. فقط كانت تنظر إليه هو .. رأته يعتدل فى رقدته و أحدهم يساعده فى ذلك واضعا له وسادة خلف ظهره ليستند عليها ثم شعرت به ينصرف مغلقا الباب خلفه .. كانت تشعر بشفقة كبيرة تجاهه .. تشعر بقلبها يتمزق على رقدته تلك .. و هو الذى كان كالصقر الجامح لا يوقفه شئ .. تفحصته بعينيها الباكيتين .. كان وجهه جميلا كما عهدته .. ابتسامته التى أصبحت تعشق رؤيتها كما هى .. و لكن وجهه شاحب للغاية .. و قد ربطوا له ضمادة حول جبهته ... و قد تسببت فى بعثرة شعره الفحمى الناعم بشكل عشوائي زاد من جمال وجهه و جاذبيته ... سمعت صوته من بعيد و هو يطلب منها الإقتراب و الجلوس بدلا من الوقوف هكذا بجانب الباب ... انصاعت لأوامره فحتى و هو مصاب هكذا مازال يحتفظ بهيبته كمدير ذو شخصية قوية .. اقتربت من فراشه ثم جلست على مقعد موضوع أمام الفراش .. لا تعرف كيف خرج صوتها عاديا بعد كل هذا البكاء و لكنها سمعت نفسها تقول بهمس : حمد الله على سلامتك .. انفرجت شفتيه عن ابتسامة أذابت قلبها و قال بصوت حاول بقدر الإمكان أن يخفى التعب من نبرته : الله يسلمك .. بس ليه تعبتى نفسك و جيتى .. كلها كام يوم و أخرج .. متخافيش عمر الشقى بقى

قالت له من بين دموعها : متقولش كده يا بشمهندس ... كفاية إن الى حصلك ده كله بسببى .. سلمى قالتلى على كل حاجة

قالتها و نكست رأسها حتى لا تدعه يراها تبكى للمرة الثانية .. كانت تبكى بغزارة و هو شعر بقلبه ينفطر عليها .. فى نظره يرى أن ذلك الملاك البرئ لا يستحق سوى السعادة و الفرح .. يستحق أن يبتسم و يظهر للناس جمال ابتسامته ... حاول أن يهدئها بأى كلمات و لكنه شعر بتوقف الحروف على لسانه تأبى تحويلها لكلمات مفيدة ...بالنهاية شعر بالعجز ينتابه أمامها للمرة الثانية .. و لكنه تحامل على نفسه و على جروحه و اقترب بجسده على الفراش ناحية مقعدها الذى تجلس عليه .. مد يده اليسرى ناحيتها و رفع رأسها بيديه .. نظر بعينيها اللتان تنظران له بخجل و قد ملأتهما الدموع .. مسح دموعها بيده برفق قائلا بنبرة منخفضة للغاية : مبحبش أشوف دموعك .. لأنها بتقطع فى قلبى

و كأنها أحبت ذلك الأمر و أصبحت دموعها لا تخضع إلا لأوامره هو .. توقفت دموعها تماما بتأثير حركة يده على وجهها تجفف الدموع السابقة .. زاد معدل تنفسها للضعف و شعرت بسخونة وجهها تحت يديه .. ابتسم عندما رأى توقف دموعها و قال : أيوة كده .. مش عاوز أشوفك بتعيطى مرة تانية

ابتسمت بدورها هى الآخرى من أثر كلماته .. توقفت يده عن التجول بوجهها لمسح دموعها ثم قال لها بحنو : مش عاوزك تحسى بالذنب خالص ... الذنب ذنبى أنا إنى خليتك تتعاملى مع واحد حقير زى ده .. بس للأسف عرفت كده بعد فوات الآوان

سألته قائلة : قولت فى التحقيق إن هو الى مدبرها ؟

أجابها قائلا : لا .. استغربت كثيرا من رده فقالت بإندهاش : ليه لا و أنت متأكد إنه هو ؟

هز رأسه إيجابا و قال : صح أنا متأكد إن هو لأنى مليش أعداء و غير كده إن الناس الى طلعوا عليا مش حرامية أو بلطجية عاديين هاجمونى بدافع السرقة .. لا هما كانوا منظمين و عارفين بيعملوا إيه كويس .. يعنى يضربوا و ميعوروش ... تهويش بس جامد حبتين ..أما بقى موضوع ليه مقولتش للبوليس فأنا مقدرتش أقول عشان... تردد قليلا قبل أن يكمل و لكنها حثته على الحديث بعينيها و كأنها تشعر بما يود أن يقول.. فقال برقة : عشانك يا آسيا

أردف قائلا : مكنتش عاوز أجيب سيرة الخناقة الى حصلت بينى و بينه لأنى هضطر أجيب سيرتك فيها .. و ساعتها هيستدعوكى و يطلبوا منك تدلى بأقوالك و

أنا مش حابب كده و لا عايزك تدخلى معايا فى الدوامة دى .. أرجع رأسه للخلف يستند بها على الوسادة قائلا و هو ينظر بالسقف : أعتقد كده إنه خد حقه منى و زيادة ... و كده نبقى خالصين

كفكفت دموعها حتى تراه بوضوح .. كلماته فاجأتها بشدة .. كيف يخاف عليها هكذا .. كيف يستطيع أن يكون بذلك الكم الهائل من النبل و الشهامة .. ابتسمت و قالت له بإمتنان : حقيقى أنا مش عارفة أقولك إيه .. أى كلام مش هيوفيك حقك .. مش عارفة أرد جمايلك التى بتزيد يوم عن التانى إزاى

سحب يدها ووضعها على فراشه ثم ربت عليها بيده بحنان و قال : لو عاوزة تشكرينى فعلا يبقى ترجعى الشغل .. الشركة متقدرش تستنى كتير من غير مديرة قسم التصميمات الهندسية

أخفضت بصرها خجلا و سحبت يدها منه برفق و قالت : أنا بلغت حضرتك آخر مرة إنى مش هقدر أرجع الشركة تانى .. وقلت لحضرتك إنى مستقيلة

رد عليها بنبرة إستفزازية قائلا : بس موصلتنيش إستقالتك يا بشمهندسة آسيا

رفعت بصرها تنظر إليه و قد توردت وجنتيها خجلا من موقفها الذى وضعها فيه و قالت بتردد : أ .. أنا ... أنا مقدرتش .. مقدرتش أجى الشركة ..التمعت عيناها مرة آخرى بالدموع و لكنها منعتهم من الهطول أمامه و قالت : اعتقدت إن حضرتك تفهمت موقفى و اعتبرتنى مستقيلة من ساعة آخر مرة و خلاص

عقد جيبنه و قال بنفس النبرة المستفزة : هو أنا لحقت أتكلم ساعتها .. و لا أنتى اديتينى فرصة أنطق

ابتلعت ريقها بتوتر و قد بدأت تنكمش فى مكانها خوفا من التقريع و اللوم الذى سيصبه فوق رأسها ... أوشك أن يكمل حديثه معها و لكنه انتبه لإرتجافة جسدها و توترها الذى يتبين من فرك يديها ببعضهما .. رق لحالها بشدة و قد لام نفسه على التحدث معها بتلك الطريقة فإستدرك نفسه و قال بنبرة هادئة و قد لانت ملامح وجهه : ممكن أعرف ايه الى يمنع إنك ترجعى الشركة

قالت له بضعف : إزاى حضرتك بتطلب منى أرجع بعد الى حصل .. بعد الفضيحة الى حصلت ... تفتكر حضرتك أقدر أبص فى وش زمايلى بعد كل الى شافوه و سمعوه

اغتاظ بشدة من كلامها ، تمنى لو يستطيع أن يلكمها فى أنفها الدقيق هذا .. و لكنه تمالك نفسه و قال بنبرة حاول بقدر الإمكان أن تبدو هادئة : يا آسيا الى حصل ده ممكن يحصل لأى بنت فى أى وقت و فى أى مكان .. الى حصل ده ميسيئلكيش أنتى و لا هو وصمة عار .. الى حصل ده ميسيئش لحد غير الكلب ده .. أنا مش عارف موظفين إيه الى أنتى عاملة حسابهم و خايفة من كلامهم ... الى هيسأل منهم هيعرف إنه حاول يتحرش بيكى و أنتى قاومتيه لكن مقدرتيش عليه ، الى هيسأل هيعرف إنى أنقذتك منه و طردته .. و لو كنتى أنتى الى غويتيه أكيد كنت هطردك معاه .. لكن ده محصلش ... اعتدل فى جلسته و قال بنفس النبرة الجدية : افهمى يا آسيا .. هو الى خرج من الشركة بفضيحة .. و هو الى اتلغى كل شغله نهائيا من الشركة .. هو الى اتنبه على بتوع الأمن ميسمحوش بدخوله تانى

اقتنعت بكلامه للغاية و خاصة عندما قال : يا آسيا هروبك ده هو الى ممكن يتفسر غلط و ده الى حاولت أقولهولك و أفهمهولك لما طلبت أقابلك لكن أنتى ماديتنيش فرصة أتكلم

عضت على شفتها السفلى بخجل و لامت نفسها بشدة على غبائها .. و لكن ما لا يعلمه هو أنها كانت تهرب منه هو أيضا .. كانت خائفة من أن يكتشف حبها .. يرى عشقها له فى نظرات عينيها .. عشقها الذى زاد الآن أضعافا مضاعفة بعد أن لمست خوفه عليها فى كلماته .. بعد أن أحست أن مصلحتها تهمه أكثر من مصلحة العمل ... لم تلمس فى كلماته أو نظراته أى غضب أو ضيق بسبب تقصيرها أو تركها للعمل لمدة أسابيع .. كل ما لمسته هو غضب منها لمصلحتها .. غضب لأنها لم تعطه فرصة لتفهم ما يرنو إليه

صمتها أثار قلقه و اعتقد أنها لم تقتنع بكلماته و تخجل أن تخبره أنها مازالت مصرة على رأيها فقال بتساؤل حتى يقطع الشك باليقين : ها يا بشمهندسة قررتى إيه ؟

ظلت تنظر لعينيه بحب و هى لا تجد ما تقول .. ثم بعد دقائق طويلة أجلت صوتها أخيرا و قالت و إبتسامتها الجميلة قد ارتسمت على ثغرها : اطمن ... لما تشد حيلك و تطلع من هنا إن شاء الله .. و ترجع الشركة ... هتلاقينى فى مكتبى .

****

" ليه ما قابلتش هواك يا حبيبى بدرى

الى شوفته ... قبل ما تشوفك عينيه

عمر ضايع .. يحسبوه ازاى علي

انت عمرى "

و أنت معى !

الشعور بالأمان و الإطمئنان .. شعور عظيم لا يقارن بأى شعور آخر ...فعندما يعيش الإنسان حالة من الإستقرار و الأمان تنتابه حالة من المشاعر الجيدة من فرح و سعادة و رضى .. عندما يتخلص الإنسان من حالة تخبط و عدم استقرار فإنه يشعر بأمان .. عندما يحدد غايته و هدفه و طريقه التى سيسلكها ابتغاء لذلك الهدف فإنه يشعر بأمان .. بالرغم من أن الأمان مجرد كلمة جوفاء و لكنها تحوى فى باطنها العديد من المعانى الرائعة .. الأمان يعنى إطمئنان .. هدوء .. استقرار .. سكينة .. راحة البال .. و هذا هو بالضبط ما أصبحت تشعر به الآن .. و لما لا و هو لا يدخر جهدا حتى يجعلها تشعر بالأمان .. شهر قد مر منذ عودتها للعمل معه مرة آخرى .. نفذت كلامه و عادت .. عادت بعد أن ارتاح بالها و إطمئن عقلها لكلماته التى ما لبثت أن تحولت لأفعال و قرارات بعد خروجه من المشفى و استرداده لصحته .. تفاجأت به و قد تحول لشخص آخر ..لم يعد ذلك المدير الفظ .. بل هو الشخص الذى ساعدها يوم تعطلت سيارتها بالطريق .. هو الشخص الذى قابلته ب «جروبى» .. هو الشخص الذى كان خائفا عليها و تحدث معها بصراحة كأخ كبير بالمشفى يوم زارته .. هو ذلك الشخص " على العوضى ".

و كأنها أعادت إكتشافه من جديد لتجده شخص لطيف للغاية ، حنون كأخ كبير ، متعاون لأقصى درجة .. شهر مر و هى تعمل فى جو من الحماس و الطاقة و التشجيع .. لا يتوانى عن مساعدتها و لا يتأخر عن تقديم النصائح لها ... يشجعها أكثر و يحمسها حتى تصنع أجمل ما لديها .. يريدها أن تحول هذا الحزن الذى يسكنها و يطل من عينيها إلى نجاح .. يريدها أن تنسى همومها بالعمل و فى العمل .. فى ذلك الشهر رأته على حقيقته ، رأت نفسه النقية الشفافة التى تظهر بوضوح فى تعاملاته ، فى كلماته و حتى فى نظراته ... صحيح أن قلبه لم يدق لها بعد هاتفا بإسمها .. و لكنها اكتسبته كصديق .. خلال ذلك الشهر شعرت بحبه يتعاظم بقلبها .. و لكنه لا يشعر .. و لكنها ستنتظر .. فيكفيها أنها بجواره .. هذا يسعدها كثيرا و لن تطلب المزيد .. و لكن لمتى ؟ .. هى لا تعلم !

رتبت الأوراق التى ستعرضها عليه فى ملفها ، ثم توجهت إلى مكتبه ، طرقت الباب و دخلت بخفة ، وقفت أمامه قائلة بجدية و هى تضع الملف أمامه بهدوء : الأوراق الى حضرتك طلبتها يا فندم

رفع رأسه إليها بإبتسامة صغيرة على ثغره و قال و هو يشير لها بالجلوس : اتفضلى اقعدى يا آسيا واقفة ليه ؟

جلست أمامه بهدوء ، فى حين كان هو منشغلا بتوقيع بعض الأوراق .. بعد دقائق طلب صفاء عبر " السويتش " و أعطاها تلك الأوراق المزيلة بتوقيعه ... خرجت

صفاء من المكتب و أغلقت خلفها الباب و فى نفس الوقت التفت لها بجسده كله و قال بعينين مشرقتين و إبتسامة واسعة على ثغره : مناقصة العين السخنة رسيت علينا !

تهلل وجهها بشدة و قالت له مباركة و نبرتها تملؤها السعادة : ألف مبروك يا فندم .. بجد ده خبر تحفة

شبك أصابعه ببعضها مستندا بهم على سطح مكتبه و قال و هو يميل بجسده تجاه المكتب أكثر ناحيتها و هو يحتفظ بإشراقة وجهه و إبتسامته : الفضل لربنا ثم لتصميمات العبقرية « آسيا اللامى » قالها و هو يشير عليها بسبابته

توردت وجنتيها خجلا من إطرائه عليها .. و لكنها قالت بنعومة و هى تريح يديها على سطح المكتب و تضع ساقا فوق ساق و قد اقتربت قليلا بجسدها من المكتب : الفضل لربنا ثم لحضرتك ... تنهدت و هى تشمله بنظراتها المعجبة و التى ظنت أنها استطاعت إخفاءها و لكنه فهمها بعينين خبير : حضرتك عملت كتير أوى .. كفاية تشجيعك ليا و نصايحك و مساعدتك ليا فى كل كبيرة و صغيرة .. صمتت قليلا ثم انتبهت لنفسها و طريقة حديثها معه و شروده فى عينيها و قد التمعت عيناه فاستدركت نفسها و اعتدلت فى جلستها و تابعت قائلة بتوتر : و مجهود زملائى طبعا الى ساعدونى مقدرش أنكره

قالتها و نكست رأسها للأسفل و فركت يديها بتوتر .. فى حين تنحنح هو و قد ادعى انشغاله ببعض الأوراق و قال و هو يقلبها بين يديه دون أن ينظر لها : جهزى نفسك هنسافر العين السخنة الأسبوع الجاى عشان نرمى الأساسات و نضبط الشغل هناك ... و بعد كده هنرجع .. و كل شهر هنبقى نسافر مرة نقعد كام يوم كده نطمن على الشغل .

هزت رأسها بتقرير و قالت و هى تنهض من مكانها محاولة ألا تنظر إلى عينيه مباشرة و التى بالتأكيد قد التقطت **خبيئة** نفسها : تحت أمر حضرتك .. عن إذنك

تابعها بنظراته خلسة حتى رحلت دون أن تلاحظ ثم التف بمقعده الوثير حتى يواجه حائط مكتبه الزجاجى الذى يكشف له ساحة شركته جيدا .. قال لنفسه بشرود و هو يريح ذقنه إلى قبضته مستندا عليها : معقول تكون آسيا ... و بتر كلمته و لم يتفوه بها .. رفع حاجبيه دهشة و قال محتفظا بشروده : جايز !

*****

بعد عدة أيام بالعين السخنة

كانت تجر حقيبتها خلفها و هى تجول ببصرها ببهو الفندق الأربع نجوم و الذى ستقيم فيها و هى طاقم العمل لمدة أسبوع حتى ينتهيا من بناء أساسات القرية السياحية المكلفين بتصميمها على أحدث طراز ... شعرت بغيرة شديدة و كورت قبضة يدها بقوة و ارتعش جانب فكها حين رأته يمزح مع موظفة الإستقبال و يتلاطف معها و هى ترمقه بنظراتها الجريئة المتفحصة دون أى حرج ..كانت تريد أن تتجه نحوها و تسحبها من شعيرات رأسها المصففة بعناية تلك لتريها كيف يكون المزاح على حق ... التقطت منه مفتاح غرفتها دون أن تنظر له و انصرفت تحت أنظاره المندهشة من تحولها المفاجيء فلقد كانت تجلس بجانبه فى الطائرة و من بعد ذلك بالباص الذى أقلهم من المطار إلى الفندق و طيلة مدة الرحلة كانا يتحدثان و يمزحان و الآن انصرفت دون أن تعيره التفاتة أو تنتظره ليصعدوا سويا ...

...أبدلت ملابسها و أغلقت الستائر و استلقت فوق الفراش الوثير الذى غاص بجسدها المرهق فأعطاها شعورا بالراحة بعد عناء السفر ... تقلبت بجسدها على الفراش بتململ و استقرت فوق جانبها الأيمن و قد ضمت يديها أسفل رأسها ... ابتسمت بحالمية عندما تذكرت ما حدث فى الطائرة صباح اليوم ... عندما صعدت للطائرة خلفه و اكتشفت أنه قد حجز لها المقعد المجاور له .. كانت توشك على الجلوس بجانب زملائها عندما وجدته يجذبها من يدها اليمنى برفق ناحيته و يهمس بالقرب من أذنها أن مكانها سيكون بجواره ... توردت وجنتيها خجلا و نظرت باتجاه زملائها لترى إن كانوا قد تابعوا ما حدث و حمدت الله فى نفسها عندما وجدت أن كلا منهم كان مشغول بشئ و لا أحد ينتبه لهم ... أفاقت من شرودها عندما تذكرت أنها يجب أن تنام تلك الليلة جيدا حتى تنهض يوم الغد مبكرا لبدء العمل ... ذكرت نفسها بضيق قائلة " فوقى يا آسيا .. أنتى مش جاية هنا عشان تتفسحى " .. تململت فى الفراش جيدا قبل الإستغراق فى النوم و قد كانت تفكر به و تسترجع بذاكرتها كل لحظة قضتها بجواره و كل كلمة تفوه بها عن مدينة العين السخنة و جمال طبيعتها ..

****

اجتمعوا جميعا فى اليوم التالى ببهو الفندق و ذهبوا سويا إلى مكان الأرض التى ستبنى فوقها القرية السياحية ... قضوا معظم اليوم هناك و مرت بقية الأيام على نفس الوتيرة ... استيقاظ مبكر و ذهاب فورى جماعى إلى مقر العمل و الإنتهاء و الرجوع إلى الفندق مع غروب الشمس ... كانت الساعة التاسعة مساء فى اليوم الأخير حين فتحت الستائر و النافذة لتستنشق هواء البحر و يلفح وجهها بنعومة ... أغمضت عينيها و احتضنت نفسها بأيديها تمسد على ذراعها ببطء و هى تستشعر

بأن الطبيعة هى التى تضمها بسمائها وببحرها و هواءه العليل و برمال الشاطئ و صخوره .... فتحت عينيها و اتجهت نحو خزانة الملابس و أخرجت منها ملابسها و قد قررت النزول الآن و الجلوس أمام البحر قليلا قبل أن تودع العين السخنة صباح الغد و تعود مرة آخرى إلى ضجيج القاهرة و صخبها ...

كان يراقب هبوط المصعد بتململ .. و لكنه رفع حاجبيه دهشة عندما رآها بداخله ... فركت يديها بتوتر و انزوت جانبا بداخل المصعد حين رأته يدلف إليه و يضغط أزراره بعشوائية قاصدا تعطيل المصعد بهما ... انكمشت على نفسها حين رأته يقترب منها ويقف أمامها واضعا يديه بجيوب بنطاله و قد عادت إلى وجهه تقطبية جبينه .. قال لها بصوت أجش متسائلا : ممكن أعرف كنتى نازلة رايحة فين ؟

ابتلعت ريقها بتوتر من آثر نظراته المتفحصة و قربه منها بهذا الشكل .. و لكنها قالت بعناد كبير و قد عقدت حاجبيها هى الآخرى و عقدت ذراعيها أمام صدرها : و ممكن أعرف حضرتك عطلت الأسانسير ليه ؟

استفزته طريقتها و قال و هو يضغط أسنانه حتى لا ينفعل عليها أكثر : ردى على قد السؤال

ردت عليه ببرود و هى مازالت عاقدة ذراعيها أمام صدرها : أظن إن إحنا دلوقتى بره مواعيد العمل الرسمية .. و من حقى أروح أى مكان عاوزاه من غير ما أخد الإذن من حد

استبد به الغضب من طريقتها الجافة معه و التى لا يدرى سببها إلى الآن .. جذبها من ذراعها ناحيته لترتطم بجسده و قد أصبحت ملتصقة به للغاية ... شعرت بيدها قد استقرت فوق صدره موضع قلبه تماما و قد شعرت بنبضاته المسرعة أسفل يدها ... شعرت بصدرها و قد أصبح ملتصقا بجسده فتوردت وجنتيها خجلا ... حاولت الإفلات من قبضته و لكنه منعها و قال بنبرة وحشية تسمعها منه للمرة الأولى و هو ينظر لها و الغضب يملأ وجهه و أنفاسه الساخنة تلفح وجهها : أنتى هنا مسئوليتى ... و أنا الى أقرر تروحى فين و إمتى و ليه ... الدنيا دلوقتى ليل و بيبقى فيه شباب كتير على البحر و أنا مش هسمحلك تنزلى دلوقتى و حد فيهم يضايقك ... فاهمة ؟

ازدادت ضربات قلبها بشدة حين رأت ملامح وجهه المنقبضة قد لانت و بدأ يرمقها بنظرات إعجاب متفحصة لوجهها و جسدها الذى تغطيه بفستان أنيق وردى اللون من خامة الشيفون الناعم ... أوشك على الإقتراب من وجهها أكثر و لكنها دفعته عنها و اتجهت تضغط أزرار المصعد بسرعة حتى يصعد بهم إلى غرفهم ... فرت

من المصعد بسرعة و هى تمسك بذيل فستانها حتى لا تتعثر به و يدها تمسح دموعها التى أصبحت تهطل الآن بغزارة

... لم تنم ليلتها بل أبدلت ملابسها بملابس السفر و ارتدت حجابها و أعدت حقيبتها و قضت ليلتها بتلك الهيئة فى الشرفة جالسة تنظر إلى البحر ... و تنظر كل دقيقة إلى ساعة يدها و هى تستعجل الوقت و الساعة ... تريد أن ينقضى الوقت بسرعة و يحين موعد الطائرة و تعود إلى القاهرة ... عل صخبها ينسيها ما حدث الليلة ... كانت تسأل نفسها كيف ينظر إليها الآن ؟ ... بالتأكيد يراها فتاة متهورة و طائشة تتصرف تبع أهوائها ... و بالتأكيد هو فعل ذلك معها حتى لا تسئ إلى سمعة شركته ... ازدادت حرقة دموعها التى تجرى على وجنتيها ... هل أصبحت الآن سيئة السمعة و سأضر به و بشركاته ! ... كيف يظن بى هكذا ... كيف يلومنى و ينظر لى بتلك الطريقة ..

*****

انقضت الأيام سريعا و على نفس الوتيرة و قد عادت إلى القاهرة و لعملها.. منذ عودتهم من العين السخنة لم تتحدث إليه فى شئ خارج العمل .. كانوا يتحدثون فى العمل و فقط ... لم ينفرد بها فى غرفة مكتبه .. لم يعتذر لها حتى عن طريقته معها ...فقط كانت تراه حين تريده فى مسألة ضرورية بالعمل ...

ضغطت جانب رقبتها الأيمن براحتها ثم تنهدت بتعب و أمسكت بهاتفها لترى الوقت و قد كان وقت راحة الموظفين ... التقطت حقيبتها و قررت النزول إلى كافتيريا الشركة لتأخذ مشروب ساخن و تستعيد نشاطها ...فى الكافتيريا جلست بمفردها على طاولة نائية نسبيا عن صخب بقية الطاولات و الموظفين ترتشف قهوتها ببطء .... لمحت ظل شخص يقف أمامها أثناء ارتشافها للقهوة فرفعت بصرها لتجده يحدق بها و على ثغره إبتسامة هادئة ... قال لها ببراءة : تسمحيلى أقعد معاكى

شعرت بالحرج الشديد و توترت فى جلستها و ظلت تتلفت حولها يمينا و يسارا و قد خافت أن ينتبه الموظفون لقربه منها و اختياره لجلوسه معها هى بالذات ... زفرت بحنق ثم قالت بنبرة منخفضة و لا تخلو من الحدة حتى لا تثير إنتباه الموظفين : مينفعش حضرتك تقعد معايا لوحدنا و قدام كل الموظفين ... كده حضرتك قاصد تحرجنى

شعر بالحرج و لم يعرف بما يرد ... لم يستطع أن يلومها فهى محقة فى كلامها للغاية ... وجدها تنهض من مكانها أمامه بعصبية و لكنه أوقفها قائلا : من فضلك يا آسيا ... خليكى براحتك متقوميش ... أنا الى همشى ..

تركها و رحل تحت أنظارها و قد شعرت بغضب شديد منه و من نفسها ... الآن يريد أن يتحدث معها ! .. و أمام كل الموظفين .... ماذا يريد بالضبط هل يريد أن تصاب بالجنون من تصرفاته ... منذ أسابيع فى العين السخنة كان ينظر لها كفتاة متهورة و طائشة لأنها كانت تريد النزول إلى البحر بمفردها رغم أن هذا لا يعيبها... و الآن يقف أمامها و يطلب منها أن تسمح له بالجلوس معها و بمفردهما ! .... لا أعلم كيف يفكر ذلك العلى !

*****

" مالك يا على " ... كان ذلك سؤال عمرو حين رأى صديقه فى حالة مزاجية سيئة ... انتبه إليه على قائلا بوجوم : هاه .. بتقول حاجة يا عمر

اقترب عمر بجسده من الطاولة الجالسين عليها بحديقة قصر «على » ليلا.. و قال متسائلا و هو يتفحص صديقه بعينيه : نعم ! .... بتقول حاجة يا عمر ! .... ده أنت مش مركز معايا خالص بقى .... ده أنا بقالى ساعتين بتكلم و أنت و لا هنا

خفض على بصره و قال متمتما : آسف يا عمر .... بس بالى مشغول شوية ... معلش ما تزعلش منى

نهض عمر ليجلس بالقرب منه و قال و هو يربت على فخذيه : يا على بجد مالك فى إيه ؟ .... أنا أول مرة أشوفك شايل الهم كده ... احكيلى يا عم و فضفضلى ... فى ايه ده أنا صاحبك ؟!

شرد بذهنه فى الفراغ المقابل له و تمتم قائلا : مش عارف يا عمر .... حاسس الأيام دى إنى ملغبط .. مش عارف بجد أنا عاوز إيه و لا بتصرف إزاى .... حاسس بمشاعر كتير أوى مش قادر أفسرها و لا أفهم هى إيه

ابتسم عمر إبتسامة واسعة و لكزه فى كتفه قائلا بمكر و هو يغمز بعينيه : يبقى بتحب يا على ..

" حب " .. همس بها على مكررا .. فى حين أكمل صديقه قائلا : طبعا حب .. مش بتقول حاسس إنك متلغبط ... ما هى اللغبطة دى .. هى الحب !

التفت إليه على بجسده كله و سأله قائلا بفضول : قولى يا عمر ... تعرف إيه أنت عن الحب ؟

رجع بظهره إلى الخلف مستندا على ظهر المقعد، عقد ذراعيه أمام صدره و تنهد تنهيدة طويلة ثم قال : الحب ده أجمل إحساس فى الدنيا .. عبارة عن طوفان مشاعر

حلوة أوى بتجيلك من حيث لا تعلم ... حاجة كده بتاخدك من الدنيا و قرفها ، بمجرد ما تشوف الى بتحبه بتنسى كل حاجة و متفكرش غير فيه ..مبتفكرش غير فى إنك عاوز تقضى معاه أطول وقت ممكن و ميغبش عن عينك لحظة ، و تحس بالتوهان من غيره لو غاب عنك ... تحس إن قلبك بينقح عليك لما يغيب و إنك هتتجنن ... و بمجرد ما تشوفه تنسى كل ده و تبقى عاوز تعيش معاه اللحظة و بس ...

أخذ نفس عميق ثم تابع قائلا : الحب هو إنك تحس بالأمان و أنت فى حضنه ... تحس إنه هو الوحيد الى فهمك ... هو الوحيد الى بيخاف عليك حتى من نفسه ... و أنت كمان تحس بالغيرة عليه من أقل حاجة و تبقى عاوز تخبيه عن كل عينين الناس عشان محدش يشوفوه غيرك..

ظهرت دموعه فى مقلتيه و قد تأثر بكلماته التى انسابت على شفتيه كعسل حلو المذاق، كان يستحضرها فى ذهنه و هو يشرح لصديقه الوحيد معنى الحب ، صديقه الذى يتضح عليه جليا الوقوع فى العشق ! .. كلماته ذكرته بحبيبته « دينا » التى لا ينساها ... هى التى علمته معنى الحب .. هى التى من أجلها مستعد أن يفعل أى شئ .. يخشى كثيرا أن يفقدها خصوصا و هو فى كل لحظة تمر عليه يشعر بالخوف يتزايد بقلبه أكثر و أكثر ... الخوف أن يفقدها .. الخوف من أن ترضخ لضغط أهلها المستمر عليها و تتزوج ممن هو أكثر منه غنى ... ممن يستطيع أن يوفر لها سبل العيش الكريمة و حياة الرفاهية ... هو يثق فى حبها أكثر مما يثق فى نفسه .. و لكن هو لا يثق بالحياة التى تقف فى وجهه و تحول بينه و بينها ... لا يثق فى الظروف التى كلما ظن أنه قادر على التغلب عليها يجد أسعار الوحدات السكنية فى إزدياد مستمر ... فيدور مرة آخرى فى دوامة العمل حتى يستطيع أن يواكب تلك الظروف ..

... مسح دمعة فرت من عينه بسرعة حتى لا يلحظه صديقه .. و لكنه وجده قد استرخى على المقعد و قد أرجع رأسه للخلف و مدد قدميه على مقعد آخر ...كان شارد للغاية ، يحملق فى السماء و على ثغره إبتسامة هادئة و بريق عينيه يتصاعد، ابتسم بفرح لأجل صديقه الذى يعيش الآن و لأول مرة فى حياته حالة من الذوبان فى الحب ... لم يشأ أن يخرجه من حالة الهيام و الحب الذى يعيش به الآن .. فنهض من مكانه استعدادا للرحيل ... وقف خلف مقعد صديقه الذى لم ينتبه حتى لنهوضه و إستعداده للرحيل، استند بمرفقه على المقعد و قال له بهمس : أنت مش بتحب و بس ... أنت عاشق يا على !

*****

اعتراف بالحب !

سافرت للعين السخنة مرة آخرى بصحبة طاقم العمل ... لم يكن مر على سفرتهم الأخيرة سوى ثلاثة أسابيع فقط حين فوجئت به يطلبها لإجتماع عاجل يضمها هى و بعض الموظفين الذين سافرت معهم من قبل .. رغم تعجبهم من رغبته للسفر مرة آخرى بنفس الشهر و لكنهم انصاعوا لرغبته ...

كانت تجلس بغرفتها بالفندق تحدث والدها فى الهاتف و تطمئنه على حالها حين سمعت دقات منتظمة على باب غرفتها .. فتحت الباب لتجد أحد موظفى الفندق يقول لها بأدب : مساء الخير يافندم ... على بيه منتظرك تحت فى اللوبى ... أخبرها بذلك ثم انصرف ... ظنت أنه ينتظرها ليخبرها بشئ بخصوص العمل أو ربما سيخبرهم بإنتهاء تلك السفرة الغريبة و التى لا يعلم لها أحد سببا ، ارتدت ملابسها البسيطة على عجل و نزلت إلى بهو الفندق ،

وجدته يجلس وحده و لا يوجد معه أى شخص من زملائها .. نهض من مكانه عندما لمحها تتجه نحوه .. استغربت بشدة من هيئته فلم يكن يرتدى ملابس رسمية أو ملابس العمل البسيطة ، كان يرتدى ملابس صيفية و كأنه سيغطس فى مياه البحر الآن ..وقفت أمامه ، قالت له متسائلة : خير يافندم حضرتك عاوزنى فى حاجة ؟

ابتسم قائلا : أيوة يا آسيا عاوزك

توترت من كلمته الأخيرة و طريقة إلقائها لم ترحها بالمرة .. فقالت بجدية : عاوزنى فى حاجة بخصوص الشغل ؟ ... أنا لسه راجعة حالا من الموقع ... و كل حاجة ماشية هناك كويس .. أنا حتى مش عارفة إيه سبب السفرية دى دلوقتى ... و إحنا كنا لسه هنا من فترة .. و الشغل مش محتاج وجودنا دلوقتى

قالتها و كتفت ذراعيها و هى تنظر له بضيق .. تنتظر أن تسمع رده .. فقال برجاء : طب ممكن بس تدينى فرصة أشرحلك كل حاجة ؟ ... بس مش هنا .. ممكن نخرج من الأوتيل هنا و أنا أقولك على كل حاجة عاوزة تعرفيها

ظلت تنظر له بدهشة .. فقال بإلحاح : أرجوكى بس إدينى فرصة و أنا هفهمك على كل حاجة

قالت بنزق : يافندم إزاى بس أخرج مع حضرتك دلوقتى ، هنروح فين أصلا ؟ ... أنا مش عاوزة حد من المهندسين الى معانا يشوفنا واقفين كده بنتكلم لوحدنا ... و بعد كده خارجين لوحدنا كمان .. و الله أعلم هيفكروا علينا إيه ؟

لم يهمس سوى بكلمة واحدة فقط : أرجوكى !

أمام إلحاحه و إستجدائه لها لم تجد بدا من الإنسياق وراءه ، فمشت بجواره بهدوء و لكن بداخلها بركان ثائر من الأسئلة و الفضول ... كانت تمشى معه أمام البحر على الشاطئ و بداخلها شعورين متناقضين أحدهما سعادة لوجودها بجواره و فى ذلك المكان الرومانسى ، و شعور آخر بالغضب من غموضه و من نفسها لأنها انصاعت لرغبته دون نقاش ... كانت من حين لآخر ترمقه بنظرات إعجاب لمظهره الوسيم هذا و لكنها كانت تشيح ببصرها سريعا كلما أحست أنه سيضبطها متلبسة بنظراتها المعجبة له ... بعد قطع مسافة كبيرة على الشاطئ وجدته يتوقف قائلا : خلاص يا آسيا وصلنا

نظرت حولها إلى فراغ الشاطئ إلا منهما و قالت بتعجب :نعم ! وصلنا فين ... أنا مش فاهمة حاجة

وجدته يقترب من " يخت " كبير على الشاطئ و يقول لها و هو يشير ناحيته : اتفضلى يلا إطلعى

شعور بالغضب تصاعد بداخلها و كأن ألسنة من النيران قد طالتها فقالت : هو حضرتك فاكرنى إيه بالضبط ... أنا مستحيل أطلع معاك يخت زى ده لوحدنا ... ثم قالت و قد بدأت تفقد عقلها من تصرفاته : بجد أنا مش فاهماك ... أنت عاوز منى إيه بالضبط ؟ ... إيه الى فى دماغك ؟

كان تلك المنطقة من الشاطئ بعيدة جدا عن الفندق الذى يقيمون فيه ، و كان الشاطئ خاليا من وقع أقدام البشر و صخبهم ... فلم يكن المكان يحوى إلا كليهما و من أمامهم اليخت يرسو على الشاطئ و من خلفه مياه البحر ، و رمال الشاطئ الصفراء التى بدأ لونها يختفى لمعته بغروب الشمس المتباطئ ..

تفاجأت به يقترب منها بهدوء و يمسك بكلتا يديها ، يقبلهما قبلة طويلة ، عميقة زلزلت كيانها و ألهبت مشاعرها .. ثم بعد دقائق رفع بصره إليها و قال بحالمية و هو ينظر بعينيها : بحبك يا آسيا

نظرت له كالبلهاء و قد أصبحت الآن فى عالم آخر .. عالم سحرى ملىء بالأحلام .. عالم تشعر فيه بأقدامها فوق السحاب رغم وقوفها على الأرض .. و كأنه كان يقرأ ما يدور بخلدها .. وجدته يحملها بخفة من على الشاطئ .. ثم دخل بها إلى اليخت و هو يحملها فوق ذراعيه .. فى الداخل أنزلها بهدوء .. وقفت ترقبه ببلاهة و هو يبتعد باليخت عن الشاطئ بعد أن أدار محركه .. رأت الشاطئ و هو يبتعد عن دنيتهما الصغيرة ، عن حبهما .. يبتعد بكل ما عليه من صخب و زحام و منشآت و أشخاص و كل شئ ..

بعد الإبتعاد عن الشاطئ بمسافة كبيرة .. و اقترابهم من منتصف البحر .. رأته يتوقف عن القيادة و شعرت بتوقف اليخت عن التحرك بهما ، و كأنه وجد مرساه هنا .. رأته يتجه نحوها بطلته الجذابة و على ثغره ابتسامته الرائعة .. التقط يديها يقبلهما للمرة الثانية بنفس الشغف فقالت بهمس : وقفت ليه ؟

رفع بصره و قال لها بهدوء : عشان وصلت للمكان الى عاوزه ... هنا وسط البحر .. أنا و أنتى وبس بنشهد الشمس و هى بتغرب على حبنا .. عشان تبقى آخر حاجة شافتها قبل ما تمشى هى الحب ... و لما تيجى تانى يوم توزع حب على الدنيا كلها ... التقط يدها ووضعها على صدره الذى يظهر من أزرار قميصه المفتوح و قال : حب على لآسيا

كانت تنظر له بعدم تصديق و قد التمعت مقلتيها بالدموع .. شعرت به يضمها لصدره بحنان .. سمعته يهمس لها بكلمات عشق ليس له مثيل ... شعرت أنها تذوب و تتلاشى تحت تأثير كلماته .. نظرت له بهيام عندما أفلتها و قال : بتحبينى يا آسيا ؟

لم ترد و إنما ظلت تتأمل تفاصيل وجهه بحب .. بينما كرر هو سؤاله و قد خشى أن تكون لا تبادله نفس شعوره ..

همست له قائلة دون تفكير : كل ده و بتسأل ؟ ... كل ده و لسه محستش بشعورى ناحيتك يا ...

بترت كلمتها التى لم يتعود لسانها على نطقها .. فحثها على الحديث قائلا بحماس : قولى يا آسيا .. قولى إنك بتحبينى ... قوليلى يا على من غير أى ألقاب ... شيلى أى حواجز ممكن تقف ما بينا ... شيليها عشان نقدر نوصل لبعض .. شيليها و حبينى يا آسيا

أمسكت بكفه و قد شعر برعشة بسيطة بها ، و انسابت الكلمات على لسانها قائلة : بحبك يا على

ضغط على يدها التى تمسك بكفه حتى يبثهما الدفء و الأمان .. ثم أفلتها و احتضن وجهها بكفيه و اقترب بشفتيه من جبهتها و قبلها بشغف .. ثم نظر إلى عينيها قائلا : عمرى ما شفت سحر زى سحر عينيكى .. بعشقك يا آسيا ..

قالها ثم ضمها لصدره مرة آخرى ، أغمضت عينيها تستنشق عبير جسده الذى يبثها الأمان .. و زاد هو من ضغطه عليها فى أحضانه و كأنه يود أن يودعها بصدره و قلبه .. لا يريد إفلاتها و لا يريد أن يضيع ثانية من تلك الليلة دون أن تكون معه

... كانا يشهدان القمر و هما مستلقيان على سطح اليخت .. بعد أن أفلتها من حضنه .. طلب منها أن يستلقيا على سطح اليخت فى مقدمته ... كانا ينظران إلى القمر دون حديث ... تتشابك أصابعهما بقوة ... و صوت دقات قلوبهم تكاد تصم آذانهم ... نظر إليها ثم فتح ذراعه لها و ضمها إليه ، فاقتربت منه دون خوف .. وضعت يدها على صدره و أغمضت عينيها .. كان هواء البحر يداعب حجابها و ذيل فستانها برقة وهى تستمع لكلمات الحب و الشوق الذى يبثها إياه و هو يمسح على ظهرها بحنان بالغ ...

...بعد وقت نهضت من رقدتها بخجل ،و جلست بجانبه تعيد ترتيب خصلات شعرها الفحمى الطويل بعد أن فك عنها حجابها و التقط شفتيها فى قبلة أذابتها ... نهض هو الآخر و قال بحنان و هو يحاوطها بذراعيه : مالك يا آسيا .. بعدتى عنى ليه ؟

تملصت منه برفق و نهضت لتقف و قالت و هى تفرك يديها بتوتر : على إحنا لازم نرجع الأوتيل قبل ما حد يلاحظ غيابنا

حاوطها بذراعيه و ضمها لصدره ثم اتجه يمشى معها حتى وصلوا للسور فى مقدمة اليخت ..قال و هو يضغط عليها فى حضنه و يستنشق عبير شعرها و هو مغمض العينين : مش هقدر أسيبك الليلة دى ... عاوزين نتكلم فى كل حاجة .. عاوز أعرف عنك كل حاجة .. لازم نشهد شروق الشمس سوا

لفها لتصبح فى مواجهته و قال و هو يتخلل خصلات شعرها بيده : قولتى إيه ؟

هزت رأسها إيجابا و انصاعت لطلبه ، و قالت بإبتسامة مشرقة : إسأل و أنا هجاوبك .. ها عاوز تعرف إيه ؟

******

كانت تقود سيارتها بسرعة فائقة ، تقطع الطريق من المطار إلى منزلها بلهفة .. تريد أن تصل لمنزلها بسرعة حتى ترى والدها .. تخبره أنها وجدت الحب .. وجدت ضالتها فى حبيب ظلت لسنوات كثيرة تبحث عنه حتى ينسيها مشاعر عابثة ظنت يوما أنها حبا و ما كانت فى الحقيقة إلا هراء .. شعرت أن الدنيا ستتصالح معها و تهديها حبا صادقا .. كانت تريد أن تطير إلى والدها و تخبره أن هناك من يود مقابلته فى أقرب وقت ليطلب يدها منه ...

أدارت بيدها زر مذياع السيارة لتبتسم بسعادة ، و هى تردد كلمات الأغنية الرومانسية :

أجمل إحساس بالكون

إنك تعشق بجنون

و ده حالى معاه

خلتنى أعيش أيام

مليانة بشوق و غرام

دوبنى هواه

****

فتحت باب المنزل و دلفت إليه بسرعة .. تركت حقيبتها جانبا على أحد المقاعد .. و لسانها لم يتوقف عن مناداة والدها .. سمعت صوته و هو يجيبها من غرفة مكتبه .. طرقت باب الغرفة بخفة ثم فتحته و قالت بلهفة و على ثغرها إبتسامة مشرقة " أنت فين يا سى بابا ... وحشتنى أوى .. عندى ليك خبر ب..." بترت عبارتها عندما وجدته يقف معهم فى نفس الغرفة أمام مكتب والدها .. مد يده ليصافحها و هو يقول بود : حمد الله على السلامة يا آسيا

نقلت نظرها بينه و بين والدها الذى حثها بعينيه حتى تصافحه ، و لكنها نظرت ليده الممدودة ببرود و قالت دون أن تمد يدها إليه : أهلا

ضم يده إلى جانبه بحرج فى حين قالت هى و هى تهم بالخروج من الغرفة : عن إذن حضرتك يا بابا .. أنا هروح أسلم على ماما عشان وحشتنى .. و هستريح فى أوضتى شوية ..

قالتها و هربت من أمامه بسرعة .. لا تريد أن تلمحه ، لا تريد أن تبقى معه بنفس الغرفة و يدخل لرئتيهما نفس الهواء ... لا تريده أن يفسد فرحتها .. لا تريد أن تعكر صفواها برؤيته ...

.. مد يده يصافح والدها و هو يقول بأسف : عن إذنك يا عمى أنا لازم أمشى .. واضح إن آسيا إضايقت لما شافتنى ..

قال له عزت نافيا و بداخله حرج شديد مما فعلته آسيا : لا يا يوسف يا بنى ، متفهمش غلط هى بس جاية من السفر تعبانة و عاوزة تستريح .. خليك قاعد شوية

ربت على يد عمه برفق و قال بإبتسامة صغيرة مدعيا تصديق عمه : معاك حق يا عمى .. خليها براحتها .. بس أنا لازم أمشى عشان سايب رانيا لوحدها و حضرتك عارف إنها حامل

قال له عزت بود : ربنا يقومهالك بالسلامة ، و تفرح بإبنك إن شاء الله

.. كانت فى غرفتها جالسة على الفراش دون أن تبدل ملابسها تزفر بحنق و تهز قدميها بعصبية حين سمعت طرقات على الباب و رأت والدها يدخل بهدوء و يغلق خلفه الباب .. ألقى عليها نظرة لوم ثم قال و هو يجلس بجوارها : ليه كده يا آسيا ؟

حاولت الهروب من الحديث عنه فقالت بمرح و هى تحتضن والدها و تلقى برأسها على صدره : كده برده يا سى بابا ! هى دى حمد الله على السلامة الى بتقولهالى ؟

ربت على كتفها بحنان و لكنه قال بعتاب : متهربيش من الكلام يا آسيا .. ينفع تقابلى إبن عمك كده و هو كان جاى يطمن عليا

خرجت من حضنه و قالت له بحنق : حضرتك أهه قلتها بنفسك يا بابا .. جاى ليك مش جايلى أنا .. المفروض يعنى أعمله إيه ؟

هز رأسه يمينا و يسارا و قال بنفاذ صبر : مفيش فايدة فيكى .. أنا عارف إنى مش هعرف أخد منك حق و لا باطل

ضحكت بخفوت ثم قالت و هى تقترب منه : طبعا ما إبن الوز عوام .. ضحك هو الآخر و ضمها لصدره بحنان و ربت على ظهرها و قال : قوليلى بقى .. إيه الى مفرحك أوى كده و مخليكى طايرة بالشكل ده .. الى يشوفك دلوقتى ميشوفكيش و أنتى مسافرة و بوزك شبرين ..

تملصت منه برفق ثم نظرت بعينيه و قالت ببساطة : بصراحة يا بابا ... أنا بحب !

******

كانت جالسة أمام التسريحة بغرفة النوم تضع آخر لمساتها التجميلية .. ثم نهضت من مكانها ووقفت ءمام المرآة تتفحص هيئتها .. ألقت نظرة رضا على ظهرها العارى تحت قميص نومها الحريرى الطويل ، وضعت يديها على خصرها و هى تتأمل مفاتنها تظهر بإغواء ، ثم التقطت قنينة عطرها المفضلة لديه .. رشت منها زخات كثيرة على جسدها .. ثم أغلقتها ووضعتها جانبا .. جمعت شعرها الأحمر النارى على أحد كتفيها حتى لا يحول دون رؤيته لظهرها العارى .. نظرت بساعة الحائط فوجدتها الحادية عشر.. التمعت عيناها بفرح لقرب موعد مجيئه على العشاء

.. خرجت لتجلس بغرفة المعيشة تنتظر قدومه و تسلى نفسها بمشاهدة التلفاز حتى يعود .. بعد ساعة سمعت صوت المفتاح و هو يدور بباب الشقة فعلمت بقدومه .. أغلقت التلفاز بسرعة .. و اتكأت بدلال على الأريكة متظاهرة بالنوم ... بعد دقائق شعرت به يقف أمامها .. فتحت عينيها بتثاقل مصطنع و تثاءبت و كأنها كانت تغط فى نوم عميق .. قالت بهمس و هى تنظر إليه : يوسف حبيبى .. أنت جيت إمتى ؟

انحنى أرضا يجلس على ركبتيه أمام الأريكة ينظر إليها و يبدو على وجهه علامات الضيق و الوجوم .. رفعت رأسها عن الأريكة و جلست أمامه نصف جلسة ... قالت بحنان و هى تحتضن وجهه بكفيها : مالك يا حبيبى.. فيك إيه ؟

تفاجأت به يحملها عن الأريكة و يتجه بها صوب غرفة النوم .. فطوقت عنقه بذراعيها العاريتين وقد انتشت بفرحة و هى تمنى ذاتها بقضاء لحظات حميمية بالقرب منه.. ركل باب الغرفة بقدمه بعنف و ألقاها على الفراش بقسوة .. و بعد دقائق سمعت صوت تمزيق ثوبها و شعرت بلمساته الساخنة و يديه تتجول على جميع أجزاء جسدها .. أخذها بقوة .. غير عابئا لطفلهما الساكن بأحشائها .. و لم يكن لها أى ردة فعل سوى أنها ضمته إليها أكثر ، تنحمل قسوته .. تتآوه من قوته بدلال .. تهدهده بهمسات العشق و الحب فى محاولة لإمتصاص غضبه و تهدئته .. و لكن هذا لم يزده إلا قسوة.. فكان يقتحمها بكل ما أوتى من قوة ..و لكنها لم تستطع أن تصمد أكثر و قد شعرت بإزدياد قسوته و شراسته و خطورة ذلك على طفلهما ... فصرخت بضعف و هى تدفعه عن جسدها .. و جلست على طرف الفراش تحتضن جسدها العارى بيديها ، نظرت إلى ثوبها الممزق و الملقى أرضا بدموع .. ندمت على إرتدائه .. عندما إرتدته كانت تطمح فى قضاء ليلة حالمة مع زوجها على ضى الشموع التى أعدتها ... كانت تحلم بقضاء ليلة رومانسية مع زوج يحبها .. لم تتوقع أبدا أن يعاملها بتلك القسوة .. و تنتهى الليلة بدموع حارقة تجرى على وجنتيها فى صمت

كان يلتقط أنفاسه اللاهثة بصعوبة و هو يرجع بظهره للخلف مستندا على ظهر الفراش المبطن بقماش " الشمواه " و قد شعر بفقدان السيطرة على نفسه و صورة آسيا المتجهمة و برودها معه لا تفارق خياله ...نهضت هى من الفراش بتثاقل تجر قدميها جرا من فرط التعب .. التقطت روبها الحريرى من على مقعد التسريحة .. لفته حول جسدها العارى بإحكام ثم خرجت من الغرفة بهدوء تكتم دموعها و شهقاتها بيدها..

جلست فى الشرفة تنظر من خلال سورها الحديدى إلى مياه النيل و قد لمعت بضوء لامع رومانسى أهداها إياه القمر الساطع فى السماء و زاد عليه الألعاب النارية التى

تعلو إلى السماء ، و الأضواء الصادرة من فندق " الفورسيزون " الذى تقام به حفلات عرس كثيرة كل ليلة ..

أراحت قبضة يدها إلى ذقنها مستندة بمرفقها على ذراع الكرسى .. تتابع حركة السيارات الفخمة التى تمر أسفل منزلها بشارع " مرسى الفلايك " بحى جاردن سيتى ... فرت من عينيها دمعة حارة نزلت على وجنتها اليمنى ببطء عندما تذكرت والدها .. والدها الذى بسببه هى تقيم الآن بحى جاردن سيتى .. والدها الذى تحمل معظم ثمن الشقة ... تاركا ليوسف الفتات يدفعها .. لم يشقوا عليه فى شئ .. حتى الأثاث الفاخر تحمل والدها تقريبا معظم نفقاته .. لقد تحمل والدها عبء مصاريف زواجها تقريبا بالكامل .. و زوجها العزيز لم يتعب فى شئ .. والدها الحنون فعل ذلك عندما علم بإصرارها على الزواج من يوسف .. فعل ذلك عندما وجدها تحبه و عندما لمس فى يوسف الطيبة و الأخلاق ... آمنه عليها ووعده أنه لن يشق عليه بالطلبات الصعبة ... وعده أن يساعده و يذلل له الصعاب ... وعده بأنه سيكون صاحب الشركات و الأموال و كل شئ من بعده .. وعده أنه فى خلال سنوات قليلة سيصبح على يديه الشريفتين من ألمع الأسماء فى مجال الهندسة و التصميمات ... و فى مقابل كل تلك الإغراءات طلب منه طلب بسيط جدا ألا و هو الإعتناء بنجلته الوحيدة ... أن يحبها كما تحبه ... أن لا يقسو عليها فى يوم من الأيام مهما فعلت ... ألا يتركها لليلة واحدة تنام و دموعها على خديها ... طلب منه أن يدللها كما تدللت فى بيت أبيها ...

تذكرت سبب إصرارها على شراء تلك الشقة بالتحديد ... و هزئت بداخلها من نفسها .. لقد اشترتها خصيصا فى ذلك الموقع المتميز حتى تنعم برؤية مياه النيل ليلا بصحبة زوجها ... أن يقضوا معظم ليلاتهم فى الشرفة يتنسمون الهواء المنعش الذى سيدغدغ أجسادهم برقة .. يشاهدون فندق الفورسيزون سويا و يتمتعوا برؤية الألعاب النارية و الليزر تنطلق فى السماء بحرية كل ليلة ... يشعرون بالغيرة من كل عريس و عروس تكون ليلة زفافهم اليوم فى كل يوم ... كانت تظن أن كل تلك العوامل ستجعل حياتهم كلها عبارة عن ليالى من الحب و العشق .... و لكن هيهات أن يتحقق للإنسان ما يريد ... فهى لا تتذكر أنهم فى يوم جلسوا فى تلك الشرفة سويا يشاهدون النيل ، لا تتذكر أنه فى يوم قبلها ثم أخذها بحب على أرضية تلك الشرفة كما كانت تحلم ... لا تتذكر سوى ليال كثيرة نامت فيها مكانها على ذلك الكرسى بعد أن تعبت من البكاء و التفكير ... و بالفعل شعرت بالنوم يداعب جفنيها برقة و قد استطاع الهواء المنعش أن يقاوم مقاومتها للنوم .. فغفت مكانها بعد أن مددت ساقيها كالعادة على كرسى آخر أمامها .. و بداخلها تعلم أنها ستسيقظ غدا مبكرا لتحضر له فطوره قبل الذهاب للعمل ... تجلس بجانبه على المائدة و تطعمه

بيدها و تتحدث معه و كأن شيئا لم يكن .... فهى تحبه ... و بنظرها الحب هو أن تتحمل حبيبها فى نوبات غضبه بصبر و تساعده أن يتخلص منها ...نوبات غضبه و جنونه تلك التى تداهمه بإستمرار و لا تعلم ما سببها و لا تعلم حتى متى ستنتهى .. الشئ الوحيد الذى تعلمه و تتأكد منه أنها تحبه ...لذا ستتحمله و تكتم ذلك بداخل نفسها و لن تفضى به لأحد مهما كان قريب منها ... حتى أمها !

****

رن جرس هاتف المنزل بصوت عالى جعلها تترك ما بيدها و تتجه نحوه بسرعة لترد ، ابتسمت و هى تجيب قائلة : الحمد لله يا بابا .. أخبار حضرتك إيه .. و ماما سعاد عاملة إيه ؟

قالت بخجل و هى تجلس على الأريكة و تنظر باتجاه غرفة نومهما : لا يا بابا .. مش هيقدر يكلم حضرتك دلوقتي .. بياخد حمام

عندما سمعت كلماته الأخيرة انفرجت شفتيها عن إبتسامة كبيرة و قالت بعدم تصديق : معقول يا بابا ! .. حاضر هبلغه..مع السلامة .

ألقت برأسها على مسند الأريكة باسترخاء ووضعت ساقا فوق ساق وقد ارتسم على محياها إبتسامة واسعة ثم تنهدت براحة و قالت بهمس و هى تضع يدها على بطنها المنتفخة قليلا : الحمد لله .. أخيرا !

عادت من خضم أفكارها للواقع عندما سمعت صوته يناديها من غرفة النوم .. نهضت من مكانها و دلفت للغرفة ، رأته يقف أمام المرآة بصدر عارى يلمع بقطرات الماء ، و قد لف نصف جسده السفلى بالمئزر ، و كان يجفف خصلات شعره المبتلة بالمنشفة .. التمعت عينيها برغبة ، ثم اقتربت منه بدلال ووقفت خلفه ، تستنشق رائحة عنقه و هى تدفن رأسها به ، ثم لفت ذراعيها حول خصره، و ألقت برأسها على ظهره بهدوء و أغمضت عينيها و أطراف أصابعها تتجول على ذراعيه القويتين بنعومة مفرطة ..

نظر لها فى انعكاس المرآة و مط شفتيه مللا من تصرفاتها الحميمية معه و التى لا تمل منها و تمطره بها فى أى وقت ، ثم قال بتساؤل ليفيقها من سكرتها: مين الى كان بيتصل و أنا باخد حمام ؟

رفعت رأسها تنظر إليه من خلال المرآة ، استندت برأسها على كتفه و زحفت يدها على صدره تتحسسه بإغواء ، ثم قالت بإبتسامة ماكرة : ده بابا يا حبيبى .. كان عاوز يقولك إن آسيا خطوبتها الخميس الجاى !

****

يا دبلة الخطوبة عقبالنا كلنا

و نبنى طوبة طوبة فى عش حبنا

نتهنى بالخطوبة و نقول من قلبنا

يا دبلة الخطوبة عقبالنا كلنا

صدحت أصوات الزغاريد عاليا مختلطة بصوت السيدة شادية الذى يصدح عاليا بكلمات أغنية " يا دبلة الخطوبة " .. كانت حفلة الخطبة مقامة بمنزلها كما اتفقت هى و على .. كانت تنظر له بحب و هو يحتضن كفها بيديه من أول الحفل و لم يفلته قط .. حتى عندما ينهض لتحية أحدهم لا يفلت يدها و يظل ممسكا بها بإحدى يديه و بالآخرى يقوم بمصافحة المهنئين .. و الذين كانوا من أقرب المقربين .. أقاربها من الدرجة الأولى ، أصدقاء والدها ، صديقه المقرب عمر و خطيبته ، جيرانها الذين تحبهم و ترتاح إليهم .. كان من أهم أسباب إصراره عليها على إقامة حفل الخطوبة بالمنزل .. هى أنه رغب بأن يراها فى موطنها الأصلى ، منزلها الذى ولدت به ، وسط أقاربها و جيرانها الذين تربت معهم و تحبهم .. كان يريد أن ينتزعها من حزنها الذى شملها كليا عندما أخبرتها أختها " رغدة " أنها لن تستطيع الحضور لظروف عمل زوجها و مديرينه الذين رفضوا إعطائه إجازة .. شعرت بالوحدة تسكنها و أن فرحتها ستنتقص بغياب أختها .. فوجد نفسه يطلب منها أن تعدل عن فكرة إقامة الحفل بأحد القاعات الفاخرة .. أخبرها أنه يريد أن تقام الحفل بمنزلها ، أخبرها أنه أعجب برقى المنطقة التى تسكن بها كثيرا ، و أنه يريد أن يرى فرحة أقاربها و جيرانها بها ، أخبرها أنه يريد أن تفتخر به و يفتخر بها .. ووافقته و لم تجادل .. ساعدها فى تحضير كل شئ .. كان معها لحظة بلحظة .. أحضر لها العمال الذين غيروا من نظام المنزل و ترتيب أثاثه حتى يصبح أكثر اتساعا و يستوعب المدعوين جميعا .. اختار معها ألوان الكوشة و كل شئ يخصها .. انتقى معها الكوشة بعناية و التى كانت عبارة عن أريكة بيضاء وثيرة و ستار باللون الأبيض الفاتح الذى يتداخل مع الزهرى ، كانت الكوشة مميزة بالأزهار التى تزين الستار و تضفى عليه بساطة و رقة ..

التفت بجسده كله ناحيتها ينظر لها بإعجاب و هو يتأمل جسدها الممشوق الرائع الذى يحتويه فستان غاية فى الرقة و البساطة .. كان فستانها باللون الفضى اللامع ، ذو أكمام ضيقة ، ضيق عند منطقة الصدر و يظل هكذا مرورا بمنطقة الخصر و حتى الفخذين ليبرزهما بفتنة ثم من بعد ذلك يظهر اتساعه متمتعا بذيل السمكة ، كان الفستان مزين بأكمله بالكريستالات الصغيرة مما أكسبها أنوثة فائقة .. كانت ترتدى حجابها الذى لفته بأناقة و على وجهها لمسات تجميلية خفيفة لم تزدها إلا رقة و جمالا و قد كانت زينة وجهها تأخذ طابع اللون الوردى الهادئ ..

انتبه إلى والدتها التى تقدمت منهما و هى تحمل صينية من الفضة وضعت عليها علبة من القطيفة تحتوى الشبكة الألماس التى انتقوها سويا .. اقتربت منه و قالت بإبتسامة واسعة : لبس عروستك الشبكة يا على

انطلقت الزغاريد بصوت عالى طرب له العروسين ، مدت له يدها بخجل و ألبسها دبلتها الألماس ، و كذلك فعلت هى بخجل كبير تحت أنظار والديها و المدعوين .. اقترب منها والدها و قبلها بجبينها بحب ثم فعل نفس الشئ مع على و قال و هو يستعد للوقوف بجانبهم ليلتقط له الفوتوجرافر صورة بصحبة العروسين : ربنا يسعد أيامكم يا ولاد و يجعل أوقاتكم كلها فرح

بعد أن التقط لهم العديد من الصور ، شعر على بالرغبة فى الإنفراد بها ، فبقلبه مشاعر كثيرة يجب أن يخبرها إياها .. فمال عليها قائلا بمكر : مش يلا بينا بقى يا جميل

اقتربت منه قائلة بإبتسامة تحمل بعضا من الدهشة : يلا فين يا على ؟

أجابها بحماس قائلا : عاوزين نروح نسهر بقى لوحدنا .. خلاص شربنا الشربات و كلنا الحلويات و سلمنا على المعازيم .. ناقص إيه بقى يا آسيا .. عاوز أقعد معاكى لوحدنا .

تلفتت حولها بخجل فقد خافت أن يكون سمعه أحد و قالت له و هى تشير له بالهدوء : مش معقول يا على ننزل و نسيب الناس الى جايين يباركولنا .. و بعدين بابا هنقوله إيه يعنى ؟

أفلت يدها و رأته يتجه نحو والدها ثم انفرد به لدقائق بعيدا عن صديقه الذى كان يتحدث معه ، ظلت تراقبهم بتوتر .. رأت على يهمس لوالدها الذى بدا عليه الوجوم ثم ما لبث أن انفرجت شفتيه عن ابتسامة واسعة و هو يربت على كتفى " على " و يهمس له بشئ هو الآخر فتنهدت براحة و قد زال توترها ..

رأت على يقبل نحوها و على ثغره إبتسامته الخلابة ، التقط كفيها برقة فى يديه و هو يجذبها برفق و يساعدها فى النهوض حتى لا تتعثر فى ذيل الفستان .. سألته بحيرة قائلة : فى إيه يا على .. واخدنى على فين و بابا قالك إيه ؟

لم يرد عليها و إنما رفع ذراعه لتتأبطه و هى مازالت غارقة فى حيرتها .. اتجه بها صوب والدها الذى كان يضع يده بجيب بنطاله و الآخرى تمسك بكأس مملوء نصفه بالشربات و يراقبهما بعينيه و عندما وجدها تقف أمامه و هى خجلى ، أجلى صوته قائلا بنبرة تحمل بعض الجدية و هو يشير ناحية على : على طلب منى إنه

ياخدك تسهروا بره فى أى مكان ، و أنا وافقت يلا روحى معاه .. ثم نظر تجاه على و بداخله شعور كبير بالغيرة منه على ابنته التى تتأبط ذراعه كالطفل الذى وجد أمه أخيرا و على وجهه فرحة عارمة ، فقال بلهجة خرجت رغما عنه آمرة : خد بالك عليها يا بشمهندس

أشار على بسبابته على عينيه بحركة مسرحية ثم قال بإبتسامة : فى عيونى يا عمى .. متخافش .. قالها على ثم حيى والدها بسرعة و انطلق بها بحماس دون أن يترك لها فرصة لتشكر والدها و تظهر إمتنانه لها .

.... بعد وقت رأته يتوقف بسيارته أمام باخرة نيلية كبيرة .. ترجل من السيارة بسرعة و دار حولها ثم فتح لها الباب و ساعدها على الخروج من السيارة .. وقفت تنظر للباخرة بحيرة .. و لكنه أفاقها من حيرتها حين التقط يدها يقبلها بشغف ثم رفع بصره نحوها و قال و هو يشير تجاه الباخرة : اتفضلى يا مولاتى .. وصلنا

تأبطت ذراعه مرة آخرى و مشت بجواره بفخر .. تتأمل جمال المكان من حولها .. عبرا معا الجسر الخشبى الذى يصل بين الأرض التى توقفت عليها سيارتهم و الباخرة النيلية الكبيرة ..و ما إن خطت بقدميها على متن الباخرة حتى رأته يشير لأحد الشباب العاملين بيده .. فرفعوا الجسر الخشبى على الفور و انطلقت الباخرة تتحرك بخفة على مياه النيل .. جذبها من يدها برفق و صعدوا سويا على درج الباخرة من الداخل و الذى كان يحفه الورود من الجانبين ، عندما وصلوا لآخر الدرج وجدت رجل خمسينى ذو شعر أبيض فى حلة رسمية يبدو عليه الوقار الشديد ، كان ينتظرهم بإبتسامة بشوشة للغاية .. حياها بلطف ثم قدم لها باقة من الورود الحمراء المنمقة و قال بأدب و هو ينحنى أمامها بحركة مسرحية : مبروك يا فندم ... إدارة الباخرة بتتمنى لحضرتك سهرة سعيدة ..

وجدته فجأة يختفى من أمامها .. و التقط على يدها لتصعد آخر درجة فى الدرج .. وصلوا إلى سطح الباخرة و الذى كان فارغ إلا منهما .. كان يتوسطه طاولة دائرية من الزجاج و حولها مقعدين طويلين ذو ظهر دائرى ، أزاح لها أحد المقعدين فجلست بخجل ، ثم التف حول الطاولة و جلس أمامها ..

التقط يديها يحتضنهما فى كفيه و ظل يتحسسهما بحنان و هو يتأملها بنظراته الشغوفة و قال: مبروك عليا أنتى يا آسيا ، قالها ثم قبل باطن يدها ببطء شديد .. جعل قلبها يجن بدقاته و شعرت بسخونة جسدها تتزايد بسرعة .. حاولت الهروب من نظراته المتفحصة لها فتلفتت حولها بإنبهار و قالت له : المكان هنا حلو أوى يا على ، بس أنت جهزت الحاجات دى كلها إمتى ؟

قال بهيام و هو يشملها بنظراته الثاقبة التى التقطت خجلها بسهولة : عجبك المكان ؟ ... المكان ده محجوز على اسمك من ساعة ما اتفقت مع والدك على الخطوبة .. فى الأول فكرت نعمل الخطوبة هنا ، بس بعد كده غيرت رأيى و قلت لا ،احنا لازم نكون هنا لوحدنا و على راحتنا عشان أعرف أقولك الى أنا عاوزه

تصاعدت الدماء إلى رأسها بغزارة فتوردت وجنتيها خجلا ، و قد سرت فى جسدها قشعريرة من نظراته و لمساته الناعمة .. أشاحت ببصرها بعيدا عن عينيه ..

سمعت صوت موسيقى رومانسية ناعمة للغاية تصدح فى الأفق .. فنهض من مكانه و جذبها برفق لتنهض هى الآخرى ... كانت تنظر إليه و صدرها يعلو و يهبط بجنون حين شعرت بذراعه يضم خصرها برقة ليقربها إلى صدره .. و بذراعه الآخر على ظهرها .. استندت برأسها على كتفه و أغمضت عينيها .. تنعم بلمساته الرقيقة على ظهرها وهما يرقصان رقصة " سلو " ..

همس بجانب أذنيها بحرارة قائلا : بحبك يا آسيا .. أول مرة أعرف يعنى إيه حب كان على إيديكى أنتى ..

رفعت رأسها و لفت ذراعيها حول عنقه و تخللت بأصابعها خصلات شعره و قالت : أنا كنت واهمة لما كنت فاكرة نفسى بحب قبل ما أشوفك .. أنت أول حب فى حياتى يا على .. حبك رجعنى لنفسى الى تاهت منى بسبب حد قبلك ما يستاهلش .. حبك بيعوضنى عن حاجات كتير و ناس كتير أخدتهم الدنيا منى .. بحبك يا على .. بحبك من يوم ما ضمتنى لصدرك لما نادر اتهجم عليا ، لما لقيتك اتحولت لوحش كاسر مستعد يعمل أى حاجة و يحمينى..بحبك من يوم ما وقفت تصلح لى عربيتى .. بحبك من يوم قابلتك فى جروبى .. و كنت هموت لما سلمى قالتلى إنك عملت حادثة و فى المستشفى .. بحبك و مبقتش قادرة غير إنى أحبك

قالتها و ضمته بقوة لصدرها ،تتحسس شعره بيديها ، بينما كان هو يضغط على جسدها بحنو و هو يمسح على ظهرها .. قبل رأسها بعمق ثم قال و هو مغمض العينين و يديه تتجول على ظهرها ومازالا يرقصان على الأنغام الرومانسية : انسى أى حاجة حصلت قبل ما نتقابل .. انسى كل حاجة و متفكريش غير فى حبنا و حياتنا الى جاية .. متفكريش غير فى جوازنا وولادنا الى هجبهم منك .. أنا عاوز أخلف منك ولاد كتير يا آسيا .. ولاد يشيلوا دمنا الى بيجرى فيه حبنا .. بحبك يا آسيا .. أنتى الى هتعوضينى عن كل الوحدة الى عشت فيها طول عمرى .. هتعوضينى عن كل حاجة يا عمرى

خرجت من حضنه و نظرت لوجهه الوسيم بحب ، بينما توقف هو عن مراقصتها و شعرت بيديه تلف خصرها ببطء ، ابتلعت ريقها بشغف حين رأت عينيه تلتهم شفتيها .. تخلصت من قيود خجلها ووضعت يدها خلف رأسه ليقترب بشفتيه منها ، أغمضت عينيها و تركت له العنان ليعبر عن حبه ، شعرت بشفتيه تلامس شفتيها أولا و تتحسسهما ثم أخذهما برقة ، و اختلطت الأنفاس و سكن كل شئ حولهما .. لم يقطع عليهما نشوتهما تلك إلا حين تنحنح الرجل الذى رأته منذ قليل بحرج ، و قد كان خلفه نادل يحمل صينية فضية عليها كأسيين فارغين و زجاجة تحوى عصير أحمر اللون يشبه لون النبيذ.. فتحت فاهها بدهشة عند رؤية تلك الزجاجة و رأته يأمرهم بوضع الصينية على الطاولة و الإنصراف فورا و قد تملك منه الغضب منهم لمقاطعتهم لحظاته الخاصة معها

تمتم بغيظ قائلا : أغبية .. إزاى يطلعوا كده و من غير ما أقولهم

أشارت نحو الزجاجة ، و ضيقت عينيها بتساؤل قائلة : على ... هو ده خمرة ؟

هز رأسه نافيا و قال وهو يلتقط الزجاجة ليصب منها فى الكؤوس : لا طبعا يا روحى .. ده شربات توت .. أنا مبشربش غيره

ضحكت بخجل من نفسها ، و اقتربت تلتقط كأسها منه ، و لكنها فوجئت به يشربها من كأسه ، ثم اقترب من شفتيها يلعق آثار التوت منهما بإغواء ، ثم ترك الكأس جانبا و ضمها مرة آخرى ليكملوا ما بدأوه منذ قليل !

****

كانت نيران الغيرة تضرم بقلبه دون رحمة ، لا يغيب عن عقله المشهد الذى رآه بحفل خطبتها عندما ذهب ووقف عند الباب يختلس النظرات إليهم دون أن يلحظه أحد ، رأى الفرحة العارمة تطل من عينيها و هى تضع الدبلة بإصبعه ، فرك فروة رأسه بقوة حتى كاد أن يقتلع جذور شعره من مكانها ، لا يريد أن يصدق أنه رآها بحضن رجل آخر ، لقد ظل يراقبهم منذ أن طوقوا أصابعهم بالخواتم الألماس حتى قام هذا الوسيم ذو الجسد الرياضي الضخم بتوصيلها عند باب بنايتها بعد أن قضوا ليلتهم بباخرة نيلية كبيرة، لقد ظل يعذب نفسه بقسوة و هى يشهد بعينيه قبلته لها فى السيارة ، و ابنة عمه العزيزة لم تعترض بل طوقته بذراعيها و شاركته قبلته بشغف ، كان يعض على أظافره بقوة و دموعه تلتمع بمقلتيه و هو يراقبهما من سيارته .. كان يود أن ينزل من السيارة و يسحبها من سيارة ذلك الضخم و يصفعه بقوة ، ثم يأخذها و يلقها أرضا أمام والديها و يفضح أمرها .. و لكنه منع نفسه عنها فى اللحظة الأخيرة حتى يعطى نفسه فرصة للتفكير السليم و أخذ القرار الصائب ..

فى البداية عندما سمع من رانيا أن خطبتها ستكون يوم الخميس القادم ، ظن أنها خطة من إبنة عمه حتى تشعل النيران بقلبه و تجعله يزحف إليها كالمرة السابقة عندما ادعت موافقتها على « الكابتن » إبن صديق والدها ، و لم تتم الخطبة و اتضح له أنها لعبة من ألاعيبها الأنثوية الماكرة حتى تسحق كبرياءه و تراه أمامها ذليلا يطلب منها العفو ، و لكن تغير تفكيره تماما عندما رآه ، شاب أكثر منه وسامة ذو جسد رياضى يتمتع بالنفوذ و الثراء الفاحش كما تراءى له الليلة ، و صغيرته آسيا مفتونة به للغاية كما رأى ، للدرجة التى جعلتها تتخلى عن مبادئها و تضرب بها عرض الحائط ، لقد سمحت له بأخذ شفتيها كما يريد ، تركته يتجول بيديه بحرية على جسدها الفاتن دون أن تقاوم ، تركته يعتصر صدرها الممتلىء بيديه دون أن تخجل كونها فى سيارة على الطريق و تحت بنايتها ، ألم تخف و لو للحظة أن يراها والدها من الشرفة ، أو أن يطرق لهم شخص ما على زجاج السيارة ليتوقفوا عن فعل تلك الفواحش فى الطريق ! .. و لكن يحق لها عدم الخوف فلقد عادت معه فى سيارته فى منتصف الليل دون أن تعبأ لأحد ..

... نظر بساعة يده فوجد أن الوقت قد تأخر للغاية و قد تبقى ساعتين فقط على بزوغ الشمس .. نهض من مكانه بالشرفة التى ولج إليها للمرة الأولى منذ سكن هو و زوجته تلك الشقة ، ولجها اليوم مجبرا عندما عاد من الخارج و قد كان يشعر بالإختناق و ضيق الصدر، كان طالبا نسيم النيل العليل حتى تهدأ من نيران قلبه التى تنهشه دون رحمة .. قرر أن يدخل غرفة النوم حتى يخلد للنوم بجانب زوجته و يضمها عله يخفف عبء أسئلتها الثقيل عن سبب تأخره فى الصباح .. قبل أن يدلف إلى الشقة كور قبضته بقوة ثم لكمها براحة يده .. و قال و هو يكشر عن أنيابه : ماشى يا آسيا .. أنا هوريكى .. إن كان عمى طيب و مش عارف يربيكى .. يبقى أنا بقى الى هربيكى .. و هبطلك الإنحلال الى أنتى فيه ده ..

******

كان اليوم منهك للغاية بالنسبة لها ، فبسبب غيابها المتكرر هى و هو عن الشركة فى الفترة الماضية انشغالا بحفلة الخطبة و من قبل ذلك التحضير لها ، تراكمت فوق رؤوسهم الكثير من الأعمال ، و اليوم كان عليها إنجاز الكثير منها و تقديمها له كى يؤشر عليها ، لم تره اليوم و تتحدث معه على إنفراد إلا للعمل ..

أوقفت سيارتها أمام منزلها ، نظرت لوجهها فى المرآة بتعب ثم زفرت بقوة و خرجت من السيارة .. دلفت للبناية بخطوات منهكة للغاية ، أوشكت على الإقتراب من المصعد و طلبه ، حين شعرت فجأة بيد تجذبها بقوة فاستدارت بجسدها دفعة واحدة محاولة تحرير مرفقها و هى ترفع رأسها ، اصطدمت عينيها بوجه إبن عمها فقالت بإندهاش : يوسف !

قال لها بصرامة : أيوة يوسف .. أمال فاكرانى مين ؟

جذبت يدها منه بقوة و زفرت قائلة بغضب : أنت عاوز إيه .. و كنت فين أنت أصلا .. و لا ماشى ورايا بتراقبنى ؟

نظر لها بإشمئزاز قائلا : للأسف ده الى حصل .. و شفتك معاه و شفت قذارتكم مع بعض .. ثم قال و هو يشير لعينيه بغضب عارم : شفتك بعينيا دول يا آسيا يا بنت عمى و أنتى معاه فى العربية .. شفتك و أنتى سايباله نفسك و جسمك .. للأسف مكنتش عارف إنك واطية و رخيصة أوى كده

كانت تنظر له و تسمع ما يقول بعدم تصديق و عندما تجرأ عليها رفعت يدها لتصفعه و لكنه أمسك بمعصمها بقوة قبل أن تهوى بأصابعها على وجهه .. فقالت بحدة و هى تنظر بعينيه : إخرس و متجبش سيرتى على لسانك القذر ده و إلا قطعتهولك .. أنت فاكر الناس كلها واطية زيك و لا إيه .. الى أنت بتتكلم عنه ده يا بنى آدم يبقى خطيبى و قريب أوى هيبقى جوزى .. و بيخاف عليا أكتر من نفسه .. ثم أنا مش عارفة أصلا أنت بتحاكمنى بصفتك إيه .. و كمان كنت ماشى ورايا تراقبنى ! .. أنت عايز منى إيه بالضبط .. حاطتنى فى دماغك ليه .. سبنى فى حالى بقى و ابعد عنى

أوشكت على الإبتعاد عنه و لكنه جذبها من معصمها مرة آخرى و أوقفها أمامه و قال بتهكم : خطيبك ! خطيبك تقومى تسمحيله يلمس جسمك و ي ...

صرخت بوجهه تمنعه من المتابعة و قد انتفخت أوداجها و احمر وجهها غضبا : اخرس .. أنا و على أشرف من مليون واحد زيك .. أنت مين أصلا عشان تتكلم عن الشرف !

تابع حديثه قائلا بنفس النبرة المتهكمة و كأنه لم يسمعها : خطيبك يا هانم يعنى أجنبى عنك .. ميحقلوش حتى يسلم عليكى مش يبوسك زى ما شفت .. ميحقلوش يختلى بيكى و لا يقولك كلام حب يخليكى تنسى نفسك و تسمحيله يمد ايده على .... بتر كلمته و لكنه عاد يقول بسخرية : على جسمك ... الواد ده آخره يمشى معاكى يومين ، ياخد منك كل الى هو عاوزه و بعد كده هيرميكى زى ما بيرمى أى حاجة فى الزبالة .. عارفة ليه يا آسيا ؟ .. عشان أنتى واحدة رخيصة .. آخرك مع الرجالة يمشو معاكى و ياخدو من جسمك الحلو ده الى هما عاوزينه و بعد كده .. يقولولك أمك فى العش و لا طارت .. صدقينى يومين و يفسخ الخطوبة بعد ما يكون خد منك كل حاجة .. و ساعتها هتلاقى نفسك و لا حاجة .. هتلاقى نفسك مجرد حشرة آخرها تداس بأوسخ جزمة .. لأنك واحدة صايعة مش بتاعة جواز

و لم تستطع الصمود أكثر أمام كلماته الحقيرة لها ، فرفعت كفها و صفعته على وجهه بقوة فاجئته ، وضع يده على خده و نظر إليها و قال بنبرة تهديد و هو يضيق عينيه : القلم ده هدفعك تمنه غالى أوى يا آسيا ...بعدها كالمجنون قهقه ضاحكا ، ثم كشر عن أنيابه قائلا بشراسة : واضح إن الكلام أثر فيكى و لمسك و حسيتى إنه حقيقة و هى الحقيقة كده يا بنت عمى دايما بتوجع .. بس أنا هخلينى معاكى للآخر .. لو فعلا سى على بتاعك ده واخد الموضوع جد ، خليه يكتب كتابه عليكى ، جربى قوليله كده و شوفى هيقولك إيه ..نظر إليها من رأسها لأخمص قدمها شزرا و قال بإستهزاء : بس أنا عارف كويس رده هيكون إيه ..

قالها و غادر تاركا إياها ترتعش بضعف و دموعها تسيل على وجهها دون توقف .. ظلت تنظر إلى مكانه الذى كان يحتله بجسده أمامها بعينين زائغتين ثم وضعت يدها على رأسها و قد شعرت بتشوش الرؤية أمامها تماما و هنا لم تستطع الصمود أكثر و سقطت فاقدة للوعى

****

كانت المرة العاشرة تقريبا التى يحاكيها فيها على و لكن مثل المرات السابقة يجد الهاتف مغلق ، زفر بقوة و قال و هو يعاود الإتصال مرة آخرى : ردى بقى يا آسيا .. قلقتينى عليكى ..

و على الجانب الآخر كانت فى فراشها ، نائمة تحت تأثير المادة المهدئة التى حقنها الطبيب بذراعها بعد أن فحصها و أخبر والديها بحالتها قائلا " عندها حالة إنهيار عصبى " .. و تحت تأثير تلك الكلمة انهار والدها على المقعد خلفه ضاربا كفا بكف

و هو لا يدرى ماذا يفعل أو كيف يتصرف .. و حتى لا يدرى ما هو السبب الذى أودى بها إلى تلك الحالة ..

ليلا خرجت والدتها من غرفتها ثم جلست بجانبه بإستكانة مستندة بقبضتها إلى خدها ، نظر إليها فوجد خيبة الأمل جلية على وجهها ، فسألها قائلا : أخبارها إيه دلوقت ؟ .. صحيت ؟

قالت بصوت أشبه للبكاء و هى تتجنب النظر إليه : زى ماهى جسمها سخن زى النار .. و عرقها ما بينشفش و عمالة تعيط جامد .. و لسانى نشف و أنا بحاول أعرف منها فى إيه .. لكن أبدا مش راضية تنطق .. أنا خايفة عليها أوى

كلماتها أثارت الذعر فى قلبه فنهض من مكانه و اتجه يدق باب غرفتها ثم دلف إلى الحجرة بهدوء ..كانت جالسة على الفراش مستندة بظهرها إلى ظهر السرير تضم ركبتيها إلى صدرها و جسدها يرتعش بقوةو عينيها حمراوتين كلون الدماء و دموعها لا تتوقف عن الإنهمار فانفطر قلبه حزنا عليها ، منذ يومين فقط كانت تحلق فى السماء فرحا ب « على » و بإتمام حفلة الخطبة ، و الآن يرى تبدل حالها تماما من النقيض للنقيض

جلس بجوارها على الفراش ، و نظر لها بحنان ثم أجلى صوته قائلا : فى علاقات يا آسيا يا بنتى بتقوى الواحد بالحب و تخليه قادر يقف فى وش الدنيا كلها بدون خوف .. و فى علاقات تانية بتقوى الواحد و بتنشف عضمه و بتخليه برضه قادر على مواجهة العالم كله بس مش بالحب .. عارفة بإيه ؟ ..

توقفت رعشة جسدها ووجهت نظرها إليه .. فحثه ذلك على الإسترسال فى الحديث فقال : بالصدمة ! .. ضيقت عينيها بعدم فهم فتابع قائلا : أيوة .. مستغربة ليه ! .. الصدمة و الخذلان أكثر حاجتين ممكن تدى الإنسان دفعة فى حياته و قوة جبارة ملهاش مثيل .. صحيح هو بيقع فى الأول من تأثيرهم المفاجئ عليه خصوصا لو كان بيحب أوى و حاطط آمال كبيرة أوى على الى بيحبه .. لكن صدقينى لو الشخص ده قوى مش هيفضل واقع كتير ، هيتصدم فى الأول شوية و ده مش عيب ، بالعكس ده الصح ، الصح إن كل حاجة تاخد وقتها الطبيعى لا أكثر و لا أقل .. المهم إنه يقوم بعد الصدمة دى أقوى من الأول .. ربت على ساقها بحنان و قال و قد اطمئن قلبه قليلا برؤيته لتوقف دموعها و شرودها فى حديثه : أنا مش هسألك و لا هضغط عليكى تقوليلى إيه الى مزعلك ، بس عاوز أقولك مهما كان سبب زعلك ، متطوليش فى الزعل و متسبيش نفسك ليه ، بالعكس لازم تقومى و تقفى على

رجليكى و تحاولى تحليه و لو لا قدر الله معرفتيش .. تعاليلى فورا و أنا هقف معاكى ووقتها هنكون أنا و أنتى مع بعض أكيد أقوى من أى زعل

و مع آخر كلماته وجدها تلقى نفسها فى حضنه و على صدره ، تستمد الدفء و الأمان من قربه ، بكت بحرقة ، لأنها المرة الأولى التى لا تستطيع فيها أن تتحدث معه بصراحة ، المرة الأولى التى تحزن فيها و لا يكون هو أول شخص يعلم سبب حزنها ، فهذا الأمر بالذات لن تستطيع البوح به فماذا ستقول له ! أنها تخلت عن مبادئها التى تربت عليها و تحت مسمى الحب تاهت فى طريق المشاعر ، تركت لحبيبها العنان يعبث بجسدها كما يحلو له ، نعم توقفوا عند حد معين و لكن هذا لا يعنى أنها لم تخطئ ، هى تعلم جيدا حدود الخاطب مع خطيبته و لكنها كسرتها ، تجاوزت معه و تركت شهوتها المجنونة تسيطر علىها ، وجدت نفسها تمشى معه دون اعتراض و تدخل معه غرفة فاخرة بأحد طوابق الباخرة و تتركه يعبث بجسدها ، سمحت لنفسها أن ترى فستان خطبتها يسقط تحت قدميها دون أى إحساس بتأنيب الضمير أو إحساس بالذنب تجاه والدها التى وثق بها ، و عندما افاقت من غفلتها بجانبه قالت له بخجل : على مينفعش الى حصل ده .. ميصحش .. يومها نهض من رقدته و احتضنها و ضمها لصدره العارى قائلا : لا ده عادى بيحصل بين كل المخطوبين .. متكبريش الموضوع يا آسيا .. إحنا انهاردة بقينا مخطوبين و من حقنا نعبر عن مشاعرنا زى ماحنا عاوزين .. و بعدين إحنا مغلطناش ووقفنا عند حدود معينة و مش هنخطيها ..

شعرت بالحرج من نفسها ، لقد خانت والدها و الآن تستكين فى حضنه كملاك برئ لم يذنب ، لا .. هى لا تستحق أن تنعم بدفء أحضانه و لمسة يده الشريفة الحنونة على شعرها ، لن تنعم بحنانه مرة آخرى قبل أن تتطهر و تكفر عن ذنبها ، خرجت من حضنه بسرعة و كفكفت دموعها ثم قالت بخفوت محاولة تجنب النظر لعينيه : متخافش يا بابا .. أنا هكون كويسة متقلقش عليا

*****

الخطأ الذى يرتكبه الإنسان لا يقتصر فقط على الفعل نفسه ، بل فداحة الخطأ تكمن فى الإستمرار فى الوقوع فى نفس الخطأ دون مبالاة ، و هى لم تكن يوما ذات خطيئة إلا حين وقعت فى الحب مع شخص ظالم ، لذلك قررت أن تفعل ما بوسعها حتى يظل هذا الخطأ هو الوحيد بحياتها ، ستثبت لذاتها أن ابن عمها هو أحقر شخص قابلته على طريق الحياة ، ستسعى لتحافظ على على ، ستحافظ على حبها الوحيد ، لثقتها به و بحبه لها يجب أن يبتعدا عن طريق الخطأ ، لأن حبهما الطاهر البرىء لا يستحق أن يندرج فى قائمة الأخطاء ..

منذ تلك الليلة التى انخرطت فيها فى البكاء على صدر والدها ، منذ قررت أن تعدل عن الخطأ الفادح الذى ارتكبته فى حق نفسها ، و هى تتعمد الهروب منه متعللة بالعمل ، كانت بقدر الإمكان تتجنب الجلوس معه على إنفراد ، تذهب إلى مكتبه فى أضيق الحدود ،و إذا جلست معه و انتهيا من العمل ووجدته سيتطرق إلى أحاديث الحب أو إذا رأت نظرات عينيه قد تحولت من الجدية و التركيز فى العمل إلى آخرى عابثة و جريئة متفحصة لجسدها فإنها تنتفض فورا و تتعلل بأى شئ حتى تهرب من أمامه و من شيطانهما الذى سيكون ثالثهما و يزين لهما الخطأ فيقعان فيه بكل بساطة ...

... كانت جالسة بمكتبها منهمكة بالعمل ، تنجز شيئا على الحاسوب و منتبهة إليه بكل حواسها ، حين داعب عطره المثير أنفها و ذرات الهواء من حولها ، فرغما عنها علمت بوجوده ، رفعت رأسها ببطء لتقع عينيها على وجهه المنير ، كان منحنيا جسده ، و مرتكزا بمرفقيه على مكتبها ، يتأملها بإعجاب ، و عندما انتبهت إليه قال بنبرة حانية للغاية : حبيبى بيهرب منى ليه ؟

أشاحت بعينيها بعيدا عنه و قالت و هى تعبث ببعض الملفات أمامها هربا من نظراته : أبدا ، و أنا هرب منك ليه يعنى ؟

أجابها قائلا بإستفهام : مش عارف يا آسيا ، أنا الى بسألك ؟ .. و عاوز أسمع إجابة ، قوليلى فى إيه مغيرك من ناحيتى كده ؟

حاولت الحفاظ على ثباتها أمام نظراته المتفحصة و قالت و هى تهز قلمها بين أصابعها بعصبية : مش متغيرة و لا حاجة يا على .. ده متهيألك ، أنا بس مركزة فى شغلى و بحاول أعوض الوقت الى أهملت فيه الشغل لما كنت بحضر للخطوبة ، و دى كل الحكاية !

اعتدل من الإنحناءة ثم دار حول المكتب و جلس أمامها واضعا ساق فوق الآخرى ، ظل يتابع حركة كل خلجة من خلجاتها و يلتقط بعينيه توترها الزائد ، فقال بإستغراب : و هو معنى إن إحنا الإثنين بنشتغل إننا نهمل بعض .. منشوفش بعض و احنا بينا و بين بعض خطوتين يا آسيا ... أنا بجد مش مصدق الى أنتى بتقوليه ! .. الحقيقة الى أنا شايفه ده مش قادر أفسره غير إنه هروب .. ده احنا قبل ما نتخطب و نحب بعض و كنا مجرد أصدقاء كنا بنقعد مع بعض أكتر من كده ، كنا بنتكلم مع بعض أكتر من كده ...

تابع حديثه بنبرة تملؤها الذهول : أنا حقيقى مش عارف إيه الى وصل الأمور لكده ، ده أنتى حتى لما بكلمك فى الموبايل يادوب بتقولى كلمتين بالعافية و تقفلى علطول

.. فى إيه بالضبط يا آسيا .. أنتى من يوم خطوبتنا و أنتى متغيرة .. عاوز أعرف مالك !

ابتسمت بجانب فمها إبتسامة سخرية و قالت و هى تتفحص القلم بيدها : يوم خطوبتنا !

وضع يديه على المكتب مستندا ببعضهما فوق بعض و قال بنبرة بدأت تظهر فيها العصبية : أيوة يا آسيا يوم خطوبتنا ، إيه فيها حاجة دى كمان ؟

و هنا لم تستطع أن تستمر فى الهروب ، تركت القلم من يدها ووضعته على المكتب بعصبية و قالت بزعيق : أيوة فى حاجة يا على ، و مش حاجة واحدة بس دى حاجات ، حاجات حصلت مكنش المفروض تحصل

كان يتأمل عصبيتها و غضبها المستعر بملامح منقبضة ، فنهض من مكانه و اقترب منها ، جذبها من مرفقها بحدة و جعلها تقف فى مواجهته ، و قال أمام عينيها بنبرة غاضبة : فى إيه بالضبط ! أنا خلاص مبقتش فاهمك ، هو الى حصل ده كان غصبا عنك و لا أنا خدتك بالعافية ، إحنا شربنا شوية و انبسطنا و خلاص ، منكدة على نفسك و عليا ليه ؟ .. و لا أنتى بقى مبتحبنيش و كنتى بتمثلى عليا كل ده ؟ .. أنا كنت فاكر إن الى حصل ده هيقربنا من بعض و يثبتلك أد إيه أنا بحبك ، لكن واضح إنه كان له تأثير عكسى عليكى ..

شق عليها أن يتهمها بالتمثيل بحبه ، فقالت بضعف و دموعها بدأت تتجمع بمقلتيها : أنا يا على ! .. أنا بمثل عليك

صرخ فى وجهها قائلا بنفاذ صبر : أمال ده أفسره بإيه ؟

صرخت فيه هى الآخرى و دموعها تسيل بغزارة : تسميه إحساس بالذنب و تأنيب الضمير لأنى خنت ثقة أهلى ، تسميه أصول مفروض نلتزم بيها ، تسميه حرام ، سميه أى حاجة يا على غير إنك تتهمنى بالتمثيل بحبك ، كانت تشهق بعنف و صدرها يعلو و يهبط بجنون فحاول تهدئتها و ضمها لصدره و لكنها منعته و تابعت قائلة بصراخ : أنا بحبك ، و قلت لك قبل كده إن حبك هو أصدق شئ بحياتى ، افهم بقى يا أخى .

قالتها و خارت قواها و نشيجها يزيد أكثر فأكثر ، ضمها إلى صدره رغما عنها و ظل يهدهدها بحنان و قد أدرك كم المعاناة التى تعيش بها ، أدرك أنها غير كل الفتيات و النزوات التى عاشها عندما قضى فترة من حياته كبيرة خارج البلاد ، و هناك كان التحرر دون حدود أو قيود ، فكان يفعل ما يحلو له تحت مسمى الحب و

غير الحب ، ظل يربت على رأسها بحنان بينما هى تبكى على صدره و تدفن رأسها به ، قبل رأسها برقة ثم قال مهدهدا بهمس : ششش خلاص يا حبيبتى ، أنا دلوقتى فهمتك و مستعد أنفذلك كل الى تطلبيه

****

عندما يحب الإنسان بصدق فإن قلبه يسيطر علي جميع حواسه ، يصبح الإنسان مسخر لخدمة قلبه ، فيعطى لحبيبه كل ما يريد ، ينفذ له ما يتمنى حتى و لو كان ذلك فوق طاقته ، و لأنه لم يعرف الحب الصادق إلا معها فإنه سيلبى جميع نداءات قلبه حتى يريحها و يزيل عنها أى عبء قد يشغلها عنه أو عن حبه ، نفذ لها ما أرادت و ما فهمه هو من عينيها دون أن تنطق ، كان حبها له يفيض من عينيها و لذلك أبت أن تطلب منه أن يعجل بالزواج ، و ليلتها ذهب لوالدها حتى دون أن يخبرها ، تفاجئت بوالدها يدخل عليها حجرتها و ينقل إليها طلبه بذهابهم سويا فى الغد لرؤية منزله حتى إذا رغبت آسيا بإجراء أية تعديلات فيستطيع هو إنجازها فى أقرب وقت ، و من ثم تحديد موعد حفل الزفاف و عقد القرآن ، أخبر والدها أنه لا داعى لتأجيل الزواج حتى الإنتهاء من مشروع العين السخنة كما اتفقا من قبل، و لم تستطع ادعاء الرفض بهدف الدلال و إنما وافقت و دون تفكير !

...الراحة هى ذلك العنصر الذى نأمل جميعنا أن نحظى به بمنازلنا و هذا بالضبط ما شعرت به آسيا فور نزولها من سيارة والدها ووقوفها على أعتاب قصره الرائع ... نزل على من سيارته هو الآخر و اتجه ناحيتهم و قال لوالدها مرحبا به: اتفضل يا عزت بيه ... نورت قصرى المتواضع .. اتفضلى يا آسيا

دخل والدها بصحبة على الذى كان يرحب به بحفاوة كبيرة .. فى حين وقفت هى لدقائق تتأمل جمال قصره من الخارج و الذى طالما كان يأكلها الفضول لرؤيته ، حتى من قبل أن تقع فى حبه أو أن يتفقا على الزواج ... كانت دائما ما تسأل نفسها ..ترى كيف يكون منزل ذلك المهندس الماهر .. المتقن لعمله بشدة و الذى لا يتهاون فيه أبدا و لا يسمح بحدوث ساقطة صغيرة حتى ... و الآن ستشبع فضولها وترى بنفسها تصميم قصره من الخارج و الداخل

كان القصر رائع بكل ما تحمل الكلمة من معنى ، كبير للغاية لا تستطيع أن تجزم كم تبلغ مساحته ، كانت تتأمل واجهة القصر الخارجية بإعجاب .. كانت تتميز بالبساطة و الهدوء و ذلك كان نابع من الألوان المحايدة المستخدمة فى طلاءها ، كان يزين الواجهة النوافذ الزجاجية الطويلة التى تسمح بإندماج القصر من الداخل مع الطبيعة و الأشجار فى الخارج ...

خطت بحماس إلى القصر لتجد نفسها تمشى فى ممر ضيق نسبيا و على جانبيه من اليمين و الشمال حديقة خارجية للقصر و قد زينتها الأشجار وأزهارها الرائعة ... كانت تتهادى فى خطواتها فى ذلك الممر حتى تمتع عينيها بالورود الجميلة و تملأ رئتيها بعبق الهواء المحمل برائحة الزهور المنعشة .. بعدما انتهت من المرور بذلك الممر الطويل وجدت نفسها أمام واجهة القصر الخارجية ... و لكنها تخطتها لتجد نفسها أمام حديقة آخرى أكبر بكثير من الحديقة الخارجية، تلك الحديقة كانت بدون ممرات .. يتوسطها حمام سباحة كبير تلمع مياهه الزرقاء تحت ضى الشمس ، زينت تلك الحديقة أيضا من جميع جوانبها المربعة بأشجار كثيرة .... لمحت فى أحد جوانب تلك الحديقة الغناء جزء مخصص لجلسة حيوية حيث رأت حجرة زجاجية الحوائط مفتوحة السقف حيث لا حاجز بين أرضيتها المكسوة بالأعشاب الخضراء و الحشائش و بين السماء راق لها كثيرا منظر تلك الغرفة و لم تفهم سر بنائها بتلك الطريقة بدون سقف ... لمحتها فارغة إلا من أريكة بيضاء وثيرة وضعت فى منتصفها .. أوشكت على الولوج إليها و لكنها وجدت هاتفها يرن بيدها و قد كان والدها يتعجلها لدخول القصر ... دلفت إلى القصر من واجهته الداخلية أمام حمام السباحة فوجدته يقف مع والدها الذى بادرها قائلا بإبتسامة و هو يضمها لصدره بحنان : حبيبتى اتفرجتى على القصر من بره ؟

أومأت برأسها إيجابا و قالت و هى ترمق حبيبها بنظرة إعجاب واضحة : حلو جدا يا بابا

سر كثيرا لرأيها و أراد أن يسألها عن رأيها بالغرفة الزجاجية ، كان يريد أن يخبرها عن سبب بنائها بتلك الطريقة و لكن ألجمه وجود والدها ، فقال بحماس : يارب كمان القصر يعجبك من جوه

ابتسمت بخجل و أخذت تخطو ببهو القصر بهدوء و هى تتأمل جماله الأخاذ الذى نتج عن الألوان الهادئة المريحة للعين و الأثاث الذى يجمع بين الأناقة و البساطة و الرقى .. لم يكن البهو مليئا بالتحف و اللوحات و إنما القليل و الفاخر منها و قد وزع فى جميع الجوانب بشكل راق يخلو من البهرجة الزائدة و هذا ما أشاد به والدها ...

صعدت معهم سلالم القصر لتشاهد غرف النوم و قد كانت كبيرة جدا .. أدخلهم غرفته التى دلفتها بهدوء و هى تتأبط ذراع والدها ... كانت غرفته كبيرة للغاية مقسمة لقسمين .. قسم " الدريسنج روم " و قد كان مغلقا بباب زجاجى رأت من خلاله كيف كانت ملابسه مرتبة بعناية فائقة .. و القسم الآخر هى غرفة النوم الفعلية و تتضمن أثاث عصرى جميل لا يختلف فى بساطته عن بساطة بقية القصر ...

كانت الغرفة تتمتع بحوائط زجاجية تكشف ساحة الحديقة الداخلية و الخارجية و تتسلل منها أشعة الشمس بحياء فتكسب الغرفة دفئا ستسعد به كثيرا عندما تسكنها كما تظن !

قال والدها بإبتسامة و هو يتأمل الحديقة من نوافذ غرفة النوم : هايل يا بشمهندس ... الفيو من هنا تحفة ... بجد أنت عبقرى

سر كثيرا لإشادة عزت فقال بتواضع : أشكر حضرتك جدا .. و أتمنى كمان يكون البيت عجب العروسة

توقفت عن تأمل الغرفة عندما لمحته بطرف عينها و قد ارتكز ببصره عليها فقالت بإبتسامة و هى تتجنب النظر لعينيه حتى لا يرى احمرار وجنتيها من الخجل لوجودها الآن فى غرفة نومه الخاصة و التى عن قريب ستصبح غرفتهما معا يقضيان بها لحظاتهما الخاصة : القصر طلع أحلى مما توقعت

التفت لها والدها و سألها : مش هتحبى تعملى أى تعديلات يا بشمهندسة ؟

هزت رأسها نفيا و قالت و هى تتأبط ذراعه مرة آخرى : لا يا بابا .. البيت كده عاجبنى أوى ... مش عايزة أغير فى ديكوراته حاجة ... فى بس حاجات بسيطة كده هتفق فيها مع على إن شاء الله ...

كان سعيدا للغاية لأنها لم ترد أن تحدث أى تغيير .. فهذا يعنى له اتفاق زوقهما و أنها أعجبت بإختياراته و لم تشأ تغييرها ، استأذن والدها أن يصطحب آسيا للنزول معا و إختيار الأثاث و التحدث معا فى الأمور التى ترغب بتغييرها .. وافق والدها على الفور و قال : مفيش مشكلة .. بس ناويين تعملوا الفرح إمتى ؟

أجابه بحماس و دون تفكير قائلا : أنا أتمنى يكون الشهر الجاى ... زى ما حضرتك شايف القصر كامل من كله و مش ناقصه أى حاجة ... و العفش هنشتريه بسرعة و يتفرش فى يومين

كانت سعيدة للغاية لسماع نبرة الحماس تلك و لكنها أخفضت بصرها خجلا من والدها الذى كان ينقل بصره بينهما و قد رفع حاجبيه دهشة من سرعته فى الرد .. فسألها قائلا : أنتى إيه رأيك يا بشمهندسة ؟

نقلت بصرها بينهم بخجل و قد احمرت وجنتيها بشدة ، و أخيرا صدرت منها ضحكة رقيقة لم تستطع كتمانها و قالت : الى تشوفه حضرتك يا بابا

قال والدها بدهشة : بقى كده .. يعنى أنتى موافقة إن الفرح يبقى الشهر الجاى ؟

لم ترد و قد خفتت ضحكتها عندما لاحظت صمت والدها و الذى اكتفى بالنظر إليها بوجوم ، فى حين زاد توتره هو الآخر و قال : خير يا عمى ... هو حضرتك مش موافق و لا إيه ؟

اقترب منها والدها بخطوات بطيئة و قد ازدادت ضربات قلبها بشدة خوفا من أن يرفض طلب على ، و لكنها تفاجأت به و قد وقف أمامها على بعد خطوة ووضع يديه على كتفيها و قال بهمس و قد انفرجت شفتيه عن إبتسامة حانية : مش قولتلك الألماظ الحقيقى ميقدروش غير واحد خبير .. قالها و قبلها فى جبهتها بحنو ثم قال بنفس النبرة الهامسة أمام عينيها التى التمعت بالدموع عندما رأت دموعه هو الآخر تلتمع بمقلتيه : مبروك يا بنتى ، ربنا يتملك بخير .. قالها ثم فتح ذراعه لعلى الذى جرى نحوه بلهفة و قد انقلب كل خوفه لفرح ، ضمهما لصدره و قال و هو يربت علي ظهورهما بحنان : مبروك يا ولاد ، ربنا يتمملكم بخير و يجعل أيامكم كلها سعادة ..

***

كان يقود سيارته و هو شارد الفكر ، و هى بجانبه تراقبه بغيظ و حنق ، و شعور بالغضب يملأها لأنها تعرف جيدا سبب شروده ، السبب الذى ملت منه و لا تعرف غيره ، إسم يتكون من أريعة حروف فقط و لكنه كافى لأن يحول حياتها جحيما ، و أن يقلب السعادة إلى حزن ، و نشوى لحظاتها الخاصة إلى قسوة و خشونة ، إنه " آسيا " !

كانت الليلة تسير على ما يرام فى بيت حماها ، كل شئ كان رائع و فى محله من طعام العشاء الشهى الذى أعدته " سعاد " ، نكات عادل المرحة التى جعلت زوجها يضحك بملء فمه و تلك من الأشياء النادر حدوثها خاصة فى وجودها ... كان الدفء الأسرى هو المسيطر على تلك الساعات القليلة التى قضتها ببيت حماها ، و لكن انقلب كل شئ رأسا على عقب حين تلقى والده إتصالا من أخيه « عزت » ، ذبذبات عبر الهاتف و كلمات كثيرة بينهم ، ثم بعد دقائق انتهت المكالمة ليعود « عادل » مرة آخرى و يشاركهم الجلسة و يزف إليهم الخبر السعيد قائلا " عزت أخويا كان بيعزمنا كلنا على فرح بنته آسيا كمان عشر أيام فى فندق فيرمونت الزمالك » ، وقتها كانت هى الوحيدة التى سعدت بهذا الخبر و بشدة ، بينما تجهم الباقون ، و انصبت نظرات كلا من سعاد و عادل على زوجها ، ما غاظها بشدة هو أنهم كانوا يراقبون زوجها بحذر ، و كأنهم ينتظرون ردة فعل منه على خبر زواج إبنة عمه المصون ، و كأنها ليست زوجته و كأنه لن يصبح أبا بعد خمسة أشهر ، هل مازالوا يرونه الشاب العشرينى المراهق المتعلق بإبنة عمه و مازال يتعذب

بحبها ، إذا هذا يعنى أنهم يرونها لا شئ ، أو ربما لا يرونها أبدا ، و لما لا فزوجها نفسه يراها هكذا ، حتى هى أصبحت لا ترى نفسها ، فإذا نظرت لنفسها بالمرآة لا ترى فى نفسها سوى جسد إمرأة مثير يكفى لإشباع رغباته و وعاء يحمل بداخله طفل لبقايا إمرأة .

دلفوا إلى الشقة بهدوء خارجى و إنما كلا منهم يغلى على مراجل الغضب و الغيرة ، و كلا منهم له غريمه الذى يشعر بالغيرة منه .. كانت تراقبه و الحسرة تنهل منها دون رحمة ، وجدته يلقى بجسده على الأريكة بعصبية و يخفى وجهه بيديه و جسده يرتعش بقوة ، لا تعرف هل سمعت فعلا صوت نحيبه أم ذلك كان من وهم خيالها ! .. و كادت تشق ثوبها من الجنون ، زوجها أمامها يبكى على آخرى لأنها ستتزوج ، ما أشد قسوة ذلك الشعور ، أن تكون بجوار حبيبك و هو ليس معك ، فقط ترى منه الجسد ، و إنما قلبه و فكره و كل مشاعره ليست من حقك ، و إنما من حق آخر ..

أما هو فكان يشعر بقلبه و كأنه انشق لنصفين و ألقى بكل نصف منهم إلى كلاب ضالة شاردة تتمزق من الجوع، فالتقطته تمزقه بأسنانها دون رحمة ، لا يصدق أنه سمع بأذنيه خبر زواجها ، لا يصدق أن حبيبها ، ذلك الضخم الذى رآه بالسيارة يلتهم جسدها كان أكثر منه رجولة و سيتمم زواجه منها ، بالتأكيد هى الآن تطير فرحا و سعادة ، بالتأكيد هى الآن معه ، يخططان لكل شئ ، دون شك هى الآن بجانبه تضع يدها على صدره و تهديه نظراتها العاشقة و تهمس له بأنه الحب الأول و الأخير بحياتها ، بالتأكيد تخبره أنه الرجل الوحيد الذى رأته عينيها ، بالتأكيد هى تضحك منه الآن و من غبائه ، نعم هو الغبى ، هو الذى حثها أن تعجل بالزواج ، هو يعرفها جيدا هى لم تكن يوما كما وصفها ، هى لم تكن يوما رخيصة بل هى أغلى شئ رآه بحياته ، هى غالية جدا للدرجة التى جعلته لا يستطيع أن يحافظ عليها ،بالتأكيد هى تراه الآن لا شئ ، بالضبط كما يرى نفسه

نهض من مكانه كالعاصفة المتحركة متجها إلى باب الشقة و لكنها وقفت أمامه تسد عليه الطريق بجسدها و تصرخ بحدة قائلة : أنت سايبنى دلوقتى و رايح فين ؟

اتسعت عيناه غضبا و قال من بين أسنانه و هو يضغط عليها بقوة : غورى من وشى دلوقتى أحسنلك

فقدت السيطرة على نفسها و ظلت تصرخ بجنون قائلة : أنت إتجننت يا يوسف خلاص ، خلاص عقلك راح من ساعة ما سمعت إنها هتتجوز ، ما تتجوز و لا تغور فى ستين دهية ، إحنا مالنا ، قاعد بتعيط و تولول زى الستات ليه ، أنا خلاص قرفت و تعبت منك ، لما أنت بتحبها للدرجة دى اتجوزتنى ليه

و بكل قوة ، و بكل الغضب الذى كان بداخله صفعها على وجهها ، ثم أمسك بمرفقيها و ظل يهز جسدها بعنف و هو يقول لها بوحشية : أيوة بحبها ، و مش بس كده يا رانيا ، لا ده أنا بعشق حاجة إسمها آسيا ، بحبها و عمرى ما حبيت و لا هحب غيرها ، و هى لا يمكن هتكون لواحد غيرى ، فهمتى و لا أقولك كمان

كانت عينيها تتسع شيئا فشيئا ذهولا من قسوة كلماته و نبرته المجنونة فصرخت بإنهيار : أنت مجنون ، أنت مش طبيعى ، آسيا خلاص رمتك رمية الكلاب و هتتجوز غيرك و أنت لسه مش شايف غيرها ، أنت إيه

لم يدعها تكمل صراخها بل ظل يصفعها بظهر يده بقسوة و هو يصرخ بجنون : بحبها ، بحبها يا رانيا ، بحبهاااااا ، و لم يستطع جسدها الصمود أكثر أمام صفعاته فسقطت أرضا فاقدة للوعى ، و استمر هو يركل بطنها بقدمه بقسوة و هو يصرخ بحبه لآسيا ، و بعد وقت طويل شعر أن قواه قد خارت فسقط أرضا على ركبتيه أمامها، اتسعت عينيه فزعا و هو يرى الدماء تسقط من بين قدميها بغزارة ، فاستبد به الخوف ، و تذكر للتو طفله الذى يسكن بأحشائها ، هز جسدها الساكن أمامه بضعف علها تستفيق و لكن دون جدوى ، فضمها لصدره بقوة و تلطخت يديه و ملابسه بدمائها و دماء طفله ، هاله المنظر و صرخ بأعلى صوته و دموعه تتساقط بغزارة لتختلط بدماءها قائلا : رانياااااااااااااااااااا

****

" يوسف ، مالها بنتى يا يوسف ، ايه الى جرالها فهمنى " ، كانت تلك العبارات التى تفوهت بها والدة رانيا بهلع و هى تتجه نحو يوسف ووالديه المرابضين أمام غرفة العمليات التى ترقد بها رانيا ، اتجه يوسف نحوها و التقط يداها ليجلسها بجانب والديه قائلا بتلعثم : إطمنى ، إن شاء الله هتكون بخير و هتقوم بالسلامة

كررت سؤالها بنفس النبرة التى يملأها الفزع قائلة : رد عليا يا بنى و قولى البنت جرالها إيه ؟

لم ينقذه من سؤالها القلق سوى خروج الطبيب من غرفة العمليات فجروا جميعا نحوه و سأله يوسف بقلق قائلا : خير يا دكتور ، رانيا عاملة إيه ؟

نقل الطبيب بصره بين وجوههم الفزعة ثم قال بأسف : فقدت الجنين و طبعا كانت حالتها سيئة جدا

ضربت والدتها صدرها قائلة بشهقة : بنتى ! .. فى حين بادره يوسف بالسؤال قائلا: طب ممكن أدخلها يا دكتور ؟

أجابه الطبيب قائلا : للأسف لا ، لأنها تحت تأثير البنج ، تقدروا تروحوا و تجولها بكرة ، لأن قعدتكم هنا ملهاش لزوم

قالها و استأذن منهم و رحل ، فى حين اتجهت سعاد ناحية إبنها و جذبته بعيدا عن زوجها و عن والدة رانيا و نهرته بقوة قائلة : شفت عمايلك السودة و إيدك الطايشة عملت إيه .. ضيعت الولد الى كان بقالك سنتين بتترجاه .. أنا مش عارفة أنت بتعامل مراتك المعاملة الزفت دى ليه ؟ .. رانيا ست زى الفل يتمناها ألف راجل غيرك .. بس أنت الى خايب .. و كل ده عشان إيه ؟ .. حتة بت تافهة لا راحت و لا جت ، أنا قلبى كان حاسس إن الليلة السودة دى مش هتعدى على خير و كله من تحت رأسها ..

رفعت بصرها لأعلى و تمتمت قائلة بغل :ربنا ينتقم منك يا آسيا يا بنت عائشة و يورينى فيكى يوم

زفر بقوة و قال بنفاذ صبر : أنا زهقت بقى من الكلام ده ، أنتى معندكيش غير الإسطوانة المشروخة دى تقوليهالى ، أنا مش طايق نفسى

جذبته من ذراعه عندما رأته يهم بالإبتعاد : تعالى هنا أنت رايح فين ؟

نفض يدها عنه بقوة و زعق قائلا : يا ستى سيبينى فى حالى بقى !

****

و فى اليوم التالى فتحت جفنيها بتثاقل ، لتراهم جميعا حولها تتفق ملامحهم جميعا على الحزن ، اقتربت منها والدتها بسرعة و قد لانت ملامحها ، جلست بجوارها على الفراش و التقطت يدها الموضوع بها الكانيولا تقبلها برفق ثم رفعت بصرها إليها قائلة بحنان : حمد الله على السلامة يا بنتى

اطمئنت لرؤية والدتها كثيرا ، حاولت النهوض من رقدتها و لكن جسدها أبى مساعدتها فبكت بضعف ، بينما احتوتها والدتها بسرعة ، تضمها لصدرها و تمسح على ظهرها بحنان ، ظلت تبكى بحضن أمها لفترة طويلة ...أوشكت سعاد على الحديث و لكن زوجها ضغط على يدها يمنعها فلوت شفتيها امتعاضا ثم جذبها من ذراعها و خرج بها من الغرفة ، نهض يوسف من جلسته أمام الغرفة و اتجه نحوهم يسألهم بقلق : خير ، خرجتوا ليه ؟

ردت والده قائلة بتهكم : أنت يا حبيبى الى قاعد هنا بتعمل إيه ؟ ... خش لمراتك كده و اعتذرلها و خدها فى حضنك

أولاهم ظهره و قال و هو يفرك يديه بتوتر : لا مش دلوقتى ... لما تشد حيلها هبقى أكلمها

.. ظلت فى حضن والدتها لساعات طويلة تبكى طفلها بعد أن أخبرتها والدتها بأسف أنها فقدته ، كانت تختبىء بصدر أمها ، تخشى أن تتركها ، تتمنى لو أنها تستطيع أن تعود مرة آخرى مجرد جنين برحم أمه ، ظلت تبكى دون توقف ، تبكى حالها ، تبكى لشعورها بالقهر و الظلم ، ظلم حبيب أعطته كل ما تملك و لم يكفيه ، أعطته مال و شهرة و حب و جسد و طفل ، طفل قتله بكل وحشية ، طفل لم يرتكب أى ذنب ، كان كل ذنبه أنه إبنها هى ، قتله لأنه لا يود أن يربطهما ببعض أى شئ

أخرجتها والدتها من صدرها و قالت بحنان و هى تمسك بذقنها و تنظر بعينيها الباكيتين : حصل إيه يا رانيا .. قوليلى إيه الى وصلك لكده ، إيه الى جرالك خلاهم يجيبوكى على هنا ؟

قالت لها رانيا من وسط دموعها : أرجوكى يا ماما متسألنيش ، كل الى عاوزاه من حضرتك تروحى للدكتور تسأليه هخرج من هنا إمتى و بعدها تاخدينى لبيت بابا

أوشكت والدتها على الحديث و لكن رانيا منعتها قائلة بنفاذ صبر و عصبية : أرجوكى يا ماما تنفذى الى قلت لحضرتك عليه بدون نقاش

قالت لها والدتها و هى تربت على كتفيها محاولة تهدئتها : خلاص يا بنتى هدى نفسك ، هعملك كل الى أنتى عاوزاه ، بس إهدى أنتى ، حاضر

******

رغم مرور الثانية واحدة على جميعنا ، إلا أننا لا نعيشها بنفس الكيفية و لا تواجهنا نفس الظروف ، فالثانية الواحدة يمكن أن يحدث بها جميع متناقضات الحياة ، فى نفس الثانية قد يولد طفل جميل يقر عين أمه ، أو يموت آخر فينخلع قلب أمه عليه و تودع معه جميع أيامها و سعادتها و فرحها و هى تواريه بالتراب ، فى نفس اللحظة قد تكتب حياة جديدة لزوجين اجتمعا على الحب ، بينما يطبق زوجين آخرين أبغض الحلال و يسدل ستار النهاية على حياتهما معا بعد أن أصبحت مستحيلة ، فالوقت نفسه الذى تضحك فيه أنت بملء فمك ، هناك شخص آخر يبكى قهرا و ظلما وقع عليه ، و هذه طبيعة البشر لم يخلقهم الله متفقين فى الشكل حتى يعطيهم نفس الحياة ، لقد أعطانا جميعا نفس مقومات الحياة الأساسية ليستخدمها كلا منا كما يريد ، و ليختار نوع الحياة التى سيعيشها ، فقد يجلب الإنسان الشقاء لنفسه أو قد ينتقى السعادة ، و فى النهاية لن يتفق أيا منا على قضاء الثانية الواحدة !

كانت تتوسط الفراش بغرفتها القديمة بمنزل والدها بعد أن خرجت من المشفى ، تبكى حالتها الرثة و طفلها المفقود بحرقة ، تبكى حبها الذى دمرها ، تبكى زوجا أحبته بصدق ، و كان جزاؤها الضرب و القسوة و الإهانة ، بكت قلبها اللعين الذى ينبض بحبه حتى الآن ،

كفكفت دموعها حين سمعت طرقات على باب غرفتها ، و كانت والدتها التى مطت شفتيها و هزت رأسها بيأس و حزن على حال ابنتها الوحيدة التى لم تكد تغادر غرفتها القديمة حتى عادت إليها مرة آخرى و دموعها على وجنتيها ، جلست بجوارها على الفراش و ضمتها لصدرها بحنان ، ظلت تربت على ظهرها ثم قالت بحزن : و بعدين يا رانيا ؟ .. هتفضلى كده لحد إمتى ؟ ... من ساعة ما خرجتى من المستشفى من يومين و أنتى مكلتيش حاجة ... غلط يا بنتى ، أنتى كده تموتى بالبطئ ، حرام عليكى نفسك

قالت بشرود و هى تنظر لنقطة فى الفراغ : ياريت يا ماما ، ياريت أموت و أرتاح

نهرتها والدتها بقوة قائلة : حرام عليكى يا رانيا أنتى بتعملى فى نفسك و فيا كده ليه يا بنتى ؟ ... أخرجتها من صدرها ثم قالت لها : صارحينى يا بنتى و قوليلى أنتى مش سعيدة مع جوزك ؟ ، هو السبب فى الى حصل مش كده ؟

أشاحت بوجهها بعيدا عن أمها و قالت بتلعثم : إيه الى حضرتك بتقوليه ده يا ماما ؟ .. هو فى حد هيموت ابنه ؟

قالت والدتها بنفاذ صبر : طب ريحينى و قوليلى ده حصل إزاى ؟ .. أنا هتجنن يا رانيا

ردت عليها بإرتباك متجنبة النظر بعينى والدتها : الى حصل يا ماما كان قضاء و قدر و خلاص ، و ياريت حضرتك متسألنيش عن التفاصيل لأنها متتحكيش و محرجة بالنسبة لى

لم تصدقها فريدة و التى تعرف إبنتها جيدا تعشق زوجها و مهما فعل بها لن تنطق بحرف أو تشتكى منه ، و مهما ألحت عليها بالأسئلة لن تجيب بأكثر مما قالته ، فاستدرجت متسائلة : طب يا بنتى لما هو كده ، مبترديش عليه ليه لما بيتصل ؟ ، و مروحتيش بيتك ليه ؟

ارتمت مرة آخرى بصدرها و قالت بضعف و قد أطلقت العنان لدموعها عندما طاف بخيالها اللحظات المؤلمة الأخيرة لها بالمنزل قبل أن تنقل للمشفى : هرجع يا

ماما ، لازم أرجع ، أنا مليش غير بيتى و جوزى ، و لازم أرجع عشان أعوض إبنى الى مات !

*****

كان الوقت مساء عندما كانا يخرجان سويا من المطعم الذى تناولا فيه وجبة العشاء على أنغام البيانو الحالمة ، كانت تتأبط ذراعه و تضحك برقة على دعاباته ، بينما كان يقول لها من وسط ضحكاته المجلجلة : طب إستنى عليا بس نتجوز و أنا ساعتها ....

توقفت الكلمات على لسانه حين لمح أقبح وجه يمقته على وجه الأرض ،و توترت هى بشدة حين رأته ووجدت نفسها تنكمش بتلقائية ناحيته ، فزاد هو من ضمه إليها و حاوطها بذراعيه ، اقترب منهما ثم وقف يدخن سيجاره و ينفثه بحقد دفين حاول إخفاءه و لكنه أطل جليا من نبرة صوته الشامتة حين قال : أهلا يا على بيه ، أخبار صحتك إيه دلوقتى ؟

رد الأخير عليه بتحد قائلا بإبتسامة صفراء و هو يستعرض عضلاته بفخر أمام عينيه : زى الحصان يا نادر بيه و الله ، زى ما أنت شايف كده ، قالها ثم قربها منه و قبلها من رأسها و قال بنفس النبرة المتحدية : ده أنا حتى هتجوز قريب ،مش تقولى مبروك

نقل نادر نظراته الحانقة بينهم ثم قال بتهكم و هو يرمقها بنظرات جريئة : مبروك عليك يا على ، دايما تقع واقف

شعر على بغليان الدم فى عروقه ، و اقترب بجسده منه و أوشك أن يلكمه بعنف و قد برزت عروق وجهه من فرط غضبه و لكنها تشبثت بذراعه تمنعه و نظرت له برجاء ألا يفعل ، فانصاع لرغبتها حتى لا يثير قلقها و خوفها عليه و قال من بين أسنانه التى يضغط عليها بغيظ : الحمد لله إنى بقع واقف بس ده عشان نيتى صافية و مبغلش من حد .. أوشكا على تركه و الرحيل من أمامه و بالفعل تجاوزاه و لكنه عاد من خلف ظهره يهمس فى أذنيه قائلا بنبرة مستفزة : أه صحيح نسيت أقولك ، على فكرة أنت مش معزوم على الفرح ، لأننا عازمين الحبايب و بس ، يعنى ملكش مكان فيه ، بس ممكن تدعيلنا بالرفاء و البنين

قالها و قهقه ضاحكا ثم ضمها لصدره مرة آخرى و رحل ، تاركا نادر يغلى من الغضب فظل يتابعهما بغل حتى اختفوا تماما ، ثم ألقى سيجارته على الأرض بعصبية مكررا كلماته الأخيرة بسخرية : رفاء و بنين !

... ركبا السيارة معا ، أوشك على وضع يده على مقود السيارة للتحرك بها ، حين استوقفته بوضع أنامل يمناها على ذراعه ، و قالت بنبرة قلقة : على .. أنا خايفة أوى و قلبى مش مطمن

انتبه لكلماتها فالتفت إليها بجسده كله و قال بهدوء و هو يلتقط كفيها فى راحتى يده : خايفة من إيه يا آسيا ؟

أجابته بنبرة متوتة للغاية : خايفة من نادر ، خايفة يعمل أى حاجة تبوظ الفرح أو يتعرضلك تانى

احتضن وجهها بكفيه ثم قال لها بنبرة حانية : يا حبيبتى متخافيش من أى حد و أنا جمبك ، نادر ميقدرش يقربلنا تانى ، الى حصل ده كان شئ طبيعى و كنت متوقعه ، كنت متأكد إنه واحد زيه أكيد مش هيسيب حقه ... ثم قال بنبرة ماكرة : و بعدين الى عمله ده جه فى مصلحتى ، يعنى زى ما بيقولوا رب ضارة نافعة .

فهمت تلميحاته و ما يرمى إليه ، و لكنها ادعت عدم الفهم فقالت بخبث: تقصد إيه يا على ، مش فاهماك !

غمز لها بعينه اليسرى و قال بشقاوة : بقى برضه مش فاهمة ؟ .. ماشى يا ستى هقولك الى عاوزة تسمعيه .. قالها ثم ضمها لصدره و ظل يربت على ظهرها بحنان و أردف قائلا : بسبب الى عمله ده ، رقدت فى المستشفى و مرة واحدة لقيت ملاكى و حبى الى كان هربان منى قدامى فى المستشفى و كان شكلها زى القمر بدموعها الى مغرقة وشها ، و ساعتها إتأكدت من حبها ، كان نفسى ساعتها أخدها فى حضنى بس كنت مكسر ساعتها و مكنش ينفع

ضحكا سويا من كلماته ثم رفعت بصرها إليه و قالت بهيام : بحبك يا على ! ..... ربنا يخليك ليا

****

عشقك حلالى !

« الفرح هو ذاك النور الحقيقى الذى يضئ طريقك ....هو ذاك النبراس الذى يعينك على الذهاب من حيث أنت ...إلى حيث تريد أن تصل »
العالم روبرت بوروبير

****

كانت جالسة فى الكافتيريا التى يتقابلون بها ..على طاولتهم المفضلة .. تنظر من زجاج الكافتيريا الموجود عن يمينها .. فلقد اختاروا تلك الطاولة بالذات لأنها قريبة من ذلك الزجاج الكاشف لشارع طلعت حرب ... حتى إذا ما جاء أحدهم قبل الآخر لا يمل من الإنتظار و إنما يسلى نفسه بمشاهدة حركة الناس و السيارات بالشارع .. تهللت أساريرها عندما رأته يقبل نحوها .. جلس على المقعد أمامها قائلا بإبتسامة محاولا إخفاء تعبه عن عينيها الثاقبتين : آسف يا حبيبتى .. إتأخرت عليكى .. كان ورايا شغل كتير

نظرت له بإشفاق .. ثم وضعت أمامه كوب عصير البرتقال المثلج الذى طلبته للتو قبل وصوله قائلة بحنان : طب اشرب ده و خد نفسك يا حبيبى .. أنت متأخرتش و لا حاجة .. أنا الى جيت بدرى

طلب من النادل إحضار كوب عصير آخر و لم يرتشف قطرة حتى جاء النادل بكوب عصير لها كما طلب ... قال لها بإبتسامة واسعة و هو ينهض من مكانه ليتخذ المقعد المجاور لها : عندى ليكى مفاجأة حلوة هتفرحك قوى

سألته بلهفة قائلة : قول بسرعة يا عمر اخص عليك .. و ساكت كل ده .. رفع يديه قائلا بضحك : حاضر يا حبيبتى هقولك اهه بس ادينى فرصة اتكلم .. لكزته فى كتفه و قالت بنزق مصطنع: يلا يا أخى انطق بقى

قال بنبرة تملؤها السعادة و هو يمسك بكفيها بين يديه : صاحب الشركة الى أنا شغال فيها وعدنى إنه هيدينى شقة فى واحدة من العمارات الى الشركة بتشطبها بتسهيلات مريحة أوى .. سألنى عن المبلغ الى معايا و قلتله عليه .. قالى كويس و ينفع كمقدم مناسب .. و الباقى ادفعه على اقساط تتخصم من مرتبى كل شهر .. ها ايه رأيك بقى يا عمرى ؟

صفقت بيديها بفرح و قالت بنبرة تملؤها السعادة : ده أحلى خبر سمعته فى حياتى ... يعنى خلاص أخيرا لقينا شقة و هنتجوز فيها .. أخيرا هنترحم من اللف على السماسرة و الشقق .. أخيرا يا عمر هيتقفل علينا باب واحد

أفلت إحدى يديه منها ثم ربت على يديها بحنان و قبلهما و قال بهدوء : أخيرا يا عمرى .. أخيرا ... و لكن فرحتها العارمة لم تنسيها أن تسأله عن سبب هذا العرض .. و سبب رضا مديره عنه لتلك الدرجة التى جعلته يساعده بتلك الشهامة .. فأجابها بتلقائية قائلا : أكيد مبسوط منى و من شغلى ، سيبينا نفرح بقى .

و كانت فرحتهما أكبر بكثير من أن يفكروا فى أى شئ آخر .. كان عمر سعيد جدا بذلك العرض السخى من صاحب العمل الكريم .. لم يترك نفسه لقلقه يتمكن منه أو يعكر صفو فرحته و فرحة خطيبته الحبيبة ..كان لابد من إسكات ذلك الصوت بداخله و الذى يطالبه بالسؤال عن سبب ذلك الكرم المفاجىء ..و لكن ... ليؤجل كل شئ الآن و يستمتع قليلا مع حبيبته بذلك الأمر ..و ليذهب أى شئ آخر إلى الجحيم !

*****

" حمد الله على السلامة فى بيتك يا رانيا " ..كانت تلك عبارته التى نطق بها فور ولوجه إلى المنزل بعد أن ذهب إليها ببيت والدها و قبل رأسها و يديها و اعتذر منها كالمعتاد ، و كعادتها ضعفت أمام دموعه و توسلاته و لما لا فبفعلته تلك حفظ لها كرامتها ، فلو كان تأخر فى الذهاب إليها و مصالحتها لكانت أخذت حقيبتها و عادت إلى المنزل وحدها مستقلة سيارة أجرة ! ... فهى أهم شئ بالنسبة لها أن تبقى بجواره و أمام عينيه ، و أن تجاوره الفراش ليلا ، حتى تقطع عليه أية أفكار قد تنتابه بخصوص زواج آسيا أو يفعل أى شئ متهور يفسد زفافها ، كانت غايتها الوحيدة فى الرجوع أن ينشغل بها و ينسى تلك الملعونة حتى يمر الزفاف بسلام و تتخلص من آسيا !

وقفت قليلا أمام البقعة التى صفعها بها لتسقط بعدها فاقدة للوعى و يتم نقلها للمشفى ، تجمعت الدموع بمقلتيها ، و لاإراديا امتدت يدها اليمنى تتحسس بطنها التى لم تكد تنتفخ بطفلها حتى فقدته دون أية مقدمات ، أغمضت عينيها لتنزل دمعة حارة على وجنتها حين شعرت به يطوق خصرها بيديه و يهمس قائلا بجوار أذنيها : هنعوضه يا رانيا إن شاء الله ، لسه الفرصة قدامنا

التفتت إليه بجسدها كله و قالت له بضعف : تفتكر ده ممكن يا يوسف ؟

رد عليها بوجه متجهم من الحزن قائلا : ليه لا يا حبيبتى ؟

كتفت ذراعيها أمام صدرها و قالت بتهكم و عينيها تتفحص كل خلجة من خلجاته لترى تأثير كلماتها القادمة عليه : آسيا فرحها إنهاردة

أخفض بصره و قال بلامبالاة و هو يخرج سلسلة مفاتحه من جيبه ليلقيها على الطاولة أمامه :آه مانا عارف .. عمى بعتلى دعوة .. بس أنا مش هروح

سالت دموعها على وجنتيها و قالت بنبرة تملؤها الحسرة : ليه ؟ ... مش عاوز تشوفها لآخر مرة قبل ما تبقى فى حضن راجل تانى

ضم قبضة يده بقوة و قال و هو يضغط على أسنانه بقوة ، محاولا التحكم بأعصابه : يا رانيا ملوش لزوم الكلام ده

قالت بصراخ و بنبرة عصبية انفلتت منها دون قصد : ليه ... مش آسيا دى حب عمرك الى قتلت إبنك عشانها

اتسعت عيناه ذهولا من كلماتها المجنونة ، كان يريد أن يهشم أسنانها بعد تلك الجملة و لكنه منع نفسه بقوة ، ثم اقترب منها و جذبها من مرفقها برفق و جلسا سويا على الأريكة التى تتوسط غرفة المعيشة ، احتضنها و قبل رأسها ثم قال بهدوء جلبه لنبرة صوته بصعوبة بالغة : يا رانيا أنتى مراتى و حبيبتى الى مليش غيرها ، مينفعش كل شوية تقعدى تقطمى فيا و تعايرينى بواحدة كنت بحبها ، و تجبيلى سيرتها

قاطعته بتهكم قائلة : كنت ! ... معقول ... ده اعترافك ليا و صريخك و أنت بتقولى بحبها مفاتش عليه غير كام يوم ... و جاى تقولى كنت !

صرخ بوجهها بنفاذ صبر و نزق و قد التمعت الدموع بمقلتيه : يا رانيا حرام عليكى كفاية .. كفاية تعذيب فيا ، كفاية عليا تعذيب ضميرى .. الى مات ده يبقى ابنى زى ما هو ابنك .. أنا بموت من جوايا و مش مستحمل

رقت لحالته الرثة و تمتمت قائلة من بين دموعها : أنا آسفة ..

ضمها لصدره عنوة ، ثم قبل رأسها و قال بنبرة باكية و هو يمسح على ذراعها : ساعدينى يا رانيا ، ساعدينى نعدى الأزمة دى مع بعض بدون خسايز تانية ، ادينى فرصة ، خلينا نبدأ سوا من جديد ، ادينى فرصة أعتذرلك عن كل حاجة وحشة عملتها

خرجت من حضنه ثم قالت بخوف و هى تنظر بعينيه : خايفة يا يوسف ، خايفة أديك فرصة و نندم بعدها إحنا الإتنين

قال و هو يمسح دموعها بيديه برقة : متخافيش ، طول ما احنا بنحاول و بنساعد بعض .. عمرنا ما هنندم

رفعت بصرها لأعلى و قالت بإستسلام : يارب .. يارب

مسح دموع مقلتيه هو الآخر ، ثم جذبها من ذراعيها لتنهض ، و قال بإبتسامة باهتة : طب يلا قومى غيرى هدومك عقبال ما أحضرلك العشاء بنفسى

رفعت حاجبيها بدهشة و قالت بعدم تصديق: معقول ! ...أنت الى هتحضر العشا بنفسك !

رد عليها بمزاح و قال و هو يقبل يديها برقة : أيوة .. بس متتعودش على كده يا جميل ..يلا مش هتأخر عليكى

قالها و أفلت يديها و ذهب إلى المطبخ لتحضير الطعام بينما ظلت هى تتابع إنصرافه من أمامها بإبتسامة فرحة ، مسحت دمعة فرت من عينها و تمتمت قائلة لنفسها : ربنا يخليك ليا يا يوسف ، و يخرج آسيا من قلبك !

****

نفسى أقوله يا ... حلم كنت هموت و أطوله

نفسى أقوله يا ... إسم برتاح أما أقوله

نفسى أقوله يا ...حلم أنا سنينى اتعاشوله

و اتعاشت عليه

كانت أجواء حفل الزفاف صاخبة للغاية ، ساحة الرقص تعج بالشباب و الفتيات و هم يرقصون فى دائرة كبيرة شكلوها بأجسادهم التى تتمايل مع الموسيقى ، يتوسط العروسين تلك الدائرة ، و كانت آسيا تتمايل علي جسد زوجها بدلال على نغمات و ألحان الموسيقى الصاخبة للغاية و هى تردد كلمات الأغنية بحب وتشير بسبابتها عليه، بينما كان هو يتفحص جمال جسدها الذى يتمايل بفرحة عارمة أسفل فستانها الرقيق ، ثم يضمها إلى صدره و يقبلها من جبهتها و يهمس فى أذنيها بكلمات تجعلها تضحك بشدة ووجنتيها تحمر خجلا ، كان ساحة الرقص محاطة بأكثر من مصور للحفل ، قاموا بتصويرهم فى جلسة خاصة فى ساحة الفندق الخارجية ، و جلسة آخرى عائلية تضمها هى و أسرتها و أقاربه ، و قد كانت سعيدة للغاية بحضور أختها و طفلها التى أصرت على العودة للقاهرة لحضور الزفاف و بدون زوجها الذى منعته ظروف العمل من الحضور ، قاموا أيضا بتصوير مراسم الزفاف بأكملها بدءا من دخولهم صالة الحفل على المدعوين الذين انبهروا بجمال طلتهم ، و جمال العروس الأخاذ ، ووسامة زوجها الأنيق ذو الجسد الرياضى ، كان

يرتكز على البقعة التى يرقصون بها أضواء مبهجة للغاية تتباين درجاتها و تختلف كل ثانية فتضفى سحرا و جمالا ليس له مثيل ...

كانت أجواء الحفل أسطورية و كل شئ مضبوط و بدقة ، كان المدعوين إلى الحفل مستمتعين للغاية و شعروا بالحنق عند إنتهاءه بينما كانت هى تطير فرحا و سعادة عندما تأبطت ذراعه ثم ودعت والديها و رغدة و ركبت السيارة بجانبه فى الأريكة الخلفية و التى كان يقودها عمر صديقه ، الذى كان ينظر إليهم من خلال مرآة السيارة من حين لآخر ، و دموعه تلمع بمقلتيه تأثرا بهم و بفرحتهم !

خطت بقدميها بهو القصر بخجل ، التقط يديها برقة ثم قبلهما قبلة عميقة بث من خلالها جميع مشاعره التى جعلت بدنها يقشعر لها ، نظر بعينيها و قال و هو مازال ممسكا بكفيها : انهاردة أسعد يوم فى حياتى ، أخيرا من النهاردة مش هبقى وحيد ، عشان أنتى هتبقى معايا يا حب عمرى كله

خجلت من نظراته و توردت وجنتيها ، أغمضت عينيها عندما مد يده يزيل عنها حجابها و ازدادت ضربات قلبها بشدة ، و عندما شعرت بأنامله تلمس سحاب ثوب زفافها فتحت عينيها و قالت بخفوت : على .. أنت بتعمل إيه ... ثم نظرت حولها و قالت بدهشة : هنا !

قال بهمس و هو يلمس شفتيها برقة بأنامله : أنا عاوز كل حتة فى بيتنا تبقى شاهدة على حبنا ، عاوز كل ما أبص فى حتة فى القصر أفتكر وقت حلو قضناه سوا

زحفت يديها على صدره و قالت و هى تنظر فى عينيه بعمق : عايزة أسألك سؤال يا على ؟

التقط إحدى يديها التى تلمس صدره بنعومة و قبلها ثم قال : إسألى يا عمرى ؟ ... سألته بفضول قائلة : من أول مرة جيت فيها القصر ده و أنا نفسى أسالك عن الأوضة الى فى الجنينة ؟

إبتسم إبتسامته الخلابة التى أذابتها عشقا و قال : شوفى يا قلبى ، أنا طول عمرى مبحبش الأماكن المغلقة ، مبحبش السقف الواطى و لا أحب أحس إنى محبوس ، لو تفتكرى أول مرة اعترفنا لبعض بحبنا كان على سطح اليخت ، مكنش فى غيرنا و الى كان محاوطنا هو البحر و الهوى ، حتى يوم خطوبتنا ، كنت عاوز أول رقصة لينا تبقى فى مكان مفهوش غيرنا إحنا و الهوى و المياه و بس ، و انهاردة ....

بترت كلماته التى دغدغت مشاعرها بأن وضعت سبابتها على شفتيه تمنعه من الإسترسال فى الحديث و قالت بهمس : و أنا عاوزة أول ليلة لينا تبقى هناك ، على

الخضرة الى فى أرضها ... مش عاوزة أشوف حاجة قدام عينى غيرك و السما و الهوى

شعرت بيديه تلتف حول خصرها لترفعها من على الأرض ، بينما طوقت هى عنقه بذراعيها و خرج بها و هو يحملها على ذراعيه إلى الحديقة الداخلية ، كانت تتأمل الغرفة التى رأتها من قبل و التى الآن تختلف كثيرا فى الجو الليلى و قد زينت أرضها بالشموع من كل جانب ، و التى أضفت جوا رومانسيا خالصا ، زاده أيضا الشموع التى تحيط بحمام السباحة .. دخلا الغرفة ثم أنزلها برفق ، امتدت أنامله تفتح لها سحاب ثوبها الذى سقط تحت قدميها خلال ثوان ثم استلقت أرضا تنظر إليه و هو يخلع حلته الأنيقة بشغف ، أغمضت عينيها حين شعرت بقبلاته المجنونة تلثم وجهها و شفتيها و عنقها الأبيض الطويل

... بعد وقت قصير نهضت من رقدتها و قالت له بخوف و هى تدارى جسدها بيديها : على ... أنا سمعت صوت غريب .. فى صوت حركة جمب الأوضة

حاول أن يجذبها ناحيته ثانية و هو يقول بعدم تركيز فنشوة قربه منها كانت تسيطر عليه : مفيش صوت و لا حاجة يا آسيا .. ده بيتهيألك

قالت بخفوت و هى تتلفت ببصرها يمينا و يسارا و الفزع يملؤها : صدقنى زى ما أكون سمعت صوت حد ... قوم يا على و فوق ... قالتها و صمتت عندما سمعت الصوت يقترب حتى يتسنى له التنصت جيدا و استراق السمع

زفر بقوة و هو يرتدى بنطاله ثم ربت علي كتفيها و قال و هو يجول ببصره فى الحديقة الداخلية التى يكشف ساحتها حوائط الغرفة الزجاجية : متخافيش يا حبيبتى ... أنا هروح أشوف فى إيه

قالها و خرج من الغرفة فى حين نهضت هى بسرعة و التقطت ثوبها لترتديه ، و الخوف و الفزع يتصاعدان بداخلها أكثر ، أوشكت على الخروج من الغرفة و اللحاق به ، حين سمعت صرخته تدوى فى القصر و رأت أنواره تطفىء فجأة ليخيم على القصر الظلام المخيف .. فاتسعت عيناها فزعا عليه و سقط قلبها فى قدميها هلعا عندما رأت شبح أحدهم يتحرك فى القصر فلم تستطع الصمود أكثر و كان لابد من أن تسقط فاقدة للوعى

****

رمشت بعينيها عدة مرات قبل أن تفتح جفونها بتثاقل ، كانت الرؤية مشوشة أمام عينيها ، و كان أول شئ التقطته أذنيها هى نبرة الفرح فى أصواتهم و هم يحمدون

الله، شعرت بيد والدها الحنون تمسك بكفها ليقبله و يقول : حمد الله على سلامتك يا بنتى

همست من بين شفتيها بضعف قائلة : على ... فين على يا بابا .. طمنى عليه ؟

لم يستطع أن يرد عليها ، فأخفض بصره و نهض يخرج من الغرفة ، فاتسعت عينيها فزعا و ازدادت ضربات قلبها بشدة ، حاولت النهوض و لم تقدر فعاجلتها رغدة لتساعدها ،وضعت خلف ظهرها وسادتين لتستند عليهم فباغتتها آسيا قائلة برهبة و صدرها يعلو و يهبط بجنون : فى إيه يا رغدة ... بابا مردش عليا ليه و سابنى و خرج ... هو فى إيه ؟ .... على جراله حاجة صح ؟

قالت سؤالها الأخير بحذر و عينين متسعتين عن آخرهما ترقبا لما ستقوله أختها ، ابتلعت رغدة ريقها بتوتر ثم قالت : بصراحة يا آسيا .... كانت مترددة فى الحديث خوفا على أختها و لكن آسيا باغتتها بصرخة عالية لتحثها على الكلام : انطقى جوزى جراله إيه يا رغدة ؟

تنهدت رغدة تنهيدة طويلة ثم قالت بإستسلام : بصراحة على تعبان أوى يا آسيا ... الضربة الى أخدها على دماغه خلته يدخل فى غيبوبة و الدكتور مش عارف هيفوق منها إمتى .. قال ممكن تطول و ممكن لا ... دى حاجة بتختلف من شخص للتانى

أرجعت رأسها للخلف و أطلقت آهة كبيرة من صدرها ثم أطلقت لدموعها العنان ، اقتربت منها رغدة و ضمتها لصدرها تمسح على شعرها بحنان ...

بعد وقت خرجت والدتها من الغرفة لتجلس بجوار زوجها الذى كان يمسك بالمصحف و يتلو بعض الآيات القرآنية ، ربتت على كتفه بحنان ثم قالت : مش هتقوم تدخلها يا حبيبى .... محدش بيقويها غيرك ..

" صدق الله العظيم " قالها عزت ثم أغلق المصحف ووضعه بجانبه ثم التفت لها بجسده كله و قال بتعب : المرة دى غير كل مرة يا عائشة ... قلبها دلوقتى مكوى على جوزها الى ملحقتش تنام فى حضنه ، كلامى المرة دى مش هيفيد بحاجة

وضعت يدها على خدها ثم نظرت باتجاه باب الغرفة و قالت بأسى : ياعينى عليكى يا آسيا يا بنتى ، كان مستخبيلك ده كله فين ... طول عمرك حظك قليل فى الدنيا دى

... انتبهوا إلى قدوم الطبيب ناحيتهم بصحبة الضابط الذى كان يسأل عنها منذ الصباح ، و عندما أخبره الطبيب بإستعادتها لوعيها أتى على الفور .. أخبرهم الطبيب أن ضابط المباحث يود رؤيتها حتى يسألها عما حدث فى ليلة البارحة .. ثم

طرق الباب و دلف إليها أولا ليخبرها بقدوم الضابط و بعد دقائق دلف ضابط المباحث هو الآخر فى حين انصرف الطبيب و انزوت رغدة تجلس على الأريكة الموضوعة بأحد أركان الغرفة ....

بدأ الضابط أسئلته قائلا : ايه الى حصل ليلة امبارح يا مدام آسيا بالتفصيل ؟

أجابته بصوت متحشرج من كثرة البكاء : كل الى أنا فكراه من ليلة امبارح .. إنى أنا و على كنا فى الأوضة الزجاجية الى فى الجنينة ، و فجأة حسيت بحركة غريبة حولين الأوضة، قام على يشوف فى إيه، بعدها بشوية سمعت صرخته و بعدها أنا أغمى عليا ، مدرتش بنفسى غير و أنا هنا

قالتها و انفجرت فى البكاء من جديد ... فى حين سألها مرة آخرى : مدام آسيا ممكن تتهمى حد بالى حصل ؟

بهتت من السؤال ، و نقلت بصرها بين الضابط و رغدة بتوتر ... كانت تريد أن تنطق بإسم نادر و لكنها لم تستطع ، سابقا رفض على إسناد تهمة الإعتداء بالضرب له حتى لا يذكر اسمها فى التحقيقات و هى لا تود أن تخرج عن رغبته ، ستصمت حتى لا تجلب الفضيحة لنفسها و لزوجها ، ستصمت حتى تتجنب نادر و تأمن من غدره و شره ، فهى لا تتوقع ماذا يمكن أن يقول هذا الحقير فى حقها و حق زوجها من إدعاءات و إفتراءات باطلة !

طلب منها الضابط التوقيع على أقوالها ، و طلب منها إن تذكرت أى شئ أن لا تتردد فى إخباره بها حتى يتوصل للحقيقة فى أسرع وقت و حتى لا يهرب المتهم من عقابه !

******

و توالت عليها الأيام تحمل حزنا لم تكد تفارقه حتى عاد إليها مرة آخرى و بقوة ، و كأن الحياة تعاندها و ترفض منحها السعادة التى وعدتها بها و ظلت أياما تمنى نفسها بالحصول عليها بجواره ... كثيرا ما حرمتها الدنيا سعادتها ، كثيرا ما بكت و حزنت و فقدت الأمل ، و لكن وقتها كانت الدنيا تسير على وتيرة الحزن فقط دون أن تحيد ، و لكن هذه المرة تختلف ، تلك المرة لاح لها شعاع نور وضاء وسط غيوم الحياة و ظلمتها ، تلك المرة كذبت عليها الدنيا ، وعدتها بالفرح و سلبته بكل قسوة ، بسطت يدها إليها بأوراق ورود ناعمة تفوح عطرا ذكيا ، و ما كادت تخطو على ذلك البساط حتى شعرت بأشواك تدق قدميها بعنف لتسيل دمائها بغزارة ، و بدون إنذار قبضت الدنيا يدها بكل قوة ساحقة إياها و قلبها بلا رحمة !

قلبها الذى ترك صدرها و فر منه إليه حين وطئت بأقدامها غرفته التى يرقد بها ، ها هى تجلس أمام فراشه منذ ساعات لا تعلم عددها ، تمسك بيده الباردة و تقبض عليها بكفيها الأشد برودة ، تبث إليه أحزانها و تتحدث بكلام غير مترابط و دون وعى ، لو طلب منها إعادته ما استطاعت ، لأنه هذيان تتفوه به دون إدراك ، الشئ الوحيد الذى تدركه هو وجودها بجواره و دموعها تغرق وجهها و ملابسها و يديها و كفه البارد

كانت تنظر إليه و تحدثه بضعف و كأنه يسمعها و يدرك ما تقول " كده برده يا على ، كده يا حب عمرى كله ،ده أنا ماتولدتش إلا بين إيديك ، و يوم ما حبيتك "

"كده مشبعش منك و تسبنى فى اليوم الى عشت أحلم بيه و أتمناه أيام و ليالى " ابتسمت بحسرة و هى تتابع " مش عارفة ليه كل ما نقرب من بعض فى لحظة حلوة ما بتكملش "

ثم ظلت تستجديه بإنكسار " مين الى عمل فيك كده يا على ، مين الى حرمنا فرحتنا ، مين الى خدك من حضنى و حرمنى أجمل لحظات كان ممكن أعيشها ، مين يا على ، مين ، فوق و قولى ، احمينى ، احمينى يا أمانى "

قالتها و انهارت تبكى على صدره بحرقة ، اقترب منها والدها الذى كان يتابعها من خارج الغرفة عن طريق زجاجها الشفاف و حين رأى انهيارها دلف إلى الغرفة على الفور ، جذبها من على صدره بصعوبة فى حين ظلت هى تبكى و تصرخ و دموعها تهطل بلا توقف : قوله يا بابا ، قوله يفوق و يكلمني ، قوله مين الى عمل كده و سرقه من حضنى ، خليه يقوم ، خليه يفتح عينيه و يطمنى عليه يا بابا ، أنا محتاجاله ، من غيره بموت يا بابا

و سالت الدموع من عينى والدها و قد شهد بهما إنهيار حبيبته الصغرى ، ضمها لصدره عنوة و تمزق قلبه و هو يشعر بارتعاش جسدها بقوة و هى تشكو إليه من على الذى تركها و رحل فى دوامة اللاوعى و التى لا تعلم هى متى سيفيق منها

****

استيقظت من نومها ليلا بعد ساعات طويلة من النوم بسبب الحقنة المهدئة التى حقنها بها الطبيب فى ذراعها كى يتمكنوا من السيطرة عليها بعد انهيارها الذى صاحبها منذ رؤيتها لعلى حتى رجوعها لمنزلها ، جلست قليلا فى الفراش تنظر لغرفتها ببيت والدها ، عادت إليها كما لم تخرج منها ، لقد خرجت منها و بداخلها أمل جديد فى غد مشرق ، خرجت منها و هى تمنى نفسها بحياة زوجية سعيدة مع

من اختاره قلبها و لم يخطر ببالها و لو للحظة أنها ستعود لها مرة آخرى بعد يومين فقط بعد خروجها من المشفى بعد الحادث

عندما استعادت صحتها و خرجت من المشفى ، رفضت الرجوع إلى القصر رفضا قاطعا ، و أخبرتهم بحدة أنها لن تعود إلى هناك إلا و هى تتأبط ذراعه ، أخذت عهدا على نفسها أن فراشها الذى انتقته بصحبته بعناية فائقة لن تمسه وحدها ، لن يضم إلا جسديهما معا و هما غارقان فى الحب حد الثمالة

أزاحت عنها الغطاء بملل ، و نهضت من الفراش تجر قدميها جرا من فرط التعب ، جلست أمام مكتبها الصغير و فتحت أحد أدراجه لتخرج من بين الروايات الموضوعة به دفتر مذكراتها الوردى ، و الذى خطت به آخر كلماتها قبل الزفاف بيومين ، نزلت دمعة حارة من عينها اليمنى حين التقطت آخر جملة خطتها و التى قالها لها و عينيه تفيض بالحب ، تذكرت كلامه وقتها و رن فى أذنيها نغمة صوته و هو يقول " طب أنا قولتلك قبل كده إنى بحب أقرأ شعر ؟ ... طب عارفة آخر حاجة قريتها كانت إيه ؟ ... هزت رأسها نفيا كما فعلت وقتها ، و كأنها تعيش معه الموقف مرة آخرى ... " آخر خاجة قريتها كانت قصيدة للمتنبى و فى بيت فيها أول ما قريته افتكرتك علطول ، حسيت كأنه بيوصف حالتى معاكى يا آسيا "

و امتدت أناملها تتحسس حروف كلمات بيت الشعر التى خطتها يومها فور أن عادت للمنزل ، كانت تريد تحفرها على الورق كما حفرت بقلبها ، و قرأتها بصوتها الحزين و لكنها لم تكن تسمع نفسها بل تسمع صوته العاشق يرن بأذنيها و هو يقول " و ما كنت ممن يدخل العشق قلبه .... و لكن من يبصر جفونك يعشق "

و مع آخر حروفها علت شهقاتها و انهارت تبكى ، و بعد وقت طويل رفعت رأسها من على سطح مكتبها ، التقطت قلمها بين أصابعها و خطت كلمات تشعر بها بدموعها !

أنا وحيدة

ده أنا من كتر جرالى

بيصعب حالى على حالى

و مش عارفة .. منين جاية و رايحة لفين

أنا ضعيفة

ليالى الوحدة دى مخيفة

حياتى مملة و سخيفة

فى نفس الدايرة

أنا ماشية بقالى سنين

بنام بس الوجع صاحى

و مين هيحس بجراحى

لإمتى يا قلبى هتخبى

و إمتى يا روحى ترتاحى !

****

غريبة هى الأيام ، عندما نملك السعادة فإننا لا نشعر بها ، نراها تمر أمام أعيننا و لا نستطيع اللحاق بها ، تعدو بسرعة كخيل أبيض جامح يختال فرحا ببهائه فى سباق كبير أمام الملايين من مشجعيه ، و كأنها تريد أن تجتاز السباق بسرعة حتى تصل لنهايته ، ونصل نحن لنهاية السعادة لنستقبل أيام جديدة تمقت السرعة و تتهادئ بكل ثوانيها و دقائقها ببطء حتى نعيش كل تفاصيلها الحزينة دون إيجاز ...

.. تمر الأيام و يبدأ الأسبوع و ينتهى و لا أدرى كيف تمر أيامه ، لماذا تمر على الدقائق المعدودة يا حبيبى و أشعر كأنها الأبد ؟ ... لماذا يطول الوقت فى غيابك ؟ ... لماذا لا يقصر كما كان يفعل حين كنت أنت بجانبى يا عمرى ؟ ... أنت عمرى يا على .. عمرى الذى لا أستطيع أن أعيش أيامه بدونك .. لقد هرمت و أنا أنتظرك .. أريد فقط أن أرى إبتسامتك كى تنير حياتى و تبث فى نفسى القوة لكى تنهض روحى مرة آخرى و أقوى على فراقك ... و أيضا لن أقوى .. فكيف أقوى و أنت لست معى .. انهض يا حبيبى ، انهض كى تضمنى إلى صدرك ، كى أستنشق عبير جسدك الذكى فأشعر بالأمان .. لقد طال انتظارى لك .. لقد مر على رقدتك تلك ثلاثون يوما .. ثلاثون يوما و أنا أمسك بيديك الباردتين و لا أستطيع أن أبث فيهما الدفء كما كنت أنت تفعل ، فقط نظرتك لى ، همستك العاشقة فى أذنى ، لمستك الحانية على يدى كانت كافية لأن يشملنى الدفء و الأمان .. إنهض يا أمانى لكى أعود للحياة ، فأنا بدونك لست إلا جسد خاوى هربت منه الروح لتسكن جسدك أنت و تستوطن قلبك أنت و تتركني أنا أحتضر دون أن تزهق روحى

آسيا

خطت آخر كلماتها فى دفترها الوردى ثم وضعت القلم بين أوراقه بوجوم ، وضعت الدفتر بداخل حقيبتها التى قبضت عليها بيدها استعدادا للرحيل ، فتلك أصبحت عادتها التي تفعلها كل يوم منذ لازم زوجها فراش المشفى ، تأتى فى الصباح الباكر و تجلس أمامه تتأمله بعينين باكيتين ، ثم تلتقط يديه و تلثمها بقبلاتها ، ثم تجلى صوتها المتحشرج و تبدأ الحديث ، تقص عليه كل يوم حكايات متنوعة عن طفولتها ، تحكى له عن والدها ، عن رغدة ، عن كل شئ مرت به فى حياتها قبل أن تراه ، و قبل الرحيل بوقت كافى تلتقط دفترها الوردى و تفتحه لتخط به رسالتها اليومية له ..و اليوم بعد أن خطت رسالتها له يجب أن ترحل

قبلت يديه و دموعها تسيل فى صمت ، على وعد بأن تأتى له فى الصباح الباكر بالغد ، و لكن حدث شئ غريب جعلها ترفع بصرها لتنظر له بترقب و عينين متسعتين و قلب يخفق بشدة ، رأته يحرك رأسه بضعف و هو يهمس بإسمها ،

نظرت ليده التى كانت تحتضنها و هى تنغلق على كفها ببطء .. تهللت أساريرها و اتسعت إبتسامتها التى فارقتها منذ شهر ، لتعود و تظهر الآن بجمالها المعهود ، عادت إليها الروح عندما رأته ينظر لها بعينين نصف مفتوحتين و يهمس من بين شفتيه بضعف قائلا : آسيا !

و اتسعت عينيها و التمعت مقلتيها بفرحة و همست بإسمه هى الآخرى بفرحة عارمة : على !

******

سار عمر بجوار دينا بمحاذاة كورنيش النيل متعانقة أيديهما متشابكة أصابعهما ، نظرت له لترى بعض علامات الضيق و الإضطراب ظاهرة بوضوح فى عينيه فقالت : مالك يا عمر ، من ساعة ما خرجنا من عند على و أنت مسهم و مبتتكلمش و كمان شكلك مش مبسوط ، مع إنك المفروض تكون فرحان لأننا إطمنا عليه و اتكلم معانا كمان و الدكتور كتبله على خروج بكرة !

قال بنبرة تملؤها الشجن و هو ينظر للأمام : زعلان عليه يا دينا ، على ميستاهلش كده

قالت بحنان : يا حبيبى احمد ربنا إنها جت على قد كده و إنه قاملنا بالسلامة ، ربنا يسعده هو و مراته يارب ، و يسعدنا إحنا كمان بقى و نتجوز

قالت كلماتها الأخيرة بغمزة من عينيها ، فتوقف عن السير و ابتسم لها ، لكزته فى كتفه بمزاح و قالت بمرح : أيوة كده يا أخى ، اضحك بقى ...و مش عاوز أشوف التكشيرة دى تانى

قبل يديها ثم تأبطت ذراعه ليواصلوا السير مرة آخرى ، و استدرجت متسائلة : قولى صحيح عملت إيه فى موضوع الشقة الى قلتلى عليه ؟

رد عليها بإندفاع قائلا : شقة إيه ؟ .... مين الى قالك على الموضوع ده ؟

ارتفع حاجبيها دهشة و قالت و قد توقفا عن السير : هيكون مين الى قالى يا عمر ؟! ... أنت الى قلتلى من كام أسبوع كده مش فاكرة امتى بالضبط ... و بعدين مالك اتخضيت كده ليه ؟!

ابتلع ريقه بتوتر و أردف قائلا : لا أبدا ماتخضيتش و لا حاجة .. بس كنت سرحت شوية ... موضوع الشقة لسه محتاج شوية وقت

قالت له متسائلة : يعنى وقت قد إيه كده ؟

رد عليها بنفاذ صبر قائلا : وقت و خلاص يا دينا معرفش قد ايه ... و بعدين الله يخليكى كفاية أسئلة بقى أنا حاسس إنى ماشى مع وكيل نيابة

قالت له بحنق و قد توترت من طريقته العصبية معها : مش تحقيق و لا حاجة ... أنا من حقى أسأل و أعرف ، لأن دى حاجة تخصنا و تخص مستقبلنا ... و يلا بقى نروح عشان أنا إتأخرت و مش عاوزة يحصل لى مشكلة مع ماما بسببك ... هى أصلا لا طايقانى و لا طايقاك

كور قبضته غضبا و قال بضيق و هو يستدير ليعودا أدراجهما من حيث أتوا و يستقلوا مترو الأنفاق للعودة إلى منازلهم : طب يلا يا هانم اتفضلى .... ساروا متجاورين و كلا منهم حانق على الآخر و يغلى غضبا منه

****

دلفوا إلى الشقة بعد عناء يوم طويل ، ارتمت رغدة بتعب على الأريكة بغرفة المعيشة و قالت : زمان محمود صحى دلوقتى و تاعب مدام عواطف جارتنا

جلست والدتها على مقعد وثير بجوارها و قالت و هى تخلع حجابها : بصراحة الست دى شايلانا ، و عمرها ما اشتكت منه ، أنتى ناميلك شوية و بعد كده إنزلى هاتيه ... و متنسيش تتصلى بجوزك لحسن كلمنى انهاردة و أنتى مكنتيش جمبى

هزت رغدة رأسها بالإيجاب و قالت : حاضر هكلمه ... هو أكيد عاوز يطمن على آسيا و على ، و يشوفنى هحجز إمتى عشان أرجع

قاطعها والدها قائلا بهدوء : سافرى يا رغدة و اطمنى على أختك .. إن شاء الله متشفش مشاكل تانى

رفعت رغدة عينيها و يديها لأعلى قائلة برجاء : يارب يا بابا .. ربنا يسمع منك ... أنا كمان خالد وحشنى أوى و عاوزة أرجع ، خالد خلاص اتعود على وجودى جنبه أنا و محمود

قال والدها بإبتسامة : أكيد يا بنتى .. ربنا يلم شملكم

اعتدلت رغدة فى جلستها ووجهت سؤالها لوالديها قائلة : بس أنا مش عارفة ليه على صمم ياخد آسيا و يطلعوا على إسكندرية ، ليه مخدهاش وروحوا بيتهم ؟ ...

ده أكيد لسه تعبان و بعدين ده مبقالوش غير أسبوع واحد بس بعد ما فاق من الغيبوبة ... يقوم يطلع كده من المستشفى على إسكندرية !

تثاءب والدها بتعب و قال : على الحمد لله بقى كويس يا رغدة .. هو أساسا رضى يقعد أسبوع فى المستشفى بعد ما فاق بالعافية ... و بعدين أحسن يروحوا إسكندرية عشان يغيروا جو ... يارب يبسطهم و يفرحهم يارب

****

و أما هناك فى الإسكندرية ، أمام البحر و على رمال الشاطئ كانا يجلسان ، يضمها إلى صدره بقوة حتى كاد يدغدغ عظامها ، بينما كانت هى متكورة على نفسها تلصق جسدها به و ترتكز بيدها على صدره موضع قلبه تماما و هى مغمضة العينين

قال بهمس و هو ينظر للبحر أمامه : يااااه الدنيا دى غدارة بشكل .. أوقات تورينا وشها الحلو و أوقات تانية تورينا وشها الأسود و تقلب علينا ... أنا حاسس إنى كنت ميت و ربنا أحيانى تانى ... نظر إليها و قال بحنان : أحيانى علشان خاطرك أنتى يا حبيبتى

زادت من احتضانها له و قالت : بعد الشر عنك يا على ... أنا الى حاسة إنى كنت ميتة من غيرك ، و روحى ماتردتش غير لما فتحت عنيك ... بحبك يا على ... بحبك

قبل جبينها قائلا بحنان : ربنا يخليكى ليا ... كلهم قالولى الى عملتيه ... قالولى إنك مكنتيش بتروحى غير بالليل و كنتى بتقعدى معايا طول اليوم تتكلمى و تحكى

عقدت حاجبيها و قالت بضيق مصطنع : إيه ده بقى ! ... معنى كده إنك مكنتش بتسمعنى .. و أنا الى قلت إنك حاسس بيا عشان بتحبنى ، و بتسمعنى بقلبك !

قال لها بحالمية : قلبى ده يا آسيا أنتى ملكتيه خلاص ... بقى بتاعك من يوم ما حبيتك

.. نهضوا سويا ينفضون ملابسهم من رمال الشاطئ التى علقت بها ، ثم ساروا معا أمام البحر الذى كان يداعبهم بمياهه التى تبلل أقدامهم العارية .. كان يضمها إلى صدره و يلف ذراعه حول خصرها بينما تضع هى رأسها على صدره و تلف ذراعها حول خصره .. حملها كالطفلة و دخل بها إلى المياه التى بللت كل ملابسهم بينما تضحك هى بأعلى صوت و هى تتشبث بقميصه المفتوح .. ثم أخذها إلى

مطعم أسماك كبير على الشاطئ و تناولوا العشاء سويا .. و بعد قليل كانوا يسيرون مرة آخرى أمام البحر يتناولون المثلجات و لسانهم لا يتوقف عن الكلام ، و أعينهم لا تمل من تبادل نظرات العشق و الشوق الذى يحرق أجسادهم .. بعدها ظلت تجرى أمامه و هو يجرى خلفها بمرح حتى استطاع أن يمسك بها بعد أن تقطعت أنفاسه ، و عندما أمسك بها حملها و ظل يدور بها بينما تطوق عنقه بذراعيها و أصوات ضحكاتهما العالية يدوى صداها من حولهم لخلو الشاطئ من البشر فى ذاك الوقت المتأخر ..

... عادوا إلى الشاليه الذى يقيمون به بتلك الأيام بعد شروق الشمس و قد نال التعب من أجسادهم ، التى ارتمت على الفراش بتعب و تركوا العنان لأعينهم التى انغلقت جفونها فور أن لمست أجسادهم الفراش

****

وقفت أمام المائدة تلتقط بعض لقيمات الطعام لتسد بها جوعها و لكى تعطى جسدها بعض الطاقة لكى تبدأ يوم شاق جديد ، كانت والدتها تتابع تعجلها بنظرات حانقة للغاية ، ثم قالت لها بنفاذ صبر : ما تقعدى يا بت تأكلى زى مخاليق ربنا ... ده إيه القرف الى أنا فيه ده على الصبح ؟

قالت لها دنيا و فمها ممتلىء بالطعام فخرج صوتها مضطربا مما أثار إستفزاز والدتها أكثر : يا ماما مش عاوزة أتأخر على المدرسة

مصمصمت شفتيها و قالت بتهكم : مدرسة ! ... مدرسة إيه ياختى ... هو أنتى مش كبرتى برده على موضوع المدرسة ده !

قالت لها دينا بتأفف : يا ماما ده شغلى .. هو أنا قولتلك راحة أتعلم

قالت لها والدتها بحنق : ياريتك فعلا تتعلمى من الى أصغر منك ، و تشوفى البنات الى زيك بيعملوا إيه .. خليكى أنتى كده .. افضلى اجرى ورا حتة الواد التعبان ده .. طول ما أنتى ماشية وراه كده و مخلياه ساحبك زى الخروف عمرك ما هتكسبى يا دينا يا بنت بطنى

زفرت دينا بحنق و قالت بنزق : يا ماما إحنا مش هنخلص بقى من الموضوع ده .. ده احنا لسه مصتبحناش

قالت والدتها بنفس النبرة الحانقة : أيوة مش هنخلص ... أنا خلاص زهقت و تعبت .. بقالك سنين ماشية وراه و مفيش حاجة بتحصل .. من ساعة ما عرفتيه و أنتى بقيتى عاملة زى الطور الى ربطوه فى ساقية و نسيوه ... هالكة نفسك الصبح فى المدرسة و بالليل فى المراكز و البيوت عشان الدروس الخصوصية لما خلاص قربتى تختفى من كتر التعب

قالت لها دينا بملل و هى تهم بحمل حقيبتها و تعدل من هندامها بعد ما فرغت من طعامها الطائر كما تزعم والدتها : بعد إذنك عشان مينفعش أتأخر ... و نبقى نكمل خناق لما أرجع

ودعتها والدتها بالصراخ قائلة : إهربى يا دينا ... هى يعنى عادتك و لا هتشتريها ... منه لله الى واقف حالك

****

كانت واقفة بالمطبخ تحضر طعام الفطور حين شعرت بيديه تطوق خصرها و هو يسند برأسه على كتفها ثم يقبل عنقها قبلة رقيقة فالتفت له بجسدها كله و قالت بإبتسامة : صباح الخير يا روح قلبى

قبل يديها و قال و هو يجول المطبخ بعينيه : بتعملى إيه يا جميل ؟

تملصت منه برفق و قالت و هى تستكمل تحضير الطعام : بحضر الفطار لحبيبى

ارتفع حاجباه دهشة و قال و هو ينظر بساعة يده : فطار الساعة ٤ العصر !

ضحكت بمرح وقالت : طبعا .. مش إحنا راجعين امبارح الفجر لازم طبعا نصحى العصر

جذبها من مرفقها لتقف أمامه و تترك ما بيدها و قال بهمس و هو يعبث بخصلات شعرها : طب ما تسيبك بقى من الفطار ده و تيجى أقولك حاجة

تملصت منه ، و أولته ظهرها و عقدت ذراعيها أمام صدرها قائلة بمرح : لا مش عاوزاك تقول حاجة دلوقتى ... لازم تفطر كويس زى ما الدكتور قال عشان تعوض أيام التعب الى فاتت

لفها لتقف بمواجهته مرة آخرى و قال بشغف و هو يهم بحملها على ذراعيه ليتجه بها صوب غرفة النوم : أنا هتعب فعلا لو مقولتلكيش الى أنا عاوزه ... قالها و أنفاسه الحارة تلفح وجهها بينما ضحكت هى بنعومة و طوقت عنقه بذراعيها و همست له بدلال : مجنون !

بعد وقت ليس بطويل أزاح عنه الغطاء بقوة و نهض من الفراش يرتدى بنطاله على عجل ثم وقف أمامها يسألها بغضب عارم : أنتى إزاى متقوليليش يا هانم على حاجة زى كده قبل الجواز

كانت دموعها تنهمر كالشلال و شعرت بأنها تختنق و أنها ليست بقادرة على الرد فخرج صوتها متحشرجا للغاية و هى تقول : أقولك إيه بس يا على ، أقولك على حاجة محصلتش و لا يمكن كانت تحصل !

اقترب منها و قبض على ساعديها بقوة و عينيه تشعان غضبا و قال : محصلتش إزاى يا ست هانم .... أمال الى حصل ده أسميه إيه

قالت له من بين دموعها بصوت لاهث : يا على والله ما أعرف ... و الله يا على أنت أول راجل فى حياتى .. أول واحد يقرب منى ... يا على و الله عمرى ما

سمحت لأى راجل قبلك إنه يمسك إيدى حتى ... أنت الوحيد الى استأمنته على نفسى و على جسمى ... صدقنى يا حبيبى

قالت كلماتها الأخيرة و هى تحيط وجهه بكفيها و لكنه نفض يديها عنه و قال بصراخ : إبعدى عنى ... متلمسينيش ... أنا مش قادر أصدقك ... عاوزانى أصدقك إزاى بعد ...

بترت كلماته قائلة بصراخ : حرام عليك يا على تظلمنى ... حرام عليك تشك فيا ...و الله ما ضحكت عليك و لا غشيتك ... والله يا على

نظر إليها من رأسها لأخمص قدمها شزرا و قال : أظلمك ! .... والله مش عارف مين الى ظلم التانى

ازداد نحيبها بشدة عندما رأته يرتدى ملابسه التى لم يكد يخلعها و يخرج من الغرفة صافعا الباب خلفه بقوة هزت جدارن الغرفة من حولها ، فانهارت تبكى على الفراش بحرقة

****

ظلت على حالها تبكى حتى حل المساء ، عندما سمعت صوت باب الشاليه يصفع بقوة ، توقفت قليلا عن البكاء حتى يتسنى لها أن تسمع صوت حركة أقدامه خارج الغرفة ، ثم نهضت لتقف خلف باب الغرفة فسمعته يتجه نحو الشرفة و يغلق بابها عليه ... فكفكفت دموعها و لفت الروب الحريرى جيدا حول جسدها و لملمت خصلات شعرها المشعثة ، فتحت باب الغرفة بهدوء ثم اتجهت نحو الشرفة بخطوات مترددة ، فتحت الباب بيد مرتعشة ، رأته يجلس على المقعد أمام السور الحديدى للشرفة يكتف ذراعيه أمام صدره و عينيه زائغتان و شاردتان فى أمواج البحر المتلاطمة المتشحة بالسواد .. تجمعت الدموع فى مقلتيها حزنا على حزنه الذى أطل من عينيه و هو يرمقها بنظرة لوم و عتاب ثم أشاح بوجهه عنها ، انحنت أمامه ترتكز على الأرض بركبتيها ، التقطت يده فى كفها البارد و قالت بهمس : على ... بصلى يا حبيبى .. عشان خاطري كلمنى

التفت ينظر إليها بإنكسار و قال : تفتكرى فى كلام بعد الى حصل ... أنتى كسرتينى يا آسيا ... حسستينى إنى مغفل و عبيط ... أردف بنفس النبرة و هو يشير لموضع قلبه : أنا حبيتك بجد ، عمرى ما حبيت قبل كده ، عمر ما فى واحدة شدتنى من أول نظرة زى ما حصل معاكى ... اتمنيت أعيش معاكى عمرى كله .. صدقت كل كلمة قولتيها ، صدقت خوفك من القرب يوم الخطوبة و قلتى أنا عاوزة كل حاجة فى

الحلال .. عجلت بالجواز زى ما طلبتى و كنت بقف على إيدين العمال فى القصر و هما شغالين عشان يخلصوا الى طلبتيه فى أسرع وقت ... رحت فى غيبوبة و كانت أول حاجة نفسى أعملها أول ما فوقت إنى أخدك فى حضنى و أكمل الى مبدأتوش

كانت تنتحب بحرقة و شهقاتها تتعالى و هى تسمع كل حرف يتفوه به ، و تشعر بقلبها يتمزق و هى ترى نظرة الإنكسار و اللوم فى عينيه ، فقالت من بين دموعها بصوت مبحوح : يا على أنا ....

لم يدع لها فرصة للكلام ، حيث قبض على ساعديها بقوة و نهض بها و قال بزعيق : أنتى إيه ... أنتى ليه مقولتليش .. ليه مصارحتينيش بكل حاجة قبل الجواز .. ليه مقولتليش إن كان فى حد فى حياتك قبلى

دمعت عينيه و قال كأنه يتوسلها : لو كنتى قولتيلى إنك تعرفى حد قبلى و إنك سبتيه بعد ما عرفتينى و حبتينى مكنتش هلومك ولا هحاسبك على حاجة ... مكنتش هحس بالنار الى قايدة فيا دى دلوقتى ... ليه يا آسيا ليه حرام عليكى ... للدرجة دى كنتى شايفانى مغفل ، عبيط مش هيعرف حاجة ... شايفانى واحد يتضحك عليه بسهولة أوى كده

قالها و دفعها بعيدا عنه ووقف ينظر لها بعينين تشعان غضبا... فى حين اقتربت منه و حاولت أن تلمس يديه و لكنه ابتعد عنها و قال بحدة : حتى لو قلتيلى دلوقتى إن الى حصل كان زمان أو كان غصب عنك .. برضه مش هقدر أسامحك .. عارفة ليه ! ... عشان أنتى طعنتينى فى ظهرى بسكينة حامية ... طلبتى نعجل بالجواز و أنا مشيت وراكى زى العبيط و نفذت و أنا مبسوط و طاير من الفرح .. عشان كنت فاكرك بتحبينى بجد و مش قادرة على بعدى عنك ... بس مكنتش عارف إن كل ده كان خطة محبوكة أنتى بتنفذيها بمنتهى الذكاء

صرخت بوجهه بحدة و قالت : لا .. لا ... مش صحيح .. أنا مكنتش بعمل خطط .. أنا ممثلتش عليك

صرخ بها و قال و هو يقبض على ساعديها : إخرسى ... إخرسى مش طايق أسمع صوتك و لا أشوفك .. إخرسى .. قالها و أفلت ساعديها بقوة ، و مسح دموعه التى تجمعت بمقلتيه و أردف قائلا بنبرة أكثر هدوءا : خشى لمى هدومك عشان هنرجع مصر .. خلاص شهر العسل طلع فشنك و ملوش لزوم قعدتنا هنا يا عروسة

حاولت أن تتمسك بذراعيه و هو يمشى من أمامها متجها لغرفة النوم و قالت بتوسل و دموعها تتساقط بغزارة : اسمعنى يا على ... عشان خاطرى اسمعنى

استدار بجسده و قال بإنكسار : خلاص ملوش لزمة الكلام .. الى اتكسر فيا عمره ما هيتصلح .. نظر إليها بدموع و قال بقهر : خلاص يا آسيا ..كل الى بينا انتهى .. من انهاردة هتبقى مراتى على الورق و بس .. و هنعيش مع بعض فى القصر كل واحد فى حاله .. و بعدها بكام شهر ...

شق عليه أن ينطق بما أراد قوله فصمت قليلا و بداخله يشعر بنار متقدة فى قلبه ، نكس رأسه ليسمح لدمعته الحارة أن تتحرر و تسيل ببطء على خده ، ثم رفع رأسه و قال بحزن و هو يتجنب النظر لعينيها: بعدها هنتطلق يا آسيا

******

" عندما تتلقى طعنة من أحدهم ربما يتحدد الوجع الذى ستشعر به بعد أن ترى وجهه ، و كأن الأمر سيمر بسلام إذا كان عدوا ، بينما ستكون الطعنة نافذة للقلب إذا كانت ممن بنيت عليهم آمالا عظيمة و لم تتوقع يوما بأن يكونوا هم طاعنيك "

" عاملة إيه مع على يا آسيا " كان ذلك سؤال رغدة لأختها و هم جالسين سويا أمام حمام السباحة بقصر الأخيرة ، لاحت على شفتيها إبتسامة بسيطة و قالت بهدوء و هى تقدم لها فنجان الشاى الساخن : الحمد لله

تعجبت رغدة من طريقة أختها و لم تسترح لها ، فكيف تكون تلك طريقة عروس لم تكد تعود مع زوجها من الإسكندرية بعد قضاء أيام مليئة بالسعادة حتى و لو كانت أربعة أيام فقط ! .. أبعدت الفنجان عن شفتيها و لم ترتشف منه شئ و قالت بقلق : مالك يا آسيا ؟، حساكى ليه مش مبسوطة ؟

قالت آسيا بمرح مصطنع و قد منعت دموعها بصعوبة من الظهور فى عينيها : أبدا، هيكون مالى يعنى !

اقتربت رغدة بجسدها منها و اتكأت بمرفقها على مسند المقعد الذى تجلس عليه و قالت و هى ترمقها بنظرات متفحصة : يعنى ، مش دى طريقة عروسة لسه راجعة من إسكندرية مبقالهاش أسبوع ! ، قوليلى على مزعلك فى حاجة ؟

قالت بشجن : على يزعلنى ! ، ياريت الناس كلها زيه ، على شايلنى من على الأرض شيل

قالت رغدة بتعجب : طب أمال مالك حزينة كده ؟ .. التفتت حولها يمينا و يسارا ثم قالت بخفوت : هو فين صحيح ، مش هنا ؟

أجابتها قائلة و هى تعقد ذراعيها أمام صدرها : راح يقابل وكيل النيابة عشان يقوله المباحث وصلت لإيه فى موضوع القضية

هزت رغدة رأسها بتفهم و التقطت فنجانها ترتشف منه ثم سألتها بخبث و بغمزة من عينيها : اتبسطى فى إسكندرية ؟

طافت بخيالها ذكريات أيامهم الأولى بمدينة الإسكندرية ، تذكرت ضحكاتهم العالية ، و مزاحهم و جريهم سويا على الشاطئ ، قبلاتهم المختلسة على الشاطئ حين يحل الظلام و يغيب الناس ، فقالت بإبتسامة شاحبة : أحلى أيام حياتى قضيتها هناك

قالت رغدة بفرح : ربنا يسعدكم كمان و كمان ... قالتها و تركت الفنجان أمامها على الطاولة ثم أخذت حقيبتها و نهضت تقول : يلا أنا ماشية بقى .. مش عاوزة حاجة يا حبيبتى

نهضت آسيا من مكانها و قالت برجاء و هى تمسك بيدها : ما تخليكى معايا شوية يا رغدة ، أنا لسه مشبعتش منك

قالت لها رغدة و هى تمسك بذقنها برقة : لا لازم أمشى قبل جوزك ما يجى ، عشان ميضايقش و ياخد راحته ، و كمان عشان أكلم خالد و أقوله على حجز الطيارة

تجمعت الدموع بمقلتيها و قالت بشجن : يعنى خلاص مسافرة بعد يومين فعلا ، مش عارفة من غيرك هعمل إيه ، هتوحشينى قوى

قالتها ثم عانقتها و تركت العنان لدموعها تسيل على ظهر أختها ، فى حين قالت الأخيرة و هى تمسح على شعرها بحنان : يا عبيطة ، ما احنا مع بعض علطول ، و بعدين إيه هعمل إيه من غيرك دى ! ، هو أنتى لوحدك ! ، ما أنتى معاكى ماما و بابا و جوزك

******

كانت مستلقية على الفراش بغرفتها فى الظلام تغطى عينيها بذراعها ، حين شعرت بوالدتها تفتح باب الغرفة و تدلف إليها و تضىء نور الغرفة فقالت دينا بحنق : ليه كده يا ماما ، ولعتى النور ليه ؟

قالت لها والدتها بخفوت : عاوزة أتكلم معاكى يا دينا شوية ، ممكن ؟

نهضت من الفراش بتثاقل ثم التقطت يد أمها و جلسوا سويا على الأريكة المنزوية بأحد أركان الغرفة ، قالت لها دينا و هى تعيد ترتيب خصلات شعرها : خير يا ماما ، أنا سامعة حضرتك

قالت والدتها بإبتسامة واسعة : إبن خالتك هيرجع بعد بكرة من دبى ، و عاوزاكى تجهزى نفسك كويس

رفعت حاجبيها بدهشة و قالت : أجهز نفسى لإيه يعنى يا ماما ، أنا مش فاهمة

غمزت لها والدتها بطرف عينها و قالت بمكر : يا بت هو نازل يدور على عروسة ، و أكيد مش هيلاقى أحسن من بنت خالته ، فهمتى و لا لسه ؟

قالت لها بحنق : يوه يا ماما ، إحنا مش هنبطل بقى كلام فى موضوع الجواز ده ، حضرتك عارفة كويس أنا رأيى إيه ، و عارفة كويس أنا مرتبطة بمين !

زعقت بها و قالت : يعنى مرتبطة بإبن بارم ديله ! ، حتة واد صايع ملوش غير فى السرمحة و المشى على الكورنيش

زفرت ابنتها بملل و كتفت ذراعيها أمام صدرها و أشاحت بوجهها للجانب الآخر، فى حين أردفت والدتها قائلة بتهكم : قوليلى بقى يا دينا ، الى مرتبطة بيه ده يا حبيبتى ، يقدر يجبلك شقة زى الى اشتراها ابن خالتك السنة الى فاتت فى التجمع الخامس ، يقدر يفرشهالك أحسن فرش زى ما هيعمل مصطفى إبن أختى حبيبتى ، يقدر يركبك عربية أحسن موديل تمشى تتفشخرى بيها قصاد كل الناس .. ثم هزت رأسها بنفى و قالت بثقة : طبعا ميقدرش !

نظرت إليها دينا و قد اغرورقت عيناها بالدموع و قالت : و أنا مقدرش أحب غيره يا ماما ، صحيح هو ميقدرش يعمل كل الحاجات الى حضرتك قولتيها دى ، لكنه بيتعب و بيشقى و بيحاول ، و أنا هستناه عشان بحبه

قالت لها أمها بنفاذ صبر : بلا حب ، بلا كلام فارغ ، عيشى عيشة أهلك شوية بقى ، أنتى أبوكى الله يرحمه كان موظف مات يا حبيبتى من غير ما يسيبلنا قرش نتسند عليه ، تقدرى تقوليلى مين يقدر يجهزك أحسن جهاز غير ابن خالتك !

نكست رأسها و لم ترد فاقتربت منها والدتها و حاوطتها بذراعيها و قالت بحنان : يا دينا أنا ميهمنيش غير مصلحتك يا حبيبتى ، سنين و أنا سايباكى تعملى الى أنتى عاوزاه على أمل في يوم تعقلى ، عريس و اتنين و عشرة و رفضتيهم عشانه و سكت ، تقوليلى مش مناسبين و مستواهم أقل منى و معهمش شهادة زيى و قلت

حقك ، و كنت بتمنى مستواه يتعدل و خطوبتكم تنتهى و تتجوزوا ، لكن محصلش ، واقف مكانه محلك سر ، لكن إبن خالتك مقدرش أقوله لا ، راجل مهذب و محترم و أخلاقه زى الفل ، و فوق كل ده دكتور ، عاوزة إيه تانى بقى

لم تقوى على الإعتراض ، خاصة و أن أمها لم تخطئ بحرف مما قالته ، بل هى معها كامل الحق فيما قالت ، خمس سنوات من عمرها مروا دون تغيير ، جميع أيامها سواء شقاء و تعب و الجرى وراء المال ، المال الذى لا يأتى أبدا ، فقط القليل ، و القليل هذا لا يكفى لشراء ما سردته أمها منذ دقائق ، لامت نفسها بشدة عندما تطرقت إلى عقد مقارنة بين عمر حبيبها ذو الدخل المحدود و ابن خالتها الثرى ، اختنقت عينيها بالدموع ، و عندما وجدت أمها تنظر إليها بترقب و قد لاحت نظرة أمل فى عينيها ، انفجرت بالبكاء و قد شعرت بأن قواها خارت بفعل الضغط الذى تحيا به ، الضغط عليها من كل ناحية ، من ناحية فإنها تتمنى الزواج ممن يعشق قلبها ، و من ناحية العقل و المنطق فمصطفى ابن خالتها هو العريس المناسب من جميع النواحى ... شعرت والدتها بالحيرة التى تمزقها فضمتها لصدرها و ربتت على ظهرها بحنان و قالت : صدقينى يا دينا أنا عاوزة مصلحتك يا بنتى ، عمر مش هو الزوج المناسب ، صدقينى يا بنتى الفقر قادر يحول الحب الى بينكم ده لعذاب بعد الجواز ، لكن العيشة المرتاحة مع مصطفى هتقرب كل المسافات الى بينكم و تحولها لحب مع العشرة الطيبة ، اسمعى كلامى يا دينا و متفكريش

****

" التحريات أثبتت إن نادر مكنش موجود فى مصر أصلا يومها " هكذا كانت إجابة« على »على سؤال زوجته التى كانت تسأله عما أخبره به وكيل النيابة حين ذهب له ، أصابتها خيبة الأمل عندما أخبرها بذلك صمتت قليلا ثم قالت بعد تفكير : طب و تفريغ كاميرات المراقبة مبينش أى حاجة ؟

قال لها بغموض و هو يضغط على كل حرف يتفوه به : لا مبينش حاجة ، الكاميرات أصلا مش من جوه القصر نفسه ، دى بره على البوابات ، و حتى دى كمان مبينتش حاجة ، الى دخل الفيلا و عمل كده كان على دراية بكل ده و كمان عارف تقسيم الفيلا كويس و التعديلات الأخيرة الى اتعملت فيها

تعجبت كثيرا من نبرته الأخيرة و لكنها أغفلتها و استدرجت متسائلة : طب و بعدين ؟ .. الموضوع انتهى على كده خلاص !

قال لها بإبتسامة غامضة : لا متخافيش ، هما بيدوروا و قريب أوى إن شاء الله هيجيبوا الحيوان الى عمل كده و ساعتها هفعصه تحت جزمتى

هزت رأسها موافقة على كلامه ، فى حين نهض هو من مكانه متجها نحو الدرج ليصعد إلى غرفته ، نهضت من مكانها هى الآخرى و قالت بنبرة تملؤها الشجن : على .. أنت رايح فين !

لم يرد على سؤالها و لم يعرها أى إلتفاتة و إنما واصل صعود الدرج ببرود و كأنه لم يسمعها ، فقطب جبينها غضبا من طريقته الجافة معها و شعرت بالإهانة ، و لكنها بعد دقائق صعدت خلفه ، و دلفت إلى غرفة نومهما بهدوء ، رأته يبدل ملابسه للنوم فقالت بصوت أشبه للبكاء : أنت خلاص هتنام ؟

رد ببرود و هو يخلع قميصه و قال : أنتى شايفة إيه !

اقتربت منه ووقفت خلفه ووضعت أطراف أصابعها على كتفه و قالت بتوسل : طب مش هتتعشى معايا ؟

ألقى القميص الذى كان بيده أرضا بعصبية و قال بجفاء : لا اتعشيت بره ، نكست رأسها فى حزن فى حين باغتها قائلا بفظاظة و هو يزيح أصابعها من على كتفه : فى أى أسئلة تانية و لا ممكن أنام ؟

نهرته ببكاء قائلة : يا على حرام عليك بقى طريقتك الجافة دى معايا ، بجد مش قادرة أستحملها ، ممكن أتقبلها من أى حد لكن أنت لا .. قالتها ثم اقتربت منه لتحرك وجهه ناحيتها بعد أن أشاح ببصره عنها ، فقالت بتوسل و هى تحيط وجهه بكفيها : يا على علشان خاطرى اسمعنى ، صدقنى إن ....

بتر كلامها قائلا بلهجة تحذيرية و عينين متسعتين للغاية : أنا قلت قبل كده ، الكلام فى الموضوع ده مرفوض ، و أظن كلامى واضح ؟ ... أنا دلوقتى عاوز أنام عشان عندى شغل الصبح

هزت رأسها بالإيجاب و قالت بإستسلام : تصبح على خير ! ... قالتها و أولته ظهرها و أوشكت على الخروج من الغرفة حين أوقفها بنبرة صوته الخشنة قائلا : رايحة على فين يا هانم ؟

التفتت إليه و قالت و هى تمسح دموعها بكبرياء : نازلة أقعد فى الهول تحت ، و مش هنام هنا

اقترب منها بخطوات متباطئة ، و ازدادت ضربات قلبها بشدة ، ثم وقف قبالتها قائلا بغضب و جبين مقطب للغاية كعادته القديمة : و متناميش هنا ليه إن شاء الله !

كتفت ذراعيها أمام صدرها الذى ظهر أسفل غلالتها الناعمة بإغواء و قالت بلوم : أنا خدت عهد على نفسى قبل كده إنى مقربش من السرير ده و لا أحط راسى على مخدته إلا و أنت جمبى

اقترب منها أكثر و قال بنبرة ماكرة و هو يتحسس وجهها بيده : طب ما أنا جمبك أهه

التمعت الدموع بمقلتيها و قالت و هى تنظر لعينيه بعمق : لا ... أنت بعيد عنى قوى

كان مظهرها أمامه مغوى للغاية ، شعرها المنسدل على كتفيها ، خصلاته المبعثرة بفعل حركة يده على وجهها ، دموعها التى تسيل على شفتيها المكتنزتين ، جسدها الذى تظهر مفاتنه بوضوح أسفل غلالتها الناعمة ، ابتلع ريقه بشغف و التمعت عينيه برغبة ، و انهارت مقاومته أمام جمالها و قال بهمس و هو يحملها على ذراعيه : بس ممكن أقرب !

******

كان يتململ فى جلسته و من حين لآخر ينظر بساعته ثم يزفر بحنق بالغ ، بعد دقائق ضغط على أسنانه بغيظ حين لمحها تدلف من الباب الزجاجي للكافيتريا بهدوء ، حيته بلطف ثم جلست قبالته تحت أنظاره المتفحصة ... استند بمرفقيه على الطاولة و شبك أصابعه ببعضها و قال بتهكم يحمل نبرة هجومية : ما بدرى يا دينا هانم

نظرت إليه بعينين حانقتين و قالت بإرهاق و هى تفرك جبينها بيدها : المواصلات كانت زى الزفت و بالعافية أخدت من المدرسة إذن ساعة عشان ألحق معادنا ..

شعر بضميره يؤنبه على فظاظته معها ، فالطالما كانت تنتظره كثيرا دون أن تتململ أو تشكو أو تؤنبه بتلك الطريقة الفظة ، فاستدرك قائلا بإعتذار : أنا آسف ، تفحصها بنظراته الثاقبة و قال بحنان و هو يراقب فركها لجبينها الذى لا يتوقف و الألم الذى يظهر بوضوح على قسمات وجهها : شكلك مصدع ، هجبلك أسبرين

أوقفته بيدها قائلة بتعب : لا ملوش لزوم ، أخدت فى المدرسة

اقترب منها يجلس على المقعد المجاور لها قائلا بقلق : شكلك مش نايمة كويس صح ؟

هزت رأسها إيجابا و قالت بشرود : بقالى أربعة أيام مش عارفة أنام خالص

قال لها و قد علت قسمات وجهه الدهشة البالغة : أربع أيام ! .. ليه كل ده ، حصل حاجة

ابتلعت ريقها بتوتر و قالت دون النظر لعينيه : لا محصلش حاجة .. بس أنا الى مش بنام من كتر التفكير

عادت إليه عصبيته الزائدة عن الحد فقال بغلظة :هو فى إيه ما تتكلمى ، هو لغز ! ، ما تنطقى أنا مبقتش فاهم حاجة

طريقته أثارت حفيظتها ، و قد شعرت أنه لا يبالى بها و لا بما تشعر ، شعرت بغضبها منه يتصاعد بداخلها كألسنة النيران تلفح رأسها بعنف ، هى تحاول و بكل الطرق أن لا تضغط عليه و لا تثقل همومه بهمها هى الآخرى و تمنع نفسها من الشكوى حتى لا تحمله فوق طاقته و لكنه رغم ذلك يضغط عليها بشدة و يلوم و يؤنب دون أى مراعاة لمشاعرها ... و رغما عنها انفجرت فى وجهه و قالت بغضب عارم : تفكير فى كل حاجة يا عمر ، تفكير فى الى احنا فيه ده و مش باينله آخر ، تعبت و زهقت بقى و مبقتش قادرة خلاص ، حاسة إنى خلاص بقيت عاملة

زى الناس العواجيز ، خلاص عجزت قبل أوانى ، حاسة إن طاقتى خلصت ، بقيت علطول تعبانة و مصدعة و مهدودة من الشغل الى طول اليوم ، حارمة نفسى من كل حاجة و منعاها تمد إيديها على قرش واحد من المرتب عشان نوفر كل مبلغ للشقة الى عمرنا ما هنوصل لتمنها

ذهل من اندفاعها فى وجهه كالعاصفة لأول مرة و بتلك الطريقة فقطب جبينه و قال بزعيق : و أنا يعنى بعمل إيه ، أنا يعنى الى قاعد أتفسح كل يوم و أصرف مرتبك على نفسى !

قاطعته قائلة بنبرة حادة للغاية : المشكلة إنك مبتعملش أى حاجة ، مستواك المادى هو هو مبيتغيرش ، زى ما عرفتك من خمس سنين ، و فوق كل ده و ده طريقتك معايا بقت لا تطاق ، و رغم كده بضغط على نفسى و بعدى لكن خلاص مش قادرة ، فوق كل تعبى ده ، مبتعملش حاجة غير إنك تزعقلى و تلومنى لو بس مرة إتأخرت عليك فى الرد على الموبايل ...

تابعت بمرارة قائلة و قد طفح بها الكيل و جرت دموعها الحارقة على وجنتيها : أنا خلاص حاسة إنى بتقطع مية حتة بينك و بين أمى ، و رغم كده بحاول مبينش و أسكت ، و أنت فى الآخر كل الى بيهمك أوامرك تتنفذ و بس ، مطلوب منى أسمعك كلام حب ٢٤ ساعة فى ال ٢٤ ساعة ، مطلوب منى أستحمل تأخيرك عليا و مفتحش بقى ، و لما أنا أتأخر عليك تعملى محضر .... ليه كده ! ده كده مش حب ، ده استعباد ، ده ربنا سبحانه و تعالى قال " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها "

كانت عينيه تتسع شيئا فشيئا و هو غير مصدق لما يسمعه منها فقال بذهول : أنا بستعبدك يا دينا !

قالت له بصراخ : أنت بتموتنى بالبطىء ، حبنا بقى بيستنفزنى ، أنا خلاص مبقتش قادرة ، و مش هتحمل الإهانة تانى ... مسحت دموعها بظهر يدها و قالت بيأس: أنا خلاص مش قادرة أستمر كده ... حملت حقيبتها و نهضت من مكانها و قالت بعتاب و هى تنظر بعينيه الذاهلتين : فكر فى كلامى ، و لما تلاقى حل ، و تحس بالى أنا فيه و تفهمه كويس إبقى كلمنى ... أنا ماشية ! ... قالتها و اختفت من أمامه و كلماتها التى فاجأته مازالت ترن بأذنيه !

*****

نظرت بساعة يدها فوجدت الوقت قد تخطى الموعد الرسمى لإنتهاء العمل ، زفرت بتعب و حركت رقبتها يمنة و يسرة بعد أن تشنجت عضلاتها لإنكبابها على العمل

منذ الصباح ، لملمت أشياءها و التقطت حقيبتها ثم اتجهت نحو المرآة المعلقة على أحد حوائط حجرة مكتبها ، عدلت من هندامها و حددت شفتيها بأحمر شفاه ، ثم أخرجت قنينة العطر من حقيبتها و أطلقت منها زخات كثيرة على جسدها ، ألقت على نفسها نظرة رضا ثم خرجت من الحجرة ، اتجهت نحو مكتبه بخطوات واثقة ، و فى طريقها إلى الدخول إليه ألقت السلام على صفاء التى كانت تلملم أشياءها هى الآخرى لترحل ، دقت على باب مكتبه دقات منتظمة و عندما لم تسمع صوته يحثها على الدخول ، فتحت الباب و دلفت إلى المكتب بهدوء ، جالت الحجرة ببصرها و لم تجده ، زفرت بملل ثم جلست نصف جلسة على المكتب ، شعرت برجفة فى جسدها و لاحت على شفتيها إبتسامة ناعمة حين التقطت عيناها برواز أنيق صغير على سطح مكتبه يحوى صورتهما معا يوم الزفاف فالتقطته بأنامل مرتعشة تتحسسه بحنين ... بعد دقائق أفاقت من شرودها فى الصورة حين شعرت به يقف بجانبها ، فوضعت البرواز جانبا ثم ارتفعت ببصرها نحوه ، توردت وجنتاها خجلا عندما رأته عارى الصدر و قد كانت جميع أزرار قميصه مفتوحة ، و شعره المبتل الذى تسيل منه قطرات الماء لتسقط على وجهه و صدره الذى يلمع هو الآخر بقطرات الماء ، تنحنحت بحرج و قالت بتلعثم : معاد المرواح جه ، مش هنمشى !

دار حول المكتب و قال ببرود و هو يغلق أزرار قميصه المفتوح : ميعاد المرواح ده للموظفين ، إنما أنا هنا صاحب الشركة أمشى براحتى و زى ما أنا عاوز ، إن شاء الله حتى أبات هنا

قالها ثم اتخذ مكانه أمام مكتبه واضعا ساق فوق الآخرى بغرور ، فقالت بحنق : يعنى أنت ناوى تبات هنا ؟

دون أن يرفع نظره عن الأوراق أمامه ، رد عليها بنفس البرود قائلا : و الله ده مش شغلك

شعرت بالدماء تغلى فى عروقها من طريقته الباردة معها ، فنهضت من مكانها و اقتربت منه و أمسكت ذقنه بيدها لترفع وجهه و قالت بحدة و هى تنظر بعينيه : لما أكون بكلمك تبصلى ، أنا هنا مراتك ، مش شغالة عندك ، ساعات الشغل انتهت خلاص

قبض على ساعدها بقوة و قال و هو يضغط على أسنانه و عينيه تطلق شررا من الغضب : لولا إن إحنا فى المكتب أنا كان هيبقى ليا تصرف تانى

كتفت ذراعيها أمام صدرها ثم قالت بتحد و قد قطب حبينها غضبا : ليه ؟ .. كنت هتعمل إيه يا بشمهندس ؟

نهض من مكانه ووقف قبالتها و قال بوعيد : بلاش تستفزينى يا آسيا عشان مش هيحصل طيب

صرخت بوجهه قائلة بنفاذ صبر : هو أنا عملت إيه يعنى لكل ده ! .. كل ده عشان قولتلك نروح مع بعض ، خلاص يا على حقك عليا ، أنا هريحك منى خالص ، أنا من انهاردة هرجع بيت أبويا هو أولى بيا ، و بدل ما تستنى كام شهر طلق من دلوقتى أحسن

قالتها و أوشكت على الإختفاء من أمامه و لكنه جذبها من مرفقها و قال بهدوء : أولا أنا مبحبش حد يزعق فى وشى كده ، ثانيا أنا الى أحدد أولوياتى و أقول أطلق و لا لا ، دلوقتى و لا بعدين ، مفهوم ؟

ردت عليه بصوت أشبه البكاء : طبعا ما أصل أنا جارية عندك ، تتحكم فيها زى ما أنت عاوز ، يوم ترضى و عشرة لا ، كله بمزاج حضرتك يا بشمهندس

امتدت يده تتحسس وجهها برقة ، فأشاحت ببصرها عنه ، فقال بهمس و هو يقترب من شفتيها : بالضبط يا مدام ، كله بمزاجى

بعد دقائق دفعته عنها مستغلة حالة الإرتواء التى يمر بها ، وقفت أمام المرآة تعدل هندامها بعد أن أفسده و تغلق أزرار قميصها بعد أن عبث بهم ، و عندما أوشكت على الخروج من المكتب سمعته يوقفها قائلا بحزم : استنى يا هانم .. التفتت تنظر إليه بخجل و سعدت كثيرا عندما رأته يرتدى سترته و يأخذ ميدالية مفاتيحه ، ثم خرجا سويا من المكتب

*****

" أنا حامل يا ماما والله " قالتها رانيا لأمها و هى فى غاية السعادة بعد أن أجرت إختبار الحمل لنفسها منذ دقائق، فضمتها الأخيرة لصدرها و ربتت على ظهرها بحنان و تمتمت قائلة و دموعها تلتمع بمقلتيها فرحا : الحمد لله ، ياما أنت كريم يارب ، ربنا عوض صبرنا خير

أفلتت رانيا نفسها من حضن أمها و قالت بشجن و هى تحتضن وجهها بكفيها و تمسح دموعها : حضرتك بتعيطى يا ماما !

قالت أمها بإبتسامة : دى دموع الفرح يا حبيبتى ، ربنا يكملك حملك على خير ، و يرزقك ببنوتة حلوة كده زيك ، عشان تاخد بالها منك زى ما أنتى مراعيانى و بتاخدى بالك منى

رفعت بصرها لأعلى و قالت بشغف و هى تتحسس بطنها بيديها : يارب يا ماما يارب

استدرجت والدتها متسائلة : صحيح كلمتى جوزك تقوليله ؟

قالت بإبتسامة واسعة : طبعا لا يا ماما ، أنا هقوله إن شاء الله يوم ما يرجع من السفر ، يوم رجوعه هيبقى يوم عيد جوازنا

قالت والدتها بإعتراض : طب ما تتصلى بيه و تفرحيه دلوقتى أحسن

زمت شفتيها بحنق مصطنع و قالت : يا ماما أنا عاوزة أشوف تأثير الخبر ده عليه بعينيا .. شردت قليلا ثم قالت و هى تحتضن بطنها بكلتا ذراعيها : يوسف من ساعة الى حصل ، و هو شايلنى من على الأرض شيل ، بيعمل أى حاجة ترضينى ، بسمعه كل يوم الفجر و هو بيصلى و بيستغفر ربنا و يدعيله يرزقه بالذرية الصالحة ، نفسى قوى أفرحه و أقوله إن ربنا إستجاب دعوته .. و الحمد لله هانت كلها أسبوع و يرجع

ربتت والدتها على كتفها بحنان و ضمتها ثانية و قالت : ربنا يا بنتى يهدى سركم

****

"الهاتف الذى طلبته مغلق أو غير متاح ، من فضلك حاول الإتصال فى وقت لاحق " زفر بحنق لسماعه لتلك الجملة الرتيبة للمرة المائة تقريبا ، و ألقى الهاتف بقوة على الفراش ، كان يشعر بغليان الدم فى عروقه ، منذ آخر مرة رآها بها و هى لا ترد على إتصالاته ، لا ترى رسائله التى يمطرها بها ، لا تذهب إلى الكافيتريا التى يتقابلون فيها ، حتى المدرسة التى تعمل بها ذهب إليها و لم يجدها ، و أخبره زميلاتها بالعمل هناك أنها قدمت لمديرة المدرسة طلب إجازة ، و كاد يجن ، خمسة أيام مروا و هو لا يعرف عنها شئ ، بعد أن كان على إتصال دائم بها و يعرف عنها كل شئ حتى أتفه تفاصيل يومها كانت تقصها عليه فى الهاتف كل ليلة إن لم يتسنى لهم المقابلة ، استند بظهره على الفراش و ظل يتذكر آخر مقابلة جمعته بها ، لم تكن هى نفسها ، خطيبته المرحة ، شئ بها تغير ، بل ربما هى أشياء كثيرة تغيرت ، نظرة عينيها اختلفت ، نبرة صوتها تغيرت و أصبحت هجومية عالية ، و لا يدرى السبب ، لطالما كانت تصيبه نوبات غضب ، و لكنها كانت تتحمل ، كانت تستوعبه و كانت ذى صدر رحب ، لم تصرخ أبدا فى وجهه كما فعلت بالمرة الأخيرة ، بالتأكيد لم يكن صراخها بسبب طريقته العصبية معها ، بل هناك شئ ما فى نفسها و ترفض البوح به ، هى تعلم جيدا كم يحبها ، بل يعشقها ، هى حب حياته

الذى يعيش لأجله ، هى كل شئ بالنسبة له ، ضياعها منه يعنى ضياعه ، هو على إستعداد تام لأن يفعل لأجلها أى شئ ، بل هو فعل حقا و ما فعله كان لأجلها ، و لكنه لم يقبض الثمن بعد ، كور قبضته غضبا و لكمها بيده الآخرى بعنف ، و هو يفكر بما ينوى فعله ، دينا لن تضيع من يديه ، هى فقط تعانى من ضغط والدتها عليها و الذى بالتأكيد زاد فى تلك الأيام و هى حانقة عليها ليس إلا ... هى تحبه و تتحمل من أجله ، بالتأكيد هذا كل ما فى الأمر، هو لن يسمح بأن يكون هناك أمر آخر ، لذا سيلتمس لها العذر كما كانت دوما تفعل معه ، سيحارب لأجلها ، سيفعل كل ما بوسعه ليتزوجها ، اتسعت عيناه و قال بوعيد " أنا لسه ليا حق مأخدتوش يا دينا ، هجيبه و نتجوز علطول يا حبيبتى متخافيش " ....

*****

عندما تتشابك الخيوط و تتعقد ، حين ترتبط مصائرنا ببعضها ، و تتلاقى الطرق التى نسير عليها ، وقتها تنكشف الحقيقة رويدا رويدا ، يتضح لنا أن طرقنا التى نسير عليها بالحياة ما هى إلا طريق واحد تعددت أشكاله و تنوعت عقباته ، و لكن رغما عن أنوفنا فلقد سلكناه سويا ، معا على نفس الطريق كانت تخطو أقدامنا ، و دون أن ندرى ، لأننا لم نكن نستمع إلى وقع خطوات بعضنا على نفس الأرض ، حيث كان كلا منا منشغل بنفسه و بعقدة حياته و بغايته التى من أجلها سلك الطريق ، كانت أعيننا متلهفة لرؤية نهايته ، كانت مفتونة بضوء خافت ينير ببهاء ، و عندما وصلنا للنهاية لم نجد ذلك الضوء ، اتضح لنا أنه سراب ، فقط كان مجموعة من أشعة بيضاء خافتة لاحت فى رأس كل منا أثناء سيره و انعكست جميعها لتشكل لنا هالة رائعة فى نهاية الطريق ، هالة جعلتنا نلهث وراءها بجنون و بداخلنا الأمل الزائف مشرق كالشمس ، و لكن ما إن نصل ، فإننا لا نجده شيئا ، فقط نرى الوهم ، الوهم الذى عشنا بداخله و بنينا عليه أحلامنا و مصائرنا ، التى لا نجدها فى النهاية سوى مصير واحد و قد تلون بألوان عدة حتى يناسب طريقة سير كلا منا ....

****

"لطالما كتبت كلماتى بدموعى ، و لكن مهما كانت حرقة تلك الدموع السابقة فهى لا تقارن بما أشعر به اليوم ، دموع اليوم هى دموع دامية تسيل من قلبى و ليس من عيناى ، قلبى مفطور حزنا و لا أعرف هل سيطيب يوما أم أن القدر قد اختار له ذلك المصير ليحيا به أبدا لا ينتهى ،

أكتب الآن تلك الكلمات و أنا بجانب زوجى العزيز ، نحن فى سيارته على الطريق ، أنفذ الحكم الذى قدره هو لى ، أشعر بالخزى و العار يحيط بى و يكتنفنى بقسوة ، حروفى اليوم تعجز أن تصف إحساسى الذى أشعر به الآن ، أشعر بأنى أذوب و أتلاشى بقهرى ، لم يأت يوما بمخيلتى أن أعيش تلك اللحظات القاسية ، لحظات لا يمكن أن يتخيل شخص قسوتها غير الذى يعيشها ، و لا أتمنى لأحد أن يعيشها ..

أنا الآن مع زوجى العزيز نسلك طريقنا سويا ، متجهين نحو طبيبة متخصصة بأمراض النساء ، تلك الطبيبة التى ستؤكد لحبيب عمرى أنى مازالت عذراء .. هى التى اختارها لتحسم أمرى ... و تكشف سترى ... لم يصدقنى و لكنه سيفعل معها .. حبى و مشاعرى و قلبى و جسدى و كل شئ أهديته به ، و كل قسم أقسمته .. كل لحظة عشق قضيتها معه .. كل حرف تفوهت به و أنا أصرخ فى وجهه بحبه ... كل هذه الأشياء لا قيمة لها أمام بضعة حروف ستنطقها تلك الطبيبة الفذة بروتينية .. هى التى ستثبت له كما قرأ بالإنترنت أننى من النادرات !

نعم فزوجى رجل شرقى .. و الرجل الشرقى مهما اختلفت طريقة تفكيره ، مهما كان مستواه العلمى ، مهما كان محبا و عاشقا ، هو فى النهاية رجل شرقى .. يبقى أسير شئ واحد فقط .. لا يصدق سوى شئ واحد فقط .. و هذا الشئ هو الذى يحدد على أساسه طريقة حياته ، هو الشئ الذى يقيم به أخلاق حبيبته و شريكته .. قطرات دماء عقيمة هى التى تجعله ينتشى و يختال فرحا بنفسه ، تجعله يقبل على الحياة بشغف ، يقبل يدى حبيبته و قدميها معا فرحا بها و ثقة بطهرها و نقاءها ، ضاربا بأى شئ آخر عرض الحائط ..

أنا الآن أنفذ ما طلبه منى حبيب عمرى الذى توسلته أن يصدقنى و لا يلق بى إلى التهلكة ، أخذت يده ووضعتها على قلبى حتى يشعر بدقاته العنيفة .. لقد ضممته إلى صدرى و قربت أذنيه إلى قلبى علة يسمع اسمه تهتف به جميع دماء قلبى .. و لم يصدق !

حبيبى بكى يومها أمام عيناى ، توسل إلى و قبل يداى .. أخبرنى و هو يتمزق أنه يود أن يطمئن قلبه و يثلج صدره .. و نظرت إليه بذهول ، أبعد كل هذا الحب منى ، تنتظر من آخرى أن تثبت لك عذرية جسدى الذى لم يمسه سواك ، و قلبى الذى لم يملأه غيرك !

حسنا كما تريد .. لنفعل ما يرضيك و يرضى غرورك .. نعم .. لم أعترض .. سأذهب معه و أنفذ ما يريد .. فهذا خطأى منذ البداية ، سلمته جسدى باسم الحب

و اعتقدت أن هكذا سيؤكد له حبى ، و لم أكن أعلم حينها أن مثله مثل بقية الرجال ، و أن ذلك الذى فعلته سيكن هو سبب شقاءى معه ، و سبب عدم ثقته بى ..

ها نحن قد وصلنا أسفل عيادة الطبيبة .. أراه لا يقدر على النظر بعيناى .. يحدثنى و هو منكس الرأس ... رأسه التى يمنى نفسه أن يرفعها بعد خروجنا من عند الطبيبة .. نعم لقد وعدنى حبيبى بأن يجعل أيامى كلها فرح و سرور بعد كلمات الطبيبة ... فقط كلماتها هى الفيصل و ليس قلبى ...

و لكن اعذرنى يا حبيبى .. بعد أن تسمع أنت تلك الكلمات التى تريدها .. بعد أن ترضى غرورك و رجولتك .. سامحنى .. لا تطلب منى قلبى بعد ذلك .. سوف ألملم ما تبقى منه و أرحل .. نعم سأتركك .. رغم رغبتي بالبقاء سأرحل .. رغم علمى أنك تصدقنى بقلبك و لكنك تتبع عقلك الذى يأبى تصديق كلامى .. رغم تأكدى أنك تود أن تسمع بحكم براءتى .. نعم أعلم أنك تود تبرئتى .. و لكن احتفظ أنت بتلك البراءة .. هى لا تهمنى بشئ .. فأنا لا أحتاج دليلا لإثبات طهر نفسى ..

الآن سأغلق دفترى .. و سأترجل معك من السيارة يا على .. سأنزل أنا و أنت متجهمين ، كل منا بعيد عن الآخر بمسافة ليست بالقصيرة .. و بعدها بوقت لا أعلمه .. سأنزل متأبطة ذراعك و لكن مهلا ... لن أعود معك ... لأنى سأطلب منك تطليقى يا حبيبى !

******

وقف أمام بابها مترددا فى طرقه ، و بعد دقائق طويلة من التفكير حسم أمره و طرق الباب طرقات منتظمة .. بعد دقائق طويلة فتح الباب و أطلت والدتها من خلفه ، و عندما رأته ارتسم على وجهها أمارات الغضب و لكنها قالت بهدوء يناقض ما يعتمل بصدرها ، و هى تفسح له الطريق ليدلف إلى الشقة : أهلا يا عمر .. اتفضل

قال بحرج و دون أن يرفع عيناه على والدتها و هو يدلف إلى غرفة الصالون : أنا آسف يا طنط لو كنت أزعجتكم

جلست أمامه وعدلت حجابها على رأسها و قالت بنبرة حانقة دون أن تنظر له : البيت بيتك يابنى

فرك يديه ببعضهما من فرط توتره ، فوجه والدتها أمامه ينطق بالغضب العارم و إن حاولت إخفاءه بكلمات الترحيب الجوفاء .. استدرج متسائلا بإبتسامة صغيرة شاحبة للغاية : أمال دينا فين يا طنط .. أنا بقالى ٦ أيام بحاول أكلمها ومابتردش ..

و سألت عليها فى المدرسة و السنتر و قالولى زمايلها هناك إنها واخدة إجازة .. هو فى حاجة يا طنط ! ... دينا كويسة ؟

لوت شفتيها جانبا إمتعاضا .. فكرر سؤاله بقلق و عينين اتسعتا للغاية : فى إيه يا طنط .. أنا كده قلقت جدا !

تنهدت تنهيدة طويلة ثم شبكت أصابعها ببعضها و قالت بجدية : شوف يا بنى .. دينا الحمد لله كويسة و كل حاجة ... هى بس ..

ترددت فى نطق ما أرادت البوح به .. فكانت دقائق صمت و لكنها مرت عليه كالدهر و هو ينظر إليها بترقب و قلبه يخفق بجنون و هو يخشى أن يسمع مالا يطيق .. و أخيرا حسمت أمرها و قالت له بجدية : بصراحة يا عمر يا بنى .. دينا هتتخطب لإبن خالتها .. و كل شئ قسمة و نصيب !

و نزلت عليه كلماتها كالصاعقة .. ظل ينظر لها بذهول و لم ينطق ببنت شفة .. و مر أمام عينيه جميع ذكرياتهم ، مقابلته الأولى لها ، إعجابه بها ، مطاردتها ، أول كلمة حب تفوهت بها و كانت له ، نظراتها الخجلى ، ضحكاتها المرحة ، خطبتهم ، مقابلاتهم سويا فى كافيتريا شارع طلعت حرب ، همساتهم ، عناقهم ، لمسات أيديهم المختلسة خفية ، و حتى مشاجراتهم سويا ، مشاكساته ، تعمده مضايقتها حين يتغزل بجمال إحداهن ، صراخه بها فى الهاتف ، تحكمه فى كل شئ ، و أوامره المتعنتة أن تكلم هذا و لا تتحدث إلى ذاك .... أين ذهب كل هذا ؟ .. هذا هو حبهم .. حبهم الذى دام خمس سنوات .. ثم .. ثم ماذا ... ماذا حدث .. و أين أنا ... من هى دينا التى تتكلم عنها تلك العجوز الشمطاء .. بالتأكيد تقصد دينا آخرى .. بالتأكيد ليست هى .. ليست حبيبته .. دينا خطيبته تحبه بل تعشقه .. دينا لن تفرط فى حبه .. من أجل ذلك الثرى الذى تقدم لخطبتها .. نعم دينا فقط غاضبة منه و تريد أن تضايقه ..

أفاق من أفكاره التى تتلاطم بعقله كأمواج البحر الثائر ، عندما رآها تقف عند باب الغرفة منكسة الرأس بعد أن نادتها والدتها تلك الحرباءة و انسحبت هى .. تقدمت منه بخطوات متباطئة ثم وقفت أمامه كالطفل المذنب ... نهض من مكانه ووقف أمامها بطوله الفارع .. رفع وجهها المنكس بيديه و قال بشفاه مرتعشة و هو ينظر لعينيها اللتان اغرورقتا بالدموع : معقول ... أنتى ... دينا ... يا دينا .. أنتى ممكن تعملى كده .... و إزاى

لم تتحدث و إنما قدمت له علبة قطيفة حمراء ، نظر إليها بعدم إستيعاب ، و قطب جبينه للغاية و قال بعدم فهم و نبرة خافتة و كأنها سكون ما قبل العاصفة : إيه ده يا دينا ... مش فاهم حاجة ؟

أمسكت بكفه و فتحته ووضعت به العلبة و قالت بوجوم : شبكتك يا عمر ... تنهدت تنهيدة طويلة ثم قالت بصوت أشبه للبكاء : زى ما ماما قالتلك ... كل شئ نصيب

ابتسم ببلاهة و قال بهمس : يعنى إيه .. و ألقى العلبة من يده بلامبالاة و أردف قائلا : يعنى خلاص كده ... خلاص كل الى بينا انتهى ! ... ظل يتلفت حوله يمينا و يسارا و يقول بذهول : خلاص كده ! ... كل الى بينا خلص ... كل حاجة حلوة ماتت .. طب و الحب الى بينا ...

التقط يدها اليمنى ووضعها على قلبه عنوة و قال بعينين زائغتين : طب و قلبى الى أخدتيه ... هعمل إيه بيه بعد كده ... أديه لمين غيرك ... طب هحب مين بعدك ..

و أخفضت بصرها تبكى .. فرفع رأسها بيديه و قال بنبرة مزقت قلبها و قد اغرورقت مقلتيه بالدموع : بتعيطى يا دينا ! ... معقول بتعرفى تعيطى ! ... إيه صعبان عليكى قوى كده !

و هنا تدخلت والدتها و قالت بحدة و هى تجذب دينا من أمامه : كفاية يا عمر ! ... من فضلك ملوش لزوم كل ده .. خد شبكتك و اتكل على الله .. شوفلك واحدة تانية تحبك و سيب بنتى فى حالها

و اقترب منها و قال بضعف و هو يشير نحو والدتها التى زفرت بملل : موافقة على كلامها ده يا دينا ! .. موافقة أخد شبكتى و أشوف واحدة تانية

و نكست رأسها تبكى فصرخ بها بقوة هادرة و دموعه تخرج من مقلتيه و هو ينظر لها بعدم تصديق : ماتعيطيش ! ... كلمينى ! ... بقولك موافقة على كلامها ؟

و لم ترد و إنما ظلت تبكى فقبض على ساعديها بقوة و قال و هو يهزها بعنف و عينيه تطلق شررا : يعنى إيه ... ردى ... انطقى ... يعنى إيه !!!!!!

و رفعت بصرها إليه و قالت بصراخ و قلبها يتمزق و دموعها تنهمر كالشلال : أيوة يا عمر موافقة ... موافقة أتجوز غيرك ... موافقة أشيل قلبى أرميه فى الشارع و أعيش مع حد تانى مش أنت ... موافقة أتجوز حد مش بحبه ... عارف ليه يا عمر ! ... عشان أعيش عيشة مرتاحة ... عشان أنا خلاص تعبت ... كل يوم أسأل نفسى هيحصل و لا مش هيحصل ... هنتجوز و لا لا ... هيقدر و لا مش هيقدر

و ضربت رأسها بيدها بعنف و قالت بنفس الصراخ : نزناز كان بينشر فى نافوخى ... و مبيقفش .. تعبت .. تعبت من كتر التفكير و الشغل و الفقر .. الفقر الى هيكرهنا فى بعض و يكره ولادنا فينا .. هتجوز ابن خالتى الدكتور الغنى و

هسيبك يا عمر ... هتجوزه عشان أعيش في التجمع الخامس ... عشان أركب عربية أحدث موديل .. عشان أنام كل يوم و بطنى مليانة ... هتجوزه عشان أملى دراعاتى بالدهب و الألماظ

و بكت بحرقة و هى تصرخ به بقسوة و تضرب صدرها بيدها : هتجوزه يا عمر و أنا بحبك أنت ... هديله جسمى لكن قلبى هيكون معاك أنت ... هخلف منه أولاد كتير عشان يشغلونى عنك و أنساك ... هولدهم فى أكبر مستشفى بالبلد ... مش مستشفى حكومية مفيهاش أى معاملة آدمية

و انحنت تلتقط العلبة التى ألقاها أرضا منذ دقائق و مدت يدها له بها و قالت بصراخ و نبرة شرسة للغاية : إطلع بره يا عمر و متورينيش وشك تانى ... خلاص كل شئ انتهى .. روح ارمى الشبكة البسيطة دى فى أقرب صندوق زبالة و امشى ... روح دور على واحدة غنية و اتجوزها ... روح بيع نفسك زى ما أنا هعمل ... روح يا عمر واقف ليه ... بس افتكر حاجة واحدة بس إن الحب ده مش للفقرا الى زينا ... لا الحب ده تمنه غالى أوى ... ميقدرش على دفع تمنه غير الناس الى فوق .. و إحنا مش منهم ... و دفعته بيدها نحو باب الشقة و شهقاتها تتعالى و أنفاسها تختنق و قالت بأنفاس متهدجة : بس قبل ما تمشى عاوزاك تعرف حاجة واحدة إن قلبى ده اتقفل عليك و عمره ما هيتفتح لغيرك أبدا

مشى بخطوات مرتعشة و خرج من الشقة و هو ينظر أسفل قدميه بذهول و عينين زائغتين مفتوحتين عن آخرهما ... و صفعت الباب خلفه بقوة ثم انهارت خلف الباب تصرخ و تولول و تبكى و تدق رأسها بقسوة بالباب من خلفها ، و الذى كان يقف أمامه و يلمسه بأيد مرتعشة و أسند رأسه عليه وترك العنان لدموعه الحارقة تجرى على وجنتيه

******

دلفوا إلى السيارة و أغلق كلا منهم الباب بجانبه ... كانوا واجمين و كلمات الطبيبة مازالت ترن بأذانهم ... استند هو بمرفقه على حافة النافذة و أسند قبضته إلى ذقنه و كان جبينه مقطب بشدة وقسمات وجهه يعلوها الغضب ، فى حين كانت هى تنظر إلى الطريق الخالى أمامها فى صمت و دموعها تسيل على وجنتيها ..

بعد دقائق قالت بصوت أشبه للهمس : طلقنى !

التفت إليها و قال بحدة : نعم ! .. أنتى بتقولى إيه ؟ ... ده بدل ما تفسريلى الكلام الى الدكتورة قالته فوق ده ... أنا خلاص هتجنن

ردت بخفوت دون أن تنظر إليه و بداخلها شعور عظيم بالقهر : مانا بقولك أهه طلقنى ! ... ريح نفسك من وجع القلب ده وريحنى

قبض على ساعدها بقوة و قال بغضب عارم : هو الطلاق ده لعبة كده ! .. مفروض أول ما تقوليلى أطلق أخدك على أقرب مأذون و خلاص ... هو ده الحل فى نظرك !

حررت ساعدها منه بقوة و صرخت بوجهه بنفاذ صبر : حرام عليك بقى كفاية، عاوزنى أعملك إيه يا أخى ، حلفتلك مية يمين إنه محصلش ، قولتلك مية مرة إنى متنيلتش و عملت كده ، محدش شاف جسمى و لا لمسه غيرك أنت ... ثم بكت بحرقة و قالت : حس بيا يا أخى .. أنا حاسة إن جوايا نار .. هتجنن و مش عارفة ده حصل إزاى .. عايزنى أموتلك نفسى عشان تستريح ! .. قولتلك طلقنى .. طلقنى يا على !

و صرخ بوجهها هو الآخر و قال : مقدرش ! ... بحبك و مقدرش أطلقك .. ثم قال لها و قد هدأت نبرته و اغرورقت عيناه بالدموع : يا آسيا أنا بحبك .. بس حطى نفسك مكانى .. واحد بيحب واحدة و هى بتموت فيه و بيموت فيها .. قالتله إنه أول حب فى حياتها و إن محدش لمسها قبله و أول مرة يقرب منها يكتشف إنها مش بنت ! .. أعمل إيه .. هتجنن خلاص !

عندما انتهى من كلماته أشاحت بوجهها و قالت بوجوم و هى تنظر أمامها : أنا خلاص تعبت أنا كمان و مبقتش قادرة ... و مبقتش فاهمة ايه الى بيحصلى .. من يوم ما اتجوزنا معشناش يومين حلوين على بعض .. ثم قالت بخوف و قد اتسعت عيناها و نزلت منها الدموع الحارقة : كأن ربنا سبحانه وتعالى بيعاقبنا على تجاوزاتنا مع بعض قبل الجواز ... مسحت دموعها التى تسللت لشفتيها و قالت بإبتسامة حزينة : عارف يا على .. فى دايما جملة كان جدى دايما بيقولهالى .. كنت دايما لما أستعجل على أى حاجة .. أكل ، شرب ، مصروف أو فسحة أو أى حاجة .. كان يقولى يا آسيا يا بنتى " متستعجليش الدنيا على حاجة عشان دى غدارة و ممكن تقلب عليكى .. يا إما متدكيش الى أنتى عاوزاه .. يا إما تديهولك متأخر بعد ما تكونى زهدتيه ... يا إما تديهولك بس متفرحيش بيه "

تطلعت إلى وجهه و قالت " كان دايما يقولى .. من استعجل شئ قبل آوانه ... عوقب بحرمانه "

كان ينظر إليها بتعجب ، و قد ارتعش جسده لكلماتها التى توحى بندمها ، توحى بإيمانها ، توحى بنقاءها و شفافية نفسها ، حاول التحدث و لكنها قاطعته بإشارة من

يدها : أنا بحبك يا على ، و مكدبتش عليك لما قلتلك إنى معرفتش وش الدنيا الحلو إلا لما قابلتك .. حقيقى عشت معاك لحظات كتير حلوة .. بس القدر مش كاتبلنا السعادة ... و نزلت دمعة حارة على وجنتها و شهقت و هى تقول : و شكل حياتنا كده خلصت خلاص ، حتى لو كانت لسه مابتدتش ...

و نزلت دموعه و قال بشجن : يا آسيا ممكن ...

قاطعته قائلة بإبتسامة حزينة : صدقنى مش هتضبط ... حياتنا مع بعض بقت مستحيلة .. فى حاجات كتير بينا اتكسرت و صعب الحب يداويها لوحده ..

قال لها بعتاب : يعنى عاوزة تسيبينى يا آسيا ؟

نكست رأسها و قالت بحزن و دموعها تسيل على وجنتيها : صدقنى يا على .. إنى أسيبك .. ده كأنى بسيب روحى بالضبط .. بس مش هينفع نكمل مع بعض ... لازم ندى لنفسنا وقت .. لازم نخلى الأيام هى الى تداوى الجرح .. ثم رفعت رأسها و قالت و هى تنظر بعينيه : زى ما قولتلك حبنا لوحده مش كفاية

قال بهمس و هو يضم وجهها بيديه : بحبك يا آسيا

احتضنت خده الأيمن و قالت ببكاء مزق قلبه : و أنا عمرى ما حبيت قبلك و لا هحب بعدك ... احتضنت كفه بيدين مرتعشتين ثم تطلعت إلى وجهه و قالت و قد حسمت أمرهما : طلقنى يا على عشان يفضل الحب ما بينا لآخر العمر

و بكى هو الآخر و أشاحت بوجهها حتى لا تتردد و تعدل عن طلبها ، ضم قبضته بقوة و لكم مقود السيارة بها عدة لكمات متتالية .. بينما مسحت هى دموعها و ظلت تنظر أمامها بثبات ... و بعد دقائق هدأت ثورته ثم قال و هو ينظر أمامه بوجوم : يعنى ده قرارك النهائى يا آسيا

و نظر إليها من خلال مرآة السيارة و كان يمنى نفسه أن تعدل عن قرارها ، و لكنه أغمض عيناه بألم حين رآها تهز رأسها إيجابا .. فضغط شفتيه بقوة حتى يوقف دموعه .. ثم التفت لها بجسده كله ، و أدارها هى الآخرى ناحيته ... نظر إليها بحزن ، و بهدوء تحسس وجهها فأغمضت عينيها حتى تنعم بلمساته الحانية للمرة الأخيرة ... بينما بكى هو دون صوت .. و برقة قرب وجهها منه و ارتعش جسدها .. اقترب بشفتيه من جبهتها و قبلها قبلة طويلة ، بث خلالها كل مشاعره المتناقضة التى تعتمل بصدره و أحستها هى و بكت ... بعد وقت طويل .. أبعد وجهها عن شفتيه و قال بقلب ذبيح و عينين باكيتين و هو يحيط وجهها بكفيه حتى كاد يعتصره : أنتى طالق يا آسيا !

النـهايـة

كانت مستلقية على الفراش بغرفتها ببيت والدها تنظر للسقف بشرود ، يطوف بخيالها جميع اللحظات التى جمعتهم سويا ، تسترجع بذاكرتها كل كلمة تفوهوا بها ، كل همسة همسوا بها ، كل لمسة حانية ارتعش لها جسدها ، كل قبلة تعانقت فيها الأرواح قبل الشفاه ، كل شئ مروا به قبل الزواج ، كانت تطمح أن يصبح بعد الزواج أضعافا مضاعفة ، كانت تظن أن حياتها ستجرى على ضفاف نهر من عسل صاف و لكنها وجدت نفسها تنهل من مر العلقم ...

شعرت أنها ستنجرف مع بحر الذكريات التى لن تعود و ستبكى بحرقة ، و لكن لا فائدة من ذلك ، هى تعلم أن قصتهما قد انتهت ، و لن يلتقيا مرة آخرى ، على كان حلم جميل بالنسبة لها و لم يكتمل ، هى لن تبكيه ، لن تبكى فراقه ، لأنها لم تفارقه سوى بالجسد ، على مازال يسكن بقلبها ، بروحها ، يتخلل كل خلية بجسدها و قد نقش حروف عشقه عليها ، هى مازالت تحمل روحه بداخلها ، و لهذا لن تبكيه !

نهضت تجلس على الفراش ، و لملمت خصلات شعرها المشعث من أثر النوم و عقصته جيدا خلف رأسها ، أزالت الغطاء عن نفسها و نهضت تغلق الروب الحريرى على جسدها جيدا ، مشت بخطوات متثاقلة و خرجت من غرفتها ، جالت المنزل ببصرها ، فوجدت المنزل يلفه الصمت ، اقتربت من غرفة والديها و طرقت الباب بتردد ، ثم فتحته بهدوء فوجدت الغرفة غارقة بالظلام الدامس ، و لمحت والدتها نائمة بهدوء و قسمات وجهها يعلوها الحزن ، دلفت إلى الغرفة على أطراف أصابعها ، اقتربت منها و قبلتها بجبهتها و مسحت على شعرها برقة و قد شعرت بالشفقة عليها و تأنيب الضمير ناحيتها ، همست لها بخفوت قائلة : سامحينى يا أمى ... دايما أنا سبب قلقك !

..و خرجت من الغرفة و أغلقت خلفها الباب فى هدوء ، أوشكت على الولوج إلى الشرفة ، و لكنها توقفت حين رأت ضوء خافت ينبعث من غرفة مكتب والدها ، فتعجبت ، اقتربت من الغرفة و طرقت الباب بوجل ، و فتحته عندما سمعته يأذن لها بالدخول

قالت له بأدب : بابا ... حضرتك ليه صاحى لحد دلوقتى ... الساعة بقت ١٠ و حضرتك لسه منمتش .. و أنت متعود تنام بدرى ؟

رفع بصره عن الكتاب و نظر إليها من خلف نظارته الطبية و قال بإقتضاب : عندى شغل

شعرت بالحرج و أوشكت أن تعود أدراجها حين عاود النظر بالكتاب مرة آخرى ، و لكنها توقفت حين سمعته يقول : لو تحبى تقعدى معايا معنديش مانع

ابتسمت بحزن و التفتت تنظر إليه و قالت : طبعا أحب يا بابا ... و أغلقت الباب و جلست أمامه ، أغلق الكتاب الذى كان ينظر به بهدوء و خلع نظارته الطبية .. كتف ذراعيه ببعضهما و استند بهما على المكتب أمامه و قال و هو يرمقها بنظراته المتفحصة : أعتقد طالما خرجتى من أوضتك و جيتى تقعدى معايا ... يبقى جاهزة تتكلمى و تحكى !

كانت جالسة أمامه منكسة الرأس تضم أصابعها ببعضها و تعبث بهم ، و بداخلها صراع ،لا تعلم أتتحدث و تحكى و تخيب ظنه بها و تخبره أنها إنفصلت عن زوجها الذى تعشقه بعد شهرين فقط من الزواج لأنها اكتشفت فقدانها لعذريتها ، أم تخبره أنها كانت تسلمه جسدها باسم الحب ، و يعبث به كما يحلو له ففقد الثقة بها ، لا تعتقد أن والدها الملتزم سيسعد بهذا الكلام ، لن يسعد بالتأكيد إذا أخبرته أن خطيبها أخذها عارية بين ذراعيه عدة مرات قبل الزواج ، حتى و لو كانت توقفه عند حد معين

...و ظهرت تلك الحيرة و ذلك الصراع بداخلها على قسمات وجهها الذى كانت عضلاته تنقبض شيئا فشيئا ، و أمارات الحزن ترتسم عليه بدقة ، و كانت دموعها تسيل على خديها لاإراديا ، و ظل يراقبها فى صمت ، منتظرا أن تبدأ هى بالحديث و تفرغ ما بجعبتها

و بعد وقت ، رفعت رأسها و نظرت إليه بعينين ذابلتين من أثر الدموع و قالت بشفاه مرتعشة : تفتكر الحزن بيخلص يا بابا ؟

و تعجب بشدة من سؤالها و قد كان يظن أنها ستقص عليه ما يؤرقها و توضح له سبب مجيئها البارحة فى منتصف الليل بوجه شاحب و متجهم جعل والدتها تشعر بالهلع عليها ، فرك ما بين حاجبيه بتعب و التقط نظارته يرتديها مرة آخرى و قال و هو ينظر إليها : أى حاجة فى الدنيا بتخلص يا آسيا ، كل الى أنتى شايفاه حواليكى ده هيخلص ، حتى إحنا نفسنا هنخلص و نموت ، يبقى إشمعنى الحزن يعنى !

...الحزن يا آسيا ده مجرد شعور بنحس بيه ، زيه زى أى شعور تانى ، زيه زى الفرح ، زى الحب ، بس هو يفرق عنهم بإنه شعور سلبى ، و إحنا مبنتحملش الحاجة السلبية ، لأنها بتأذينا من جوه و بتخلينا فى حالة مش مستقرة ، و الإنسان بطبيعته بيميل للإستقرار ...

.. دايما الحزن بنحس إنه بياخد وقت كبير ، عارفة إزاى ؟ ..... لو فرحتى لمدة يومين مثلا ، و حزنتى بعدهم برضه لمدة يومين ، هتحسى برضه إن الحزن خد وقت أكبر ، رغم إنهم أخدوا نفس المدة ، لكن هى طبيعتنا كده ، الحزن بيستنزفنا

من جوه و إحنا بنركز معاه بكل حواسنا و بنسمحله يتسرب جوانا بأريحية فيتمكن مننا أكتر ، بصراحة كده إحنا الى بندى الحزن أكتر من حقه !

****

"خلصتى لبسك يا رانيا ؟" .. كان ذلك سؤال فريدة لإبنتها التى كانت جالسة أمام المرآة تضع آخر لمساتها التجميلية ، نهضت من مجلسها و توجهت إلى الفراش تلتقط حجاب رأسها من عليه و ردت على أمها و قالت : خلاص قربت أهه يا ماما ، هلف الطرحة بس

قالت لها والدتها بحنق : طب يلا خلصى بسرعة .. متاخديش فى لف الطرحة ساعتين .. الساعة بقت ١١و أنتى لسه هتروحى بيتك و ده مشوار ... ثم أردفت قائلة بلوم و بداخلها يكتنفها القلق : أنا مش عارفة أنتى مروحتيش بيتك من بدرى ليه تستنى جوزك هناك ؟

كانت قد انتهت من لف حجابها ووقفت تنظر لنفسها بالمرآة و قالت بتأفف: يا ماما كنت هروح من بدرى أعمل إيه و جوزى لسه مجاش من السفر ، هو قايلى إن الطيارة هتوصل الساعة ١٠ ، و لسه عقبال ما يجى من المطار .. كنت هقعد أعمل إيه أنا بقى لوحدى هناك و أنتى كمان تقعدى لوحدك هنا !

التقطت أمها حقيبتها و أعطتها لها و قالت بنزق : طب يلا خدى شنطتك و اتكلى على الله عشان متتأخريش .. و سوقى بالراحة عشان الى فى بطنك ، و طمنينى عليكى أول ما توصلى

أخذت الحقيبة من أمها و قالت بسعادة و هى تودعها أمام باب الشقة : إدعيلى يا ماما ... يلا سلام يا حبيبتى .. هبقى أكلمك

ودعتها والدتها بقبلة على خدها ثم أغلقت خلفها الباب بهدوء ، جرت بسرعة إلى الشرفة لتتابعها و هى تستقل سيارتها ، و لوحت لها بإبتسامة شاحبة ، و أرسلت لها رانية قبلة فى الهواء ، و بعد أن اختفت بسيارتها عن أنظار والدتها .. وضعت الأخيرة يدها على صدرها و قد شعرت بغصة فى حلقها و تمتمت قائلة بقلق : ربنا يجيب العواقب سليمة ... قلبى مقبوض قوى و مش مطمنة ... ربنا يستر ! ..

******

توقفت سيارة الأجرة التى كان يستقلها أمام تلك البناية الفخمة فى حى " جاردن سيتى " ، نقد السائق المال ثم وقف ينظر إلى البناية بحقد و غل دفين ، و امتدت

يده تتمم على شئ ما بجيب بنطاله الخلفى ، ثم نظر إلى أحد الطوابق بعينين تطلق شررا .. كور قبضته بغل دفين حتى كادت الدماء تنبثق من عروق يديه المنتفخة .. ثم دلف إلى البناية بخطوات يظهر فيها الهدوء و لكن فى باطنها كانت أشبه للركض

*****

كان يشعر بإختناق أنفاسه فى تلك الليلة التى غاب فيها القمر عن سمائه التى كانت ملبدة بالغيوم ، وجوده بتلك الغرفة و على ذلك الفراش وحيدا أصبح لعنة ، عاش بها وحيدا لسنوات و لم يشعر يوما بذلك الإختناق ، فقط تركته البارحة فقط و لكنه يشعر كأنها الأبد فى فراقها ...

نهض من الفراش و جلس قليلا ينظر أرضا بجبين مقطب و قلبه يخفق بعنف ... رغم أنها عاشت معه بتلك لأيام قليلة للغاية ، و لكنها تركت بصمتها بها ، على جسده ، على فراشه ، و الأصعب من ذلك سكنت بقلبه ، قلبه الذى يأبى الهدوء ، و يشعر أنه يكاد يقفز من صدره

وضع يده على صدره و هو يشعر بالإختناق أكثر ، كل شئ بالغرفة يذكره بها ، و يحمل لمستها ، رائحتها المثيرة مازالت تلف الغرفة ... حتى الفراش الذى يجلس عليه الآن شهد لحظات حبهما القليلة جدا ، و لا يستطيع الجلوس عليه، نهض بسرعة و خلع التشيرت الذى يرتديه و ألقاه أرضا بعصبية .. فتح نوافذ غرفته كلها طالبا بعض الهواء عله يثلج صدره ، استند بذراعه على أحد النوافذ التى توقف أمامها و ظل يفرك جبينه بقوة ، يشعر بغليان الدم فى عروقه ، يلوم نفسه بشدة أنه نفذ لها ما طلبت ، نعت نفسه بالغبى لأنه طاوعها فيما تفكر به ... كيف يطلقها ، كيف استطاع أن يخرجها من حياته بتلك القسوة ... هو لم يجد نفسه التى غابت عنه منذ زمن إلا معها .. لم يشعر بكيانه إلا و هو بجانبها .. اكتشف أنه لم ير جمالا قط إلا عندما وقع بصره عليها فى أول مرة .. على لم يكن هو إلا عندما عرف آسيا .. لقد أصبح يدمنها كالمخدر .. عندما كان غاضبا عليها ، كان يدعى اجتنابه لها و عدم رغبته بها و لكن حينما كان يطمئن لنومها و يشعر بانتظام أنفاسها كان يقترب منها ، يضمها إلى صدره بلهفة ، و يلصق نفسه بصدرها ، يمسح على شعرها بحنان ، و يمطر وجهها بقبلاته المجنونة ، و أحيانا كان جنونه يوقظها فكانت تضمه لصدرها أكثر و تنجرف معه فى عاطفته المجنونة

... كان يرى صورتها على صفحة مياه المسبح أمامه .. كانت تنظر له بلوم و عتاب يذبحانه حيا ... و فرك شعره بيده بقوة و بكى ... هو يعشقها .. و لا يعلم كيف ستستقيم حياته بدونها .. كيف سيحيا و هى ليست بجواره .. لقد خسرها ..

حتى العمل معه بالتأكيد ستتركه و تختفى .. سيخسرها للأبد ... بل هو خسرها بالفعل .. ليتها تصفح و تعود ... و لكن إن عادت سيظل هناك بينهما شئ ينغص حياتهما ، هذا الشئ الذى جعله يطلقها و لم يستطع أن يصفح ... بل هو لا يعلم .. و هى أخبرته أيضا أنها لا تعلم كيف حدث هذا .. ستبقى بينهما عدم الثقة لتهدم أى جدار سيحاولان بناءه ..

أفاق من خضم أفكاره على صوت رنين هاتفه .. فالتفت ينظر إليه بلهفة و قد ظنها هى فجرى نحوه .. تحولت الإبتسامة الحزينة على شفتيه لتقطيبة جبين حين لم يجدها هى ووجد رقم مجهول يتصل به .. لم يرد و ظل ينظر إليه بقلق ... أوشك على إغلاق الهاتف و لكنه وجد إلحاحا من المتصل ، فضغط زر الإيجاب و رفع الهاتف على أذنه و قال بوجل : ألو !

*****

" أيوة أنا جاي أهه .. مالك يا الى على التلفون متسربع على إيه على الصبح " .. هكذا كان عادل يهتف بحنق و هو يخرج من غرفته متجها إلى غرفة المعيشة ليرد على الهاتف الذى يصدح رنينه عاليا فى المنزل و كان سببا لإيقاظه هو و زوجته من سباتهما العميق مبكرا جدا فالساعة لم تتجاوز السابعة حتى الآن ..

و أخيرا وصل إلى الهاتف ، اقترب منه و رفع السماعة على أذنه و قال بحنق : أيوة مين الى بيتكلم ... و رد على الطرف الآخر قائلا بملل : أيوة يا سيدي أنا عادل اللامى ... مين معايا ..

وزفر بملل و قال بنفاذ صبر : أيوة يا سيدى أنا أبوه

ووقعت عليه الكلمات من الطرف الآخر كالصاعقة ... ارتعش جانب فكه و اتسعت عينيه بذهول ، و سقطت السماعة من يده ... فى نفس الوقت خرجت زوجته من الغرفة و اقتربت منه و هى تنظر له بعينين نصف مفتوحتين من أثر النوم و قالت له و هى تقف بجانبه و تتثاءب : مالك يا راجل واقف كده ليه ... مين الى بيتكلم ؟

كان جسده يرتعش بقوة و دموعه تسيل على خديه دون توقف ، فاتسعت عينيها فزعا عليه و قالت بقلق : مالك يا عادل .. فى إيه ؟

دون أن ينظر لها ، أجابها بشفاه مرتعشة قائلا : يوسف اتقتل !

******

نيابة قصر النيل

كانت تخطو خطوات أشبه للركض داخل النيابة ، و من خلفها والدها و معه شخص آخر ... و عندما لمحته يقف أمام أحد الغرف جرت نحوه بلهفة ، ووقفت أمامه و قالت بعدم تصديق و عينيها تلمع بالدموع : معقول أنت يا على .. معقول الى سمعته ده ... أنت الى قتلت يوسف !

ظل ينظر بعينيها و بداخله شعور بالندم عظيم ، و بلا مقدمات مد يده الحرة و الغير مكبلة بقيد حديدى و ضمها إلى صدره بقوة .. فضمته أكثر و بكت ... نزلت دمعة حارقة من عينه اليمنى و قبل رأسها طويلا و قال هامسا بجوار أذنها : سامحينى يا عمرى

جذبه الشرطى المقيد معه تجاه غرفة وكيل النيابة قائلا بتهكم : يلا يا حبيبى .. مفيش مكان للغراميات هنا

ظلت أصابعهما متشابكة و أعينهم متعلقة ببعضها حتى اختفى عن ناظريها و قد شعرت بقلبها و كأنه انسلخ من جسدها فتشنجت عضلات وجهها و بكت بحرقة و قالت بصراخ حتى يسمعها و هو يدلف إلى حجرة وكيل النيابة : ما تخافش يا على .. هخرجك من هنا يا حبيبى .. ماتخافش أنا قومتلك أحسن محامى

نظر إليها نظرة إنكسار أخيرة قبل أن يغلق الشرطى الباب فى وجهها ، و انهارت تبكى على صدر والدها الذى ضمها بسرعة .. و من خلف ظهرها كان يقف المحامى الذى أحضروه فأشار له والدها ليلحق بعلى ، فدخل على الفور ..

*****

"ما قولك فى التهمة المنسوبة إليك بقتل المجنى عليه " يوسف عادل اللامى " .. كان ذلك سؤال وكيل النيابة لعلى الذى كان منكس الرأس ينظر أرضا بوجه متجهم .. سمع السؤال جيدا و لكنه لم يرد ، لم يحرك شفتيه و لم ينطق حتى ببنت شفة .. أعاد عليه وكيل النيابة السؤال مرة آخرى بعصبية و لم يرد أيضا .. كان شاردا فيما حدث ليلة البارحة .. يشعر بأنه لا جدوى من الإجابة على أية أسئلة .. لا جدوى من وجوده هنا .. لا جدوى من حياته بعد كل ما حدث و مر به .. لقد فقدها و انتهى الأمر .. رفع بصره إلى المحامى الذى كان يوشك على التحدث و الدفاع عنه .. قاطعه بحدة قائلا : من فضلك أنا مش عاوز حد يدافع عنى .. ثم التفت ببصره إلى وكيل النيابة و قال : حضرتك إعمل الإجراءات اللازمة من حبس أو غيره و إكتب الى أنت عاوزه

سأله وكيل النيابة بترقب قائلا: يعنى أنت بتعترف إنك قتلت المجنى عليه " يوسف عادل اللامى "

أشاح ببصره و قد عاد لتجهمه و قال بجبين مقطب للغاية : معرفش

نظر إليه وكيل النيابة نظرات متفحصة ثم التفت إلى الجالس بجانبه و الذى يدون كل شئ و قال بتحد و هو ينظر لعلى : إكتب يابنى قررنا نحن وكيل نيابة قصر النيل حبس المتهم " على خليل العوضي " خمسة عشر يوما على ذمة القضية .. على أن يراعى له التجديد فى الميعاد

و ظل على ثباته ، و همس بشفتيه قائلا و هو يكبل بالقيد من جديد : الى ربنا عاوزه هيكون ..

... كانت جالسة على الأريكة بغرفة المعيشة تنتحب و تبكى بشدة ، نظراته لها و هو يركب عربة المتهمين تمزق قلبها .. ما نقله لها المحامى أنه يرفض التحدث أو البوح بما حدث ، حتى أنه يرفض أن يدافع أحد عنه تنحرها .. طريقته توحى أنه مقدم على الإنتحار .. نعم هى تفهمه جيدا .. على فقد الرغبة بالحياة كلها ، على يريد أن يظل عمره الباقى بالسجن لأنه طلقها .. على يعاقب نفسه بجنون

نهضت من مكانها و كفكفت دموعها و قالت لنفسها بتحد : على بيحصله كل ده بسببى .. على لازم يخرج من الى هو فيه .. كورت قبضتها و ضربتها بكفها و قالت بقوة : محدش هيخرجه من الى هو فيه غيرى

... توجهت بسرعة نحو مكتب والدها ، فتحته دون أن تطرق عليه و قالت لوالدها الذى كان مستند بمرفقيه على المكتب و منكس الرأس : بابا ... إحنا هنسيب على كده .. مش هنعمل حاجة ؟

رفع بصره إليها و قال : حاولى تهدى شوية يا بنتى .. أنا قومتله أكبر محامى و هو رفض حد يدافع عنه ...

قالت له بتعجب و هى تشيح بيدها فى وجهه لأول مرة فى حياتها : يعنى خلاص كده ! ...على كده راح و منسألش فيه

خلع نظارته ووضعها جانبا و قال بنفاذ صبر : يا آسيا قولتلك اهدى .. أنا مقلتش هنسيبه و لا حاجة .. بس أنا دلوقتى متلغبط و مش فاهم حاجة ... مش فاهم أصلا إيه الى حصل بالضبط .. معرفش مين البرئ و مين المتهم ..

صرخت بوجهه و قالت بثقة : لا .. على برئ .. على لا يمكن يعمل حاجة زى كده ..

رد عليها بعصبية و قال : يا بنتى إفهمى .. أنا موقفى محرج .. راعى إن الى اتقتل ده يبقى إبن أخويا الوحيد و جوزك متهم بقتله

و انهارت على المقعد أمامه و بكت بحرقة و قالت : صدقنى يا بابا .. على مش ممكن يعملها .. أكيد فى حاجة غلط صدقنى ..

و نهض من مكانه و دار حول مكتبه ثم جذبها لتقف أمامه و مسح دموعها بيديه و قال بحنان : متخافيش يا حبيبتى .. مش هنسيبه .. لو برئ ربنا مش هيسيبه يتسجن ظلم

و قالت من وسط دموعها التى لا تتوقف : خايفة عليه قوى يا بابا

ضغط على ذراعها و قال مطمئنا : ماتخافيش يا آسيا ... مفيش حاجة وحشة بتحصل للإنسان إلا و ربنا يديه القوة عشان يتحملها ... اهدى بس و بطلى عياط و خلينا نفكر هنعمل إيه

****

كان يجول ببصره رواق المشفى ، ثم توقف يسأل أحد الممرضات و قال بحيرة : من فضلك لو سمحتى .. غرفة مدام سعاد فين ؟

أشارت له نحو نهاية الرواق و قالت : آخر الطرقة يمين .... سألها قبل أن ترحل بقلق و قال : من فضلك هى عندها إيه ؟

أجابته بروتينية قائلة : صدمة عصبية دخلتها فى غيبوبة

هز رأسه و شكر إياها ، ثم اتجه نحو غرفتها بخطوات مترددة و بداخله خوف كبير من مواجهة أخيه ..طرق الباب طرقات منتظمة .. ثم فتح الباب و دلف إلى الغرفة بهدوء .. رأى أخيه جالسا على مقعد بجانب فراش زوجته شاحبة الوجه الغارقة فى غيبوبتها و التى لا يعلم أحد متى ستفيق ..

وقف بجانب أخيه و امتدت يده تربت على كتفه و قال بأسف : البقاء لله يا عادل

كان أخيه شاردا فى أفكاره فلم يسمعه .. كان يبكى و ينظر لزوجته بعينين زائغتين و عندما يهدأ من البكاء يهذى بكلام غير مفهوم لا يتبين منه عزت شئ ... حاول أن

يحدثه و يتفهم منه ما حدث و لكنه فشل .. فأخيه يعيش الآن بعالم آخر و بالتأكيد لا يضم غيره هو و زوجته و ابنه المفقود

.... " يعنى مافهمتش منه أى حاجة يا بابا " هكذا سألت آسيا والدها فور رجوعه إلى المنزل .. جلس على المقعد بغرفة المعيشة بتعب و قال و هو يزيل رابطة عنقه ليحررها : مبصش ناحيتى خالص يا بنتى ... تايه فى ملكوت تانى .. مش دريان بالدنيا

عضت على أناملها و قالت بقلق : طب و بعدين يا بابا ؟ ..هنفضل كده مش فاهمين حاجة ؟

قال لها والدها مطمئنا : لا .. المحامى كلمنى و أنا جاى على هنا و قالى إنه هيعرف كل حاجة انهاردة إن شاء الله و يبلغنا

.. و لم يكد ينتهى من كلماته حتى رن هاتفه ، فالتقطه بسرعة و رد قائلا : خير يا أستاذ بدر .. فى أخبار جديدة ؟

ظلت تنظر لوالدها بترقب و بداخلها القلق يتزايد و هى تسمع تمتمات والدها مع المحامى ... بعد وقت طويل أغلق الهاتف فقالت له بلهفة : ها يا بابا قالك إيه ؟

تنهد تنهيدة طويلة ثم قال بأسف : للأسف يا بنتى .. المحامى قالى إن القضية مش سهلة

قالت له بوجه شحب للغاية و قد هربت منه الدماء : ليه يا بابا .. هو قالك إيه ؟

وضع هاتفه جانبا ثم قال : المحامى قالى إنه على إتمسك متلبس .. البوليس راح الشقة لقى ابن عمك مقتول و على موجود جنبه و ماسك فيه

قالت له بذهول : و هو على أصلا كان شاف يوسف قبل كده ! ...ده محضرش لا خطوبة و لا فرح .. يبقى هيعرف شكله و عنوان بيته منين

سألها والدها قائلا : قوليلى يا آسيا .. أنتى حكيتى لعلى قبل الجواز عن يوسف أو إن كان فى بينكم أى علاقة ؟

أجابته دون تفكير قائلة : أيوة يا بابا .. أنا قلتله إنى كنت بحب واحد زمان لكن سبنا بعض و كل واحد راح لحاله و خلاص ... لكن مقولتلوش انه يبقى ابن عمى .. يعنى محبتش يبقى فيه أى نوع من الحساسية لو اتجمعنا فى أى ظرف .. لأن مهما كان احنا قرايب و أكيد فى ظروف هتقربنا ..

مط والدها شفتيه و حكها بإصبعه يفكر ... بينما شردت هى الآخرى تحاول أن تخمن سبب ذهاب على ليوسف ... ما الذى جمعهما .. ربما اتصل به يوسف و أخبره بأشياء واهية عن علاقة غير مشروعة بينهما .. فهى لن تنسى كلماته القاسية لها بمدخل البناية .. نظرته الحادة لها و نبرته الهجومية كانت توحى لها أنه على إستعداد تام لأن يفعل أى شئ لكى يفسد زواجها ... بل ربما يكون هو من تسبب فى حادثة على يوم زفافهم ... ربما يكون هو من فعلها و عندما علم زوجها ذهب إليه و تشاجرا بعنف فقتله على دون قصد ... اتسعت عينيها فزعا عندما وصلت لتلك النقطة من التفكير ثم أفاقت والدها من شروده و هى تقول بلهفة : بابا ! المحامى مقالكش حاجة تانية ! ..

قال لها والدها و هو يشبك أصابعه ببعضها و يمط شفتيه : قالى إن رانيا مرات يوسف كانت فى النيابة هناك من شوية و وجهت التهمة لعلى مباشرة .. لأنها هى الى اكتشفت الجريمة .. كانت بره و لما روحت البيت لقت جوزها مقتول و على جمبه و بيضربه

قالت له بجبين منعقد و كأنها تذكرت رانيا للتو : إيه ! .. رانيا !

هز رأسه إيجابا فتابعت قائلة بتساؤل : طب و على يا بابا ؟ مقالش حاجة ؟

قال لها : لا المحامى بيقول إنه لسه رافض الكلام ... أكيد ده هيضعف موقفه فى القضية .. لو كان برئ

قالت بشرود : أنا هخليه يتكلم ... هروحله بكرة إن شاء الله و أعرف منه ايه الى وداه هناك من الأصل و جاب العنوان منين

*****

" يا على لازم تتكلم معايا و مع المحامى عشان يقدر يساعدك " .. قالتها لعلى الذى كان ينظر لها مبتسما إبتسامة شاحبة .. كان يتطلع لوجهها بشوق شديد .. و كأنه لم يسمعها قال بهمس و هو يلمس وجنتها : وحشتينى يا آسيا

شعرت بالحنين للمسته و كادت تتلاشى تحتها و لكنها أبعدت يده عن وجهها بحزم و قالت و هو تنظر للمحامى الجالس بجانبها على الأريكة بغرفة وكيل النيابة : على .. لازم تتكلم عشان أستاذ بدر يعرف يخرجك من هنا

نكس رأسه و لم يرد .. فتوترت بشدة .. التفتت بجسدها إلى المحامى و قالت بحرج : معلش ممكن حضرتك تسبنى معاه شوية لوحدنا !

نهض المحامى و قال لها بجدية : مفيش مشكلة .. بس خدى بالك إن وكيل النيابة سمحلنا بنص ساعة بس .. و احنا هنا فى مكتبه

هزت رأسها بتفهم .. و تابعته حتى خرج من الغرفة .. اقتربت تجلس بجانبه و قالت بتوسل : يا على علشان خاطرى انطق .. قولنا ايه الى حصل .. إيه الى وداك هناك .. قولى أنا طيب .. قتلته يا على و لا لا ؟

خرج عن صمته و قال و هو يلتقط كفها بيده : هيفيد بإيه كلامى .. أنا حاسس إن خلاص مبقتش فى حاجة بتهمنى و لا فارقة معايا

قالت له بزعيق : أنت إزاى بقيت ضعيف كده .. مش ممكن تكون على الى أنا أعرفه .. مش ممكن تكون على الى حبيته .. يا على لازم تتكلم و تقول إيه الى حصل يومها .. إزاى وصلت بيته .. عرفت البيت منين .. قتلته فعلا و لا لا

انحنت أمامه تجلس أرضا على ركبتيها و كررت سؤالها قائلة بترقب : يا على علشان خاطرى اتكلم .. قتلته و لا لا ؟

ظل ينظر لعينيها بوجل ثم ضمها لصدره و قال بوجه متشنج و هو يضغط على جسدها بحضنه : لا ... كان نفسى ... بس للأسف وصلت متأخر ...

خرجت من حضنه و قالت و هى تمسك وجهه بكفيها : طب ليه ساكت يا على ؟ ... ليه ؟ .. أكيد حد غيرك عملها ... قول يا على عشان يعرفوا هو مين و يجيبوه ..

قال بنفاذ صبر و هو يمسك بذراعيها و ينظر بعينيها : مينفعش ... مينفعش اتكلم يا آسيا ... لمصلحتنا لازم أسكت

أوشكت على الصراخ بوجهه .. و لكنها لم تفعلها حين دلف وكيل النيابة و دار حول مكتبه و التزم مكانه و قال بجدية : ها يا على .. لسه برضه مش ناوى تتكلم

كانت جالسة مع المحامى بكافيتريا قريبة من النيابة ... كانا يتحدثان عنه و عن القضية التى تم النشر عنها بمعظم الجرائد ..

وضع النادل أمامهما كوبين من الشاى الساخن .. فالتقط المحامى خاصته و ارتشف منه و قال بجدية : الى ممكن يخلى موقفه فى القضية أحسن .. هو إن تقرير الطب الشرعى وضح إنه مات مقتول بطعنة فى القلب .. رغم وجود طعنتين فى البطن لكن مكانوش هما سبب الوفاة .. طعنة القلب هى الى كانت فى مقتل .. و رغم كده مفيش أداة للجريمة

اقتربت بجسدها من الطاولة و شبكت أصابعها ببعضها و قالت بتعجب : إزاى مفيش أداة فى مسرح الجريمة ؟

قال لها المحامى : ده الى حصل ..

قالت له : هو اعترفلى بنفسه و قالى إنه مقتلوش .. قالى بالحرف إنه وصل متأخر .. و ده معناه إن أكيد حد غيره هو الى عملها و لبسهاله

قال لها المحامى و قد اقترب بجسده من الطاولة هو الآخر : هايل .. ده كلام كويس جدا ..و ممكن يطلع براءة من أول جلسة بالكلام ده ... بس لازم يتكلم و يقولنا التفاصيل علشان نقدر نربط الخيوط ببعضها .. لازم يقولنا هو وصل هناك إزاى و إيه الى لقاه بالضبط لما راح

ضمت قبضتها و قالت بتحسر : مش راضى ... رافض إنه يتكلم بشكل نهائى ... مش عارفة أعمل إيه علشان أخليه يتكلم !

قالتها و شردت بخيالها تفكر فيما يمكن أن تقوله له حتى يتحدث ..

****

كان وكيل النيابة بمكتبه يباشر عمله حين دخل عليه ضابط المباحث و قال و هو يضع بعض الأشياء على المكتب أمامه : تمام يافندم ... دى الحاجات الى لاقينها فى بيت المجنى عليه

تطلع إليها وكيل النيابة يتفحصها و قال دون أن يرفع عينيه عنها : هى دى بس ؟ .. مفيش أى منقولات تانية لقيتوها فى مسرح الجريمة ؟

أجابه الضابط قائلا : لا يا فندم

ضيق وكيل النيابة عينيه و قال : و أداة الجريمة لسه ملقتوهاش ؟

رد عليه الضابط قائلا : ملهاش أى أثر فى الشقة يا فندم

أشار له وكيل النيابة بالخروج و زفر قائلا : طيب اتفضل أنت دلوقتى ..

و فى اليوم التالى جلس على أمامه بإرهاق .. فتفحصه وكيل النيابة بعينيه الثاقبتين .. ثم تنهد تنهيدة طويلة و قال و هو يضيق عينيه و هو ينظر للأشياء التى أحضرها له الضابط : ها يا على ... مش ناوى تقول قتلت المجنى عليه ليه ؟

ظل على ملتزما للصمت .. فضحك وكيل النيابة و قال : على فكرة سكوتك ده هيصعب القضية .. و برده هتتحبس .. و القضية هتتحول على المحكمة .. و ساعتها مش هتقدر تطلع منها ..

ابتلع على ريقه بتوتر و قد تزعزعت ثقته الواهية .. حبسه الأبدى أو إعدامه سيقطعان عليهما أى طريق للرجوع مرة آخرى .. سيفقدها للأبد و من أجل من ! ... شخص حقير لو كان بمقدورته لكان قتله ألف مرة حتى يشفى غليله و لكن ...

قطعت أفكاره حين قال له وكيل النيابة و هو يلوح أمامه بشئ ما يلمع بشدة لفت نظره : بتاعتك دى يا على ؟

ضيق على ما بين عينيه و لم يتعرف على الشئ الذي بيده ، فقربه له وكيل النيابة و قال بغموض و هو يناوله إياها : خدها و إمسكها بإيدك و شوفها كويس !

أخذها منه ثم ظل يتفحصها بعينين اتسعت حدقتهما دهشة ، و عقد ما بين حاجبيه و قال بإستغراب شديد : لقيتوها فين ؟

رد عليه وكيل النيابة بهدوء حتى يثير أعصابه : بتاعتك مش كده ! ... لقيناها واقعة جمب المجنى عليه

صرخ على بعصبية و قد فقد أعصابه تماما : ميدالية المفاتيح دى مش بتاعتى .. دى بتاعة ...

التمعت عينى وكيل النيابة و قال بترقب : ها ... بتاعة مين يا على ؟ ..

قال له على بحيرة : الميدالية دى بتاعة عمر صاحبى ... بس إيه الى خلاها موجودة هناك ؟

رد عليه متسائلا و هو يلتقط دفتر ما و الذى كان جلبه إليه ضابط المباحث و قال : و ده تعرف عنه حاجة ؟

التقطه على و قلبه بين يديه و قال و هو يقلب فى أوراقه : لا مش عارف .. تقريبا ده دفتر مذكرات ... و عندما وقعت عينه على إسمها اتسعت عينيه و قال بغضب عارم : الدفتر ده بتاع مين ..

رد عليه قائلا بهجوم شرس: الدفتر ده كان على مكتب المجنى عليه .. و ده الى أنت قريته قبل ما تقتله يا مجرم

أثارت نبرة وكيل النيابة إستفزازه فخرج عن صمته و قال مدافعا عن نفسه بنبرة عالية : أنا مقتلتوش ... كنت عاوز لكن ملحقتش ... أنا رحت لقيته ميت .. لو كان بإيدى كنت قتلته ألف مرة عشان أشفى غليلى منه

نظر إليه وكيل النيابة بحماس و قد شعر بقرب ظهور الحقيقة ، فأشار إلى الكاتب بجانبه خلسة و الذى كان يتابع الموقف بعينيه دون أن يدون شئ طبقا لأوامر وكيل النيابة الذى كان ينتظر خروج على عن صمته بفارغ الصبر ، اقترب بجسده منه و قال بحماس شديد : هايل يا على .. و أنا مصدقك .. بس قولى أنت رحت هناك ليه ؟ .. و إيه الى حصل يومها ؟

ابتلع ريقه بتوتر و قال بإستسلام و هو ينظر أمامه بشرود و قد هدأت ثورته : هقولك على كل حاجة !

****

"اسمك و سنك و عنوانك " هكذا سأل وكيل النيابة عمر الجالس أمامه بتوتر و قلق يظهران جليا على وجهه و يتبينان من هز ساقه بعصبية و أنامله التى تطرق على سطح المكتب بتوتر

أجابه قائلا بتوتر: عمر حسين القاضى .. سنى ٣٠ سنة .. عنوانى .....

_ إيه علاقتك بالمجنى عليه " يوسف عادل اللامى "

ضغط شفتيه بقوة ثم قال بعد صمته لدقائق : كنت شغال محاسب فى الشركة بتاعته

_ كانت علاقتك بيه عاملة إزاى ؟

ابتلع ريقه و قال بتلعثم و هو يفرك ما بين حاجبيه : علاقة مدير بموظف عنده

_ رحت بيته قبل كده أو تعرف عنوانه حتى ؟

رد دون تفكير و قال : لا معرفش و عمرى ما رحت هناك

ابتسم وكيل النيابة بجانب فمه و قال بتهكم : متأكد يا أستاذ عمر ؟

فرك وجهه بيده و قال بثقة واهية : طبعا متأكد

بهدوء فتح وكيل النيابة درج مكتبه و أخرج منه ميدالية المفاتيح و ظل يحركها أمام عينيه ببطء أثار أعصابه ثم قال بتحد : و الميدالية دى مش بتاعتك !

شحب وجهه و هربت منه الدماء و انهار قناع ثقته الواهية و قال بشفاه مرتعشة : لقيتوها فين ؟

ضم وكيل النيابة قبضته على الميدالية و قال بإبتسامة مستفزة : دى لقيناها جمب المجنى عليه يوم ما اتقتل ...

هز رأسه نفيا و قال بضعف : لا أنا مقتلتوش ... أنا سيبته و كان صاحى .. والله ما قتلته

رجع وكيل النيابة إلى الخلف مستندا على ظهر المقعد .. عقد حاجبيه و قال و قد شعر بالرجوع إلى نقطة الصفر مرة آخرى فى تلك القضية الغامضة : طب ليه أنكرت إنك روحت هناك يومها ؟

نكس رأسه و قال : خفت ... خفت تلزقولى التهمة

ضرب وكيل النيابة سطح المكتب بقبضته و قال بقوة : ولا ... إحنا مبنلزقش تهم لحد ... أنت الى عاوز تلزق التهمة لصاحبك ... أنت الى قتلت المدير بتاعك و سبته و مشيت يا جبان و اتصلت بعلى عشان يروح و يلبسها و كمان خبيت أداة الجريمة عشان عليها بصماتك

انهمرت دموعه و قال بوجل : لا ... أنا مقتلتوش .. والله لما سيبته كان صاحى .. أنا ضربته أه لكن هو زق إيدى فجت فى بطنه .. أنا كان نفسى أموته عشان أخد منه حقى و حق صاحبى ... كنت عاوز أنتقم منه عشان الى عمله فيا .. نظر جانبا و قال بلوعة و هو يضع يده على قلبه : عشان خطيبتى الى سابتنى بسببه

ضيق وكيل النيابة عينيه و قال : ليه ضاعت منك ؟ ... هو خطفها منك ولا غواها بالفلوس ؟

التفت له و قال بشراسة : مكنش يقدر ... كنت ساعتها قتلته بجد و شربت من دمه .. دينا أشرف من مية كلب زيه

_ أمال ضاعت منك إزاى بسببه ؟

مسح دموعه و قال و هو ينظر أرضا : يوسف طلبنى مرة فى مكتبه و سألنى عن أحوالى المادية و العاطفية ....

فلاش باك

" اقعد يا عمر واقف كده ليه ؟ .. اقعد عاوز أتكلم معاك شوية ؟ ... و لا وراك معاد ؟

جلس عمر أمام يوسف بحرج و قال : الحقيقة يا فندم .. خطيبتى مستنيانى عشان نتقابل عشان ورانا مواعيد

نهض يوسف من مكانه يغلق زر سترته و دار حول المكتب ببطء ثم جلس أمام عمر واضعا ساق فوق ساق و قال و هو يفتح له علبة نحاسية فخمة تحوى قطع من الشيكولاتة : اتفضل يا عمر متتكسفش .. قولى صحيح مواعيد إيه الى وراكم دى ؟

التقط عمر قطعة شيكولا و قال بأدب و هو ينظر ليوسف بإستغراب : يعنى يا فندم .. بنلف مع السماسرة و بنشوف شقق عشان يعنى جوازنا و كده

قال له يوسف بلوم : بقى ده معقول يا راجل ! ... شغال فى شركة مودرن هاوس .. أكبر شركة فى مصر بتشطب أفخم الشقق و الفيلات و القصور .. و رايح تدور على شقة برا ! .. بقى ده إسمه كلام !

قال له عمر مبتسما بعفوية : و أنا برده يا فندم أقدر على تمن أى حاجة من الى حضرتك قولتها دى ... ده إحنا يدوب معانا مبلغ صغير كده عشر الاف جنيه .. ميجبوش أوضة حتى فى شقة من الى بتشطبها الشركة

قال له يوسف مطمئنا و هو يربت على فخذه : ده مبلغ زى الفل يا عمر ... متستقلش بيه .. أنا لما جيت أتجوز مكنش معايا غير نصه ... قالها و مال بجسده للأمام و تابع قائل بخفوت : شوف يا عمر أنت زى أخويا الصغير و أنا مش هخبى عليك ... أنا لما جيت أتجوز مكنش معايا غير ٥ آلاف جنيه بس ، لكن بصراحة أبويا وقف جمبى ... و كمان حمايا ساعدنى كتير... عشان كان بيشترى راجل ..الجواز و فتح البيت يا عمر مش سهلين ... و الشاب مننا بيبقى محتاج الى يساعده .. و أنا عشان بحبك و مبسوط من شغلك هساعدك .. عشان تتجوز بقى كده و تروق نفسك ... ما أنت برده لما تتروق هتروقنى و تظبطلى الشغل و الكل هيستفيد

كان عمر ينظر إليه بعدم تصديق و أوشك على الحديث و لكن يوسف قال له و هو يحق ذقنه بتفكير : شوف ... أنا هضبطلك شقة فى الشيخ زايد ... أنت عارف إننا كنا واخدين مقاولة كبيرة هناك ... و العمارات هناك خلاص بقيلها شوية صغيرة و تبقى جاهزة لدخول المرافق و الفرش و السكن

تهللت أسارير عمر و ابتلع ريقه و قال و هو ينظر إليه بسعادة : معقول يا فندم أنا هسكن فى الشيخ زايد .. بس أنا عارف يعنى إن أصحاب العمارات دول بايعنها كلها

نهض يوسف من مكانه و قال بلامبالاة و هو يدور حول مكتبه : لا لا لا لا ... الكلام ده مش صحيح ... أصحاب العمارة دول كلهم أصحابى .. و أنا ليا تأثير عليهم و حبيبهم و هضبطلك الموضوع ده

وقف وراء مكتبه و قال بصوت أشبه للفحيح و هو ينحنى بجسده على المكتب و يستند بيديه على سطحه : أنا هقولهم إنى عاوز شقة ليا فى عمارة من العمارات ... و مقابل كده هتنازل عن جزء من تمن التشطيب الى بيدفعوه ... و أنت يا بطل هتدفعلى الفلوس الى معاك كمقدم .. و الباقى هتدفعه على أقساط صغيرة تتخصم من مرتبك .. و أنا مش هستعجل عليك

نهض من مكانه و قال بذهول : معقول يا فندم الى حضرتك بتقوله ده ؟

نظر له يوسف بحنق و قال : هو أنا يعنى هزر معاك ... أنا لما بقول كلمة مبرجعش فيها

حاول عمر الحديث و لكنه قاطعه قائلا بجدية : يلا .. يلا يا أستاذ روح قول لخطيبتك و فرحها .. و جهزوا فلوسكم عشان من بكره هتفقلك مع أصحاب العمارة

ظل عمر يدعو له و يتشكر أفضاله و يمطره بعبارات المدح و الثناء و عندما أوشك على الخروج أوقفه يوسف قائلا برجاء : عمر ... ياريت الموضوع ده يفضل سر بينا .. و محدش فى الشركة يعرفه خالص ... و لا تقول لأى حد غير خطيبتك ... مفهوم ؟

عاد عمر مرة آخرى للواقع و التفت ينظر لوكيل النيابة و تابع قائلا بوجه منقبض للغاية من أثر التذكر لتلك الأحداث الأليمة و قال : مكنتش أعرف ساعتها إنه يقصد بكلامه على بالتحديد

_ و بعدين إيه الى حصل ؟

ضيق عمر ما بين عينيه و أردف قائلا : جريت على دينا خطيبتى و قولتلها و كانت الفرحة مش سايعاها .. و رحت معاها لمامتها بالليل و حكتلها و كانوا طايرين من الفرح .. و فعلا أخدت المبلغ و ادتهوله و كان مرحب بيا على الآخر ... و بعد كده اتشغلت مع على فى التجهيز لفرحه و بيته و دينا كمان كانت اتعرفت على آسيا و

كانت بتتشغل معاها فى تجهيز و شرا مستلزماتها ... و مبقتش بسأل فى الموضوع ده لأن العمارة أصلا مكنتش لسه خلصت و كانت التشطيبات محتاجة شهر و كل حاجة تخلص ... و فرح على كمان كان باقيله شهر .. و قبل الفرح بيوم طلبنى فى مكتبه و رحت ...

فلاش باك

أشار له يوسف بالجلوس و قال له : اتفضل اقعد يا عمر .. عايزك فى حاجة

قال عمر بوجل : خير يا فندم

مال بجسده للأمام على مقعده و شبك أصابع يديه ببعضها و قال بخبث : الحقيقة يا عمر موضوع الشقة يعتبر خلص .. أنا اتفقتلك مع واحد من أصحاب العمارة و زى ما قولتلك فهمتهم إن الشقة دى ليا و الفلوس أمرها سهل ... لكن

كان عمر يتابع حديثه بحيرة بالغة و عندما توقف عن الكلام قال بإستغراب : لكن إيه يا فندم ... فى حاجة حصلت !

نهض من مكانه و دار حول مكتبه ثم جلس قبالة عمر الذى كان أصابه التوتر الشديد .. وضع ساقا فوق الآخرى بغرور و قال و هو ينظر لعمر نظرات ثاقبة لئيمة : أنت عارف طبعا إن دلوقتى مفيش حد بيساعد حد ببلاش .. و الى بياخد خدمة لازم يعمل قصادها خدمة ... كده و لا إيه ؟

أرجع عمر ظهره للخلف كما فعل حينها و قال بندم : و ده الى كان لازم أفكر فيه ساعتها من أول ما قالى على موضوع الشقة ده .. كان لازم أسأله زى ما دينا سألتنى يوم ما قولتلها .. كان لازم أقوله إيه المقابل الى عايزه منى قصاد ما هتدينى الشقة .. لكن سكت .. الفرحة وقتها كانت عميانى عن شره .. جريت وراه و مبصتش ورايا .. بصيت لقدام بس

نفث وكيل النيابة سيجارته و قال : كمل طلب منك إيه ساعتها ؟

تابع قائلا :فضل يسألنى عن على أسئلة كتير أوى .. أعرفه إزاى و من إمتى .. و سألنى عن آسيا عرفها إزاى و هيتجوزوا فين ..

عقد وكيل النيابة ما بين حاجبيه و قال بإستغراب : و أنت مسألتوش بيسأل الأسئلة دى كلها ليه ؟

رد عليه عمر قائلا بسرعة : طبعا سألته .. وقتها قالى إنه يبقى ابن عم آسيا و عاوز يطمن عليها .. قالى لازم أسأل عن الراجل الى أختى هتتجوزه و تعيش معاه .. بصراحة من جوايا كنت مستغرب لأن التوقيت كان غريب .. يعنى جاى يسأل عن على و خلاص كان فرحهم بكرة .. كانت حاجة غريبة جدا .. و لما قلتله كده توه الموضوع .. و طلب منى أقوله كل تفاصيل الفرح .. هيتعمل فين .. الزفة هتخلص إمتى .. الفرح بيخلص إمتى .. هيطلعوا من الفرح على المطار و يسافروا و لا هيروحوا بيتهم .. و كمان لقيته بيسألنى عن تفاصيل البيت المملة ..

فلاش باك

نهض عمر من مكانه و قال بغضب : لو سمحت يا يوسف بيه .. دى حاجات مينفعش أتكلم فيها .. حضرتك سألتنى عن معرفتى بعلى و أخلاقه .. و جاوبتك .. لكن أكتر من كده مينفعش أقول .. مينفعش أدخل بيت صاحبى و أجى أنقلك أسراره ..

_ و بعدين رد قالك إيه ؟

نهض يوسف من مكانه هو الآخر و قال : جرى إيه يعنى لكل ده .. هدى نفسك شوية يا عم الحمش .. قولتلك آسيا تبقى بنت عمى و زى أختى .. و عاوز أطمن عليها .. مالك فى إيه ؟

رد عليه عمر بغضب و قال : معتقدش تفاصيل البيت هتفرق مع حضرتك فى حاجة

نظر إليه بعينين تطلق شررا و قال بفحيح : ولا .. لما أسألك ترد و متقاوحش ..

قال له عمر بنبرة غاضبة : دى حاجة متخصنيش و مينفعش أتكلم فيها

أمسك يوسف بياقة قميصه و قال بوعيد : و أنا يلا لما ادخلتلك فى موضوع الشقة مش دى برضه كانت حاجة متخصنيش .. خليك حلو كده و اسمع الكلام و جاوبنى من غير لوع .. ونفذ الى هقولك عليه من غير نقاش .. و إلا بقى يا حبيبى تنسى موضوع الشقة و العربون الى دفعته و تروح بقى تشوفلك شغلانة تانية فى أى دهية و متورنيش وشك تانى

.... كور قبضته غضبا و قال لوكيل النيابة بقهر : كان أحقر بنى آدم شفته فى حياتى .. كان صايع ووسخ ، استغل نقطة ضعفى و مسكنى من إيدى الى بتوجعنى ، كان عارف كويس هو بيعمل إيه .. خلانى أديله الفلوس من غير ما أفكر ، و

أروح لدينا و مامتها و أقولهم قبل الهنا بسنة .. كان بيعشمنى عشان لما يطلب منه حاجة مقولش لا .. كان ندل و جبان

_ و إيه بقى الى طلبه منك تنفذه بدون نقاش ؟

"هتوصلهم لغاية بيتهم بعد الفرح بما إن جنابك صاحبه الوحيد .. و بعدها مش هتمشى .. هقابلك عند قصر اسم النبى حارصه على .. و هتستنانى برا .. تسهل دخولى للفيلا من مكان بعيد عن كاميرات المراقبة الى أنت أكيد عارف مكانها كويس .. و بعدها بقى أخش أنا الفيلا لوحدى "

سأله عمر بذعر قائلا : ليه ؟ .. هتدخل الفيلا ليه ؟

ضحك يوسف و قال و هو يفرك يديه ببعضها و عينيه تلمعان بشدة : محضرلهم كده مفاجأة صغيرة .. أصل آسيا و على دول حبايبى و لازم أعمل معاهم أحلى واجب بما إنى مش هحضر الفرح ..

و كانت صوت ضحكات يوسف الشريرة المجلجلة ترن بأذنيه فقال لوكيل النيابة بأسف : و مقدرتش أقول لا بعد تهديده ليا .. كان حقير و مستغل و سافل .. خلانى نفذت الى هو عاوزه .. سهلتله دخول الفيلا من مكان مفيهوش كاميرات مراقبة و كان من ورا الجنينة الخلفية .. و دخل بعد ما اترجيته ألف مرة إنه ميأذيهمش .. لكنه قالى بجبروت " متخافش ياد .. بقولك آسيا دى أختى .. معقول هأذيها .. ده واجب صغير كده لازم أعمله "

نظر إليه وكيل النيابة شزرا ثم قال بتهكم : اترجيته ميأذيهمش ! .. أمال تفتكر هو كان داخل لعرايس يوم فرحهم يهبب إيه ! .. يبخرهم من العين !

نظر إليه عمر بخزى و نكس رأسه و قال : مكنتش أعرف إنه حقير للدرجة دى ! ... لكن والله ما كنت أعرف إنه كان ناوى لعلى على أذية .. و إن بسببه هيرقد شهر فى المستشفى

أردف وكيل النيابة قائلا : كمل .. لما خرج مقالكش حاجة ؟

رد عليه قائلا و هو يضيق عينيه محاولا التذكر : خرج بعدها بساعة من الفيلا .. و كان بيضحك بهيستريا و فى نفس الوقت كان بيعيط .. و لما سألته مردش و ماتكلمش

_ و إيه بقى الى وداك بيته ليلتها و خلاك زى ما قولت تطعنه ببطنه ؟

فرك وجهه بيده و قال بإرهاق : بعد الى حصل بقى يلاوع معايا فى موضوع الشقة .. كل أما أدخله ينيم الموضوع و يقولى بعدين مش فاضى .. و لما كنت أصرخ فيه و أزعق معاه كان بيقولى إنى لو أخدت الشقة دلوقتي ده ممكن يخلى أى حد يشك و الموضوع يتعرف .. فكنت بسكت .. و بسببه بقيت عصبى و علطول حاسس بالخوف و مش طايق نفسى .. بقيت أزعق فى دينا علطول كل أما تسألنى عن الشقة .. و بقت علاقتنا متوترة جدا .. و حسيت إن مامتها خلاص طفح بيها الكيل منى و فقدت الثقة فى كلامى .. خفت تأثر عليها و تجوزها أى عريس من الى بيتقدمولها حتى لو كان غصبا عنها .. خاصة إن موضوع الشقة ده كان آخر فرصة هى ادتهانى .. لأنى أنا و دينا مخطوبين من خمس سنين .. و لما بعدت عنى و حسيت إنها هتضيع منى روحتله تانى يوم و طحت فيه جامد .. هددته إنى هقول لعلى و آسيا على الى عمله .. قولتله يا يخلص موضوع الشقة الى وعدنى بيه .. يا هفضحه .. و كان صوتى جايب لآخر الشركة فخاف .. و قالى إنه مسافر أسبوعين شغل و لما هيجى هيخلص موضوعى .. و فى خلال سفره ده دينا اتخطبت .. و نويتله على الشر .. لما دينا ضاعت منى حسيت إنى ضعت و إن حياتى مبقاش ليها معنى .. استنيت يوم وصوله و رحت استنيته تحت البيت .. و لما لقيته جه .. طلعت وراه و اتخانقت معاه و طلعت المطوة من جيبى و ضربته بكل الغل الى جوايا ناحيته .. كان نفسى تيجى فى قلبه .. لكن للأسف جت فى بطنه .. و لما وقع على المكتب قدامى .. كنت خلاص هدب السكينة فى قلبه لكن خفت و بعدت عنه لما سمعت صوت باب الشقة بيتفتح .. جريت و استخبيت فى الحمام و بعدها سمعته بيكلم واحدة إسمها رانيا تقريبا مراته و كان بيترجاها تطلب البوليس .. و بعدها سمعته بيقولها تلحقنى قبل ما أهرب .. لكنها متحركتش من مكانها و قالتله لا .. فجأة لقيت نفسى بغسل إيدى فى الحمام من أثر دمه النجس و نشفتها و خبيت المطوة فى جيبى و معرفش جاتنى الجرأة إزاى وقتها و لقتنى بفتح باب الحمام و أخرج .. لقتها واقفة قدامه و بتبصله و بتعيط .. و قبل ما أخرج من الشقة و أهرب لقتها بتقولى " استنى .. أنا ممكن أبلغ عنك البوليس و أحبسك .. لكن هسيبك تمشى بشرط واحد " .. سألتها عن الشرط قالتلى " تخرج من هنا و متجبش سيرة بأى حاجة من الى حصلت .. و تدينى رقم صاحبك " جوز آسيا " .. دمعت عيناه و نكس رأسه قائلا بخزى : و مكانتش فيا دماغ أفكر .. كنت عاوز أنقذ نفسى و خلاص ..

سالت دموعه على خديه و ارتكز بمرفقه على المكتب و غطى رأسه بيده و قال بندم شديد : طلعت ندل كالعادة .. و ادتها الرقم و هربت .. سامحنى يا على !

*****

طرقت باب مكتب المحامى طرقات منتظمة ، ثم دلفت إلى حجرته بهدوء مغلقة الباب خلفها .. أشار لها بالجلوس قائلا بترحاب : أهلا يا مدام آسيا .. اتفضلى .. خمس دقايق و أكون مع حضرتك

هزت رأسها بتفهم و ظلت تنظر أرضا ، دلفت سكرتيرته و طلبت منه توقيع بعض الأوراق .. كانت تتابعهم بعينيها و هى تهز ساقيها بتوتر ، بعد دقائق خرجت السكرتيرة من المكتب ، و خلع هو نظارته الطبية و قال بجدية : أنا طلبت حضرتك دلوقتى لأن حصل تطورات فى القضية حضرتك لازم تعرفيها .. التطورات دى جت فى مصلحة جوز حضرتك و هتكون سبب فى خروجه براءة إن شاء الله .. لو حضرتك ساعدتينى و نفذتى الى أنا هقولك عليه

هزت رأسها إيجابا و قالت بإنتباه : أنا مستعدة أعمل أى حاجة بس على يخرج من السجن

شبك أصابعه ببعضها و استند بساعده على سطح مكتبه و قال : هايل يا مدام آسيا .. شوفى يا ستى أنا هقولك على التطورات بإيجاز بما يفيد القضية بتاعتنا ... دلوقتي فى موظف كان شغال عند ابن عمك هو الى طعنه ببطنه لكن الطعنات دى مش هى سبب الوفاة .. تقرير الطب الشرعي أثبت إن سبب الوفاة كان طعنة فى القلب .. و بين طعنات البطن و طعنة القلب كان فى مدة يعنى حوالى نص ساعة .. و تحريات المباحث أثبتت إن جوزك وصل لمسرح الجريمة تقريبا بعد الوفاة بساعتين .. معنى كده إن كان فى وقت كافى قبل وصول على لمسرح الجريمة دخل فيه شخص تالت خالص و نفذ جريمته

عقدت ما بين حاجبيها و قالت : و هو مين ده بقى ؟

رد عليها ببساطة قائلا : مراته

اتسعت حدقتا عينيها دهشة و قالت بذهول : رانيا ! ... إزاى رانيا هى الى قتلت يوسف .. لا لا .. مستحيل .. دى كانت روحها فيه .. معقول هى تموته !

رجع بظهره للخلف و قال بإبتسامة : لا يا مدام آسيا أرجوكى .. كلام حضرتك ده بيبرأها و كده على مش هيخرج

قالت له بحيرة و هى تضرب كفا بكف و قد لمعت عيناها بالدموع : أنا خلاص مبقتش فاهمة حاجة و لا عارفة حاجة .. مش فاهمة مين راح عند مين و لا مين الى قتل يوسف و على ليه مش راضى يتكلم .. خلاص حاسة إنى هتجنن

قال لها المحامى بجدية : من فضلك تهدى يا مدام آسيا .. الموظف الى بقولك عليه اعترف إن رانيا هى الى هربته و طلبت منه قبل ما يهرب يديها رقم على .. ده معناه إنها عملت معاه اتفاق من غير ما تتكلم .. يعنى هربته و تسترت عليه و طلبت منه خدمة و فى نفس الوقت يكون عندها وقت تموته و تتصل بعلى عشان يروح هناك و يلبس التهمة .. معايا يا مدام آسيا ؟

هزت رأسها إيجابا ثم قالت بوجوم و قد أنهكها ما سمعت و شعرت بالخدر يسرى بجسدها : معاك .. بس لسه مش فاهمة أنا المطلوب منى أعمل إيه ؟

اقترب بجسده من المكتب و قال : أنا هقولك .. مدام رانيا لما النيابة استدعتها وواجهتها بأقوال يوسف أنكرت .. و فضلت مصممة إن على هو الى قتل جوزها .. و أنكرت إنها شافت عمر فى شقتها يومها و قالت إنها عمرها ما شافته .. و عشان كده النيابة مقدرتش توجهلها إتهام .. و خرجتها .. لكن الحل فى إيد حضرتك أنتى يا مدام آسيا ؟

أشارت على نفسها و قالت بإستغراب : أنا ! ... طب و أنا هعمل إيه .. أنا الى هخليها تعترف !!! .. طبعا مستحيل .. دى رانيا دى تطيق العمى و لا تطقنى

نهض المحامى من مجلسه و دار حول المكتب ثم جلس قبالتها و قال : و هو ده المطلوب ... الضغينة الى بينك و بين رانيا ممكن تكون سبب إنها تهاجمك و تندفع و تقولك عن كل حاجة هى عملتها ... بس علشان تنتقم منك و تسجن جوزك ..

قالت له بحيرة : أنا مش فاهمة أى حاجة أنت بتقولها ؟

تنهد تنهيدة طويلة ثم فرك أنفه و قال : شوفى يا مدام آسيا .. حسب كلام حضرتك رانيا دى بتحب جوزها و بتعشقه .. مضبوط ؟

هزت رأسها إيجابا و قالت : أيوة .. أكتر مما تتصور

قال لها بإعجاب : حلو أوى .. و المباحث بقى لما دورت فى شقة المجنى عليه لقيت أجندة زى ما تقولى كده مذكرات المجنى عليه .. و كان كاتب فيها كل حاجة .. لكن الشئ المهم بالنسبة لنا هى كلامه عنك .. جوابات .. أشعار .. صور قديمة بتجمعكم .. كلام حب لحضرتك و كلام سلبى عن مراته . إنه يعنى مبيحبهاش و اتجوزها غصبا عنه .. ممكن يكون هو ده الى دفعها لقتله .. ممكن تكون قرأت الأجندة دى أثناء سفره و لحبها الشديد له ماستحملتش و قررت تنتقم منه و تموته و لما جاتلها الفرصة ماترددتش و نفذت الى هى عاوزاه

ابتسمت بسخرية و تمتمت قائلة لنفسها : بيحبنى ! ، ده محدش ظلمنى قده ! ... رفعت بصرها و قالت للمحامى بنزق : يعنى أنا برضه مش فاهمة .. المطلوب منى إيه ؟

قال لها المحامى بتلقائية : تسجليلها ..

قالت له بغضب : نعم !

حاول المحامى تهدئتها و قال : إسمعينى الأول يا مدام آسيا و بعد كده أنتى حرة .. حضرتك هتروحيلها فى بيتها .. هتتكلمى معاها و تحاولى تسأليها و توقعيها بالكلام .. و هى أكيد هتقع بكلمة شماتة كده و لا كده .. حضرتك ساعتها تستغلى الفرصة و تستدرجيها .. و ساعتها ممكن تتكلم أو تقول أى حاجة بسيطة تفيد القضية ..

قالت له بإصرار : لا طبعا .. أنا لا يمكن أكون ممثلة .. ثم إن رانيا مستحيل تنطق قدامى بأى كلمة

حك ذقنه بتفكير و قال : أفتكر يا مدام آسيا .. لما كنا فى النيابة مرة و هى شافت حضرتك .. أفتكر إنها كانت فى غاية الشماتة و ساعتها قالتلك بالحرف " القضية لابساه لابساه " ...

قالت له بتردد : أيوة بس ..

قاطعها قائلا و هو ينهض من مكانه : شوفى يا مدام ، ده الحل الوحيد عشان جوزك يطلع من السجن .. أنا معنديش حل غير كده .. لو حضرتك وافقتى بلغينى .. عشان لازم نروح للنيابة و نطلع إذن للتسجيل .. و إلا من غير إخطار النيابة والإذن ده .. التسجيل مش هيبقى له أى لزمة ... فكرى حضرتك و قوليلى !

شعرت بالخوف يكتنفها بشدة .. مواجهة رانيا ، غريمتها السابقة شئ ليس بالهين على الإطلاق .. رانيا دائما ما كانت تظهر لها الغل و البغض فى كلمات مقتضبة فى المرات القليلة المعدودة على الأصابع التى تقابلوا بها .. فكيف يكون الحال إذا ذهبت لها بقدميها .. تشعر أيضا بالخوف من أن تكشف أمرها .. و إن لم تكشف أمرها .. فستتحدث بطلاقة و تكشف لها أمورا قد لا تطيق آسيا تحملها .. فبعض الصناديق المغلقة لابد أن تظل مغلقة على ما بها .. فالحقائق التى قد تخرج منها يكون معظمها لا يحتمل و لذلك ظلت بداخل الصندوق و لا يجب فتحه .. و لكن على لا يستحق منها أن تخذله .. لقد تأذى كثيرا بسببها .. و بسببها أيضا يجب أن يخرج من سجنه

و أخيرا رفعت بصرها و قالت للمحامى الذى كان يتابعها بترقب و قالت بحسم : و أنا موافقة على أى حاجة تخرج على من سجنه .. قولى بالضبط مطلوب منى أقولها إيه !

******

فى منزل والدها كانت متكئة على الأريكة بغرفة المعيشة تشاهد التلفاز بعينين زائغتين و بيدها اليمنى " ريموت التحكم " تقلب به قنوات التلفاز بشرود و وجوم حين دخلت عليها والدتها التى رمتها بنظرة شفقة و تحسر .. تحسر على حال ابنتها الوحيدة و التى أصبحت أرملة بين يوم و ليلة .. اقتربت منها و جلست بجانبها و لم تشعر رانيا بوجودها أو حتى عندما أخذت من يدها الريموت لتغلق التلفاز .. هزتها والدتها برفق حتى تنتبه لوجودها .. فانتبهت لها و قالت بتساؤل و هى تتفحص العباية السوداء الأنيقة التى ترتديها : هو حضرتك نازلة و لا إيه ؟

أجابتها أمها بإيماءة إيجاب برأسها و قالت بصوت يدل أنها على وشك البكاء : أيوة يا بنتى .. رايحة لأبوكى .. ثم مطت شفتيها و قد هطلت دموعها بغزارة و قالت : وحشنى أوى يا رانيا

رقت رانيا لحال أمها التى أصبحت تحمل من الهموم ما يفوق طاقتها ، و مع ذلك لم تنقطع عن زيارات والدها الحبيب ، لم تقصر يوما فى حقه ، و لم تتخاذل يوما عن زيارته ... اقتربت من والدتها و ألقت بنفسها بين أحضانها و قالت و هى تبكى هى الآخرى و تتمسك بثوب والدتها بشدة : سلميلى عليه يا ماما .. قوليله يسامحنى و يرضى عنى .. قوليله إنى وحشنى أوى

زادت والدتها من ضمها لصدرها و ظلت تمسد شعرها بحنان و تمسح على ظهرها و تتلو فى سرها بعض الآيات القرانية .. و بعد دقائق كثيرة شعرت والدتها أن انتفاضة جسد ابنتها قد هدأت و سكنت .. نظرت لها لتطمئن عليها فوجدت دموعها قد توقفت عن الهطول و قد عادت لشرودها و تأملها للسقف .. أبعدتها عن صدرها برفق و أسندت رأسها على وسادة وثيرة على الأريكة .. قبلتها فى جبهتها بحنان و قالت و هى تكفكف دموعها التى جفت على وجهها : مش هتأخر عليكى يا بنتى .. ظلت فى شرودها و لم تنتبه لرحيل والدتها .. كانت تفكر و تفكر .. تسأل نفسها هل ستستطيع أن تكمل حياتها بعدما حدث .. هل تستطيع أن تنهض من جديد .. بل هل ستستطيع أن تنسى القديم .. القديم الذى أخذ فى طريقه كل شئ حبها و أيامها و عمرها مع زوجها و كرامتها .. أخذ كل شئ .. بل ضحت هى بكل شئ ..كانت تلوم نفسها و بشدة فهى لم تكن يوما شغوفة بالعمل .. ربما لو كانت تعمل منذ

زمن ..منذ أن تخرجت من الجامعة و قبل أن يتم خطبتها ليوسف ، ربما كانت لمست فى العمل شئ جعلها تتمسك به و تحقق كيانها و تثبت ذاتها فيه ... و لكنها ما إن أنهت دراستها بكلية الهندسة حتى التزمت البيت .. كانت تريد أن تهتم بنفسها و تعتنى بها و تدللها بعد تلك الأعوام الشاقة بالتعليم .. لم تلتفت لنصائح والدها بأن عمل المرأة هو سندها .. أهم شئ بالنسبة للمرأة .. عملها هو الذى ستتعكز عليه إذا إنقلبت الحياة عليها فجأة ... كان دائما ما يقول لها " الشغل يا بنتى هو كل حاجة .. هو الى بيحسس الواحد بقيمته و بكيانه .. الشغل بيحسسه بأهمية نفسه و إنه بيحقق حاجة و بيفيد المجتمع " ... كانت دائما تمل من تلك الكلمات .. كانت تتمنى لو يكلمها والدها عن أن أحدهم رآها و أعجب بها و تقدم لخطبتها و لكنه كان يقول دائما و كأنه يعلم ما فى قرارة نفسها وما تتمناه " الجواز و العيال مش هما الدنيا يا رانيا يا بنتى " .. كانت كلماته تلك تضايقها للغاية .. و دائما ما كانت تسأل نفسها : لماذا لا يرغب أبى بتزويجى ؟ .. كانت دائما تتمنى أن تتزوج شخص حنون كوالدها .. و اعتقدت أنها وجدت ضالتها فى " يوسف " .. ذلك الشاب الوسيم الذى قابلته فى شركة والدها حينما أصر عليها أن تنزل و تتدرب على العمل فى شركته .. كانت دائما تنزل بإلحاح منه و على مضض .. و لكنها كانت تمنى نفسها بأنها يمكن تقابل فارس أحلامها هناك .. و قابلته.. و تبادلوا النظرات و الهمسات و كان الإعجاب من الطرفين متبادل .. و أخيرا تم إعلان خطوبتها .. و من ذلك الحين توقفت عن العمل و قد يئس منها والدها و قال لها بنزق و قد فاض به الكيل " أنتى حرة ... بس على الله بكرة متندميش "

و هنا سقطت دمعة حارة على وجنتها اليمنى و لكنها مسحتها سريعا عندما سمعت دقات منتظمة على باب المنزل .. التقطت وشاحها و لفت به رأسها و ذهبت لتفتح ..

ذهلتها المفاجأة ، فارتفع حاجباها دهشة و قالت : أنتى !

قالت لها آسيا بشفاه مرتعشة و هى تشير للداخل : تسمحيلى أدخل يا رانيا

نظرت إليها شزرا و عقدت ذراعيها فوق صدرها و قالت بغل : إيه يا مدام آسيا عاوزة تقتلينى زى ما البيه جوزك قتل جوزى

قالت لها آسيا بتوسل : من فضلك خلينى أدخل .. عاوزة أتكلم معاكى كلام مهم

قالت لها رانيا بتحدى و هى تتفحصها من رأسها لأخمص قدمها شرزا : مفيش كلام بينى و بين واحدة زيك

تغافلت آسيا عن طريقتها الفظة و قالت بنفس النبرة المتوسلة : من فضلك .. خمس دقايق بس

نظرت لها بغل ، و تركتها و دخلت إلى الشقة قائلة بتعال و هى تجلس على الأريكة و تضع ساقا فوق ساق : خمس دقايق بس و بعدها تغورى من هنا و متورينيش وشك تانى

وقفت آسيا أمامها و قد ترددت فى الحديث ، ثم بعد ثوانى حسمت أمرها و قررت الحديث و قالت : أنتى ليه بتعملى معايا كده يا رانيا ؟

نظرت لها رانيا شزرا و قالت بوعيد : و هو أنا لسه عملت حاجة .. ده أنا لسه هعمل فيكى كتير أوى

انهارت آسيا على الكرسى خلفها و قالت بإستعطاف : ليه يا رانيا ... ليه كل الغل الى جواكى من ناحيتى ده .. أنا عملتلك إيه ؟

نظرت لها رانيا بقسوة و قالت بشراسة : أنتى جاية عاوزة إيه بالضبط ؟ ... بتعملى شوية المسكنة بتاعتك دى عليا ليه ؟

أجابتها آسيا ببراءة قائلة : جاية هنا عشان تساعدينى ... ندور على الحقيقة سوا .. تفكرى معايا مين ممكن يكون قتل جوزك

صفقت لها رانيا ثم قالت بسخرية و إستهزاء : برافو عليكى ... بتعرفى تمثلى حلو أوى ... ثم قالت بعينين مخيفتين : بس مش عليا يا روحى ... الى قتل جوزى اتعرف و البوليس مسكه .. ثم تابعت بشماتة قائلة : و كلها شوية و يعدموه

حاولت آسيا أن تكتم دموعها التى أوشكت على الهطول ، فتحت حقيبتها و أخرجت منديل تمسح به قطرات الدمع بعينيها ، ثم قالت بنفس نبرة الإستعطاف : على مش هو الى قتل جوزك صدقينى .. على مكنش يعرف عنوان بيتكم أصلا .. معرفوش غير يوم الحادثة .. صدقينى يا رانيا .. صدقينى و ساعدينى نلاقى القاتل الحقيقى

ردت عليها رانيا بمنتهى القسوة قائلة : أنتى آخر واحدة فى الدنيا ممكن أساعدها

شعرت آسيا أن الإستعطاف لن يجدى معها ، فقالت بنبرة مستفزة : غريبة ! ... مع إنك طول عمرك كنتى بتتمنى أتخطب أو أتجوز عشان تهدى و نار قلبك تبرد !

نهضت رانيا من مكانها و قد استفزتها كلمات آسيا كثيرا فقالت بنبرة تدل على غل دفين : أيوة هو كده فعلا .بس ده كمان زمان و يوسف عايش، لكن دلوقتى مات .. و

زى ما كنت عاوزة جوازك من على يتم عشان مصلحتى ، دلوقتى عاوزة أخرب بيتك برده لمصلحتى ... قبل كده كنت عاوزاكى تغورى من بيت أبوكى و تروحى بيت رجل تانى ... بيت أبوكى الى كان دايما يروحه و يتحجج لى بزيارة عمه و إنه بيوده ... كنت فاكرة إنك لما تبقى على ذمة راجل تانى هينساكى و يبطل يفكر فيكى ... لكن للأسف فضل زى ما هو .. فضل يحبك و يتمنى يبوس التراب الى بتمشى عليه .. و زاد غيرة عليكى و قلبه ولع نار

كانت تتحدث بإنفعال شديد و جسدها ينتفض بشدة .... أما آسيا فقد كانت تسمع كلامها و هى ذاهلة .. لا يمكن .. مستحيل ... هل لهذه الدرجة كان يوسف يحبها ؟ .. لا ... مستحيل

نهضت من مكانها و قالت بإستنكار و قد انعقد حاجبيها بشدة : أنتى كدابة ... يوسف عمره ما حبنى ... يوسف عمره ما حب و لا عشق غيرك ... هو سابنى زمان و اختارك أنتى ... اتجوزك أنتى ... أنتى كنتى مراته ... مراته يا رانيا ... يبقى إزاى بتقولى إنه بيحبنى

ارتمت رانيا على أقرب مقعد و قالت و هى تنظرلآسيا بضعف و قد انهارت مقاومتها عندما تذكرت حالة العذاب التى كانت تحيا بها مع زوجها بسبب تلك الآسيا : ده الى كان ظاهر ليكى و للناس كلها .. بس الحقيقة إنه عاش و مات و هو محبش حد غيرك

ثم قالت بشراسة و قد احتقن وجهها بشدة : كله بسببك ... كل الى حصلنا ده من تحت رأسك أنتى ... منك لله يا شيخة..

نهرتها آسيا بقوة و قالت بصوت أشبه للصراخ : ليه .. لييييه أنا عملتلك إيه ... ذنبى إيه إنه كان مجنون .. ذنبى إيه إنه كان طماع و عاوز يكوش على كل حاجة ..ثم انخفض صوتها قليلا و هى تقول بتعجب و قد أولت رانيا ظهرها : هو كان عاوز كل حاجة .. عاوزك و عاوزنى و عاوز فلوسك و فلوس والدك و شركاته ... ثم التفتت إلى رانيا و قالت بصراخ : أنا ذنبى إيييييييييييييه

اقتربت منها رانيا و أمسكتها من ذراعيها و قالت بهستيريا و قد فقدت السيطرة على نفسها : أنتى سبب كل القرف و القذارة ... سبب كل حاجة زفت أنا مريت بيها .. أفلتت ذراعيها و أشارت عليها بسبابتها و هى مازالت تصرخ و دموعها تهطل بغزارة : أنتى فضلتى واقفة بينى و بينه لآخر نفس فى حياته .. أخدتى منه كل حاجة قلبه و عقله و مشاعره و كل تفكيره ..

مسحت دموعها بباطن يدها بسرعة حتى تستطيع رؤية آسيا بوضوح .. تريد أن تشعرها كم تسببت فى خراب بيتها و ترى تأثير قسوة كلماتها عليه .. تابعت قائلة بنفس النبرة الحاقدة : خدتى كل حاجة ببلاش .. و أنا .. أنا و لا حاجة .. ثم خفضت بصرها و قالت بحزن كبير : حتى جسمه كان بيستخسره فيا .. مكنش بيقرب منى غير كل فين و فين ... رفعت بصرها إليها و قالت بأسف على حال نفسها : جوزى لما كان بيقربلى كان بيغتصبنى ! ... عارفة ليه ؟

أشاحت آسيا بوجهها و هى تكتم شهقاتها بيدها .. و لكن رانيا اقتربت منها و لتصبح فى مواجهتها و تابعت قائلة بصراخ : كان بيغتصبنى عشان أكره قربه ليا ... عشان مطالبوش بحقى كتير و أزهق و أمل .. لما كان بيبقى معايا كان بيبقى عاوز يثبت لنفسه إنه راجل ... كان دايما حاسس بنقص لأنك سيبتيه ... و كان بيحاول يعوض النقص ده فيا أنا ...

لاإراديا امتدت يدها تتحسس بطنها و قالت بهمس: حتى إبنى فقدته بسببك .. يوم ما عرف موضوع جوازك استقوى عليا و بهدلنى .. فضل يضربنى لحد ما نزفت و سقطت ...

صرخت آسيا بضعف و هى تصم أذنيها بيديها حتى لا تسمع المزيد قائلة بإشمئزاز : بس .. بس كفاية .. مش قادرة أسمع .. كفاية حرام

اقتربت منها و نزعت يديها بعنف و صرخت فى وجهها قائلة بعينين أصبحتا مثل كؤوس ممتلئة بالدماء : كان بيغتصبنى كل ليلة ... و أنتى مش قادرة تستحملي ليوم واحد .. ثم اقتربت من أذنيها و قالت بصوت أشبه للفحيح : يوم واحد يغتصبك فيه يا آسيا ... يوم فرحك يا عروسة

اهتز جسد آسيا بعنف و شعرت بإرتفاع درجة حرارة جسدها حد الغليان و أكثر .. اتسعت حدقتا عينيها بدرجة عنيفة و قد شعرت أنهما سيتركاها و يخرجا من مقلتيها ... قالت بإرتعاش و نبرة تملؤها الخوف : مش ممكن .. مش معقول ابن عمى يعمل كده فيا .. مش ممكن الحب يتحول لكده ... لا لا

فرحت رانيا كثيرا لرؤيتها فى تلك الحالة فأرادت أن تلهب الجرح أكثر و قالت بنفس النبرة الملتوية :و مكنش هو لوحده ، صاحب جوزك هو الى سهله دخول الفيلا عشان يعمل عملته .. عمرو صاحب جوزك هو الى عملها لأنه كان شغال عند يوسف .. و كان واعده بشقة فى الشيخ زايد تتكتب بإسمه لما العملية تتم على خير

كادت تفقد الوعى و شعرت بالدوار يلفها فلم تستطع الوقوف أكثر .. تهاوت على أقرب مقعد طالته عينيها .. كادت تستسلم لأوجاع جسدها الذى أصبحت تمقته الآن لأنه يوما ما لوث بلمسات ذلك الحقير يوسف ... كادت تستسلم لرغبتها فى الصراخ بأعلى صوت حتى تفقد صوتها .... كادت تستسلم لرغبتها فى الإنتحار و طعن نفسها بسكين .. و لكنها شعرت أن شئ ما يصرخ بداخلها ... يمنعها من إرتكاب أية حماقة .. يمنعها أن تكون سببا فى فقدان حريته للأبد ...

تذكرت الهدف الذى بسببه جاءت إلى هنا اليوم .. تذكرت وجه على الشاحب حين رآته فى آخر مرة زارته بها .. و من بعدها رفض رؤيتها .. هى أو غيرها .. تذكرت أنه هو الوحيد الذى ظلم .. ظلم بين .. ظلم لا يستحقه أبدا .. هو ظلم منهم جميعا .. ظلم من علاقاتها السابقة .. ظلم مرة من نادر .. ظلم من حبيبها السابق و ابن عمها .. ظلم من أعز أصدقائه بل من صديقه الوحيد .. و من أجله ستتحامل على نفسها..ستفعل ما بوسعها حتى تخرجه من السجن .. هى تعلم أن قصة حبهما على وشك الإنتهاء .. بل هى انتهت بالفعل .. و لكنه لا يستحق أبدا أن يقضى بقية عمره مسجونا و معاقبا على شئ لم يفعله ... لقد خسرته و هناك خسارات كبيرة إلى حد لا خسارة بعدها تستحق الحزن ... هى خسرت و لكنها لن تسمح له بأن يخسر نفسه ... لن تسمح لحسرتها على ما فعله يوسف بها أن تجعلها تتضحى به...

مسحت آسيا دموعها و قالت دون أن تنظر لها : و أنتى عرفتى كل ده منين ؟ .. هى كانت فكرتك ؟

ارتمت على أقرب مقعد و قالت بقهر : طبعا لا .. تخيلى إنه ليلتها كان طالب منى إننا نبدأ صفحة جديدة .. قالى لازم ننسى كل الى فات و نبص للى جاى .. عشان نعوض ابننا ..

ابتسمت بجانب فمها بسخرية على نفسها و على سذاجتها وقتها و قالت و هى تضيق عينيها و تتذكر ليلتها : ليلتها على غير عادته دخل المطبخ و حضرلى العشاء بنفسه .. شربنى العصير بإيديه و صمم أخلصه للآخر و بعدها دخلنا مع بعض الأوضة و كان فى منتهى الرقة معايا .. و بعدها رحت فى النوم .. فضلت نايمة على ودانى طول الفترة دى كلها .. كل الوقت ده و أنا كنت فاكرة إنه تغير عشان ابنه الى مات أو حتى عشان أخوه الى كان بيتمناه من ربنا كل ليلة .. أتارى كل ده تمثيل فى تمثيل .. الحقير بعد ما كان نايم فى حضنى .. سابنى بكل جبروت و مشى .. راح عشان يقضى معاكى ليلة فرحك بدل عربسك !

اتسعت عينا رانيا و هى تردف قائلة : مفقتش من الغيبوبة دى غير لما سمعته من ورا باب الشقة بيتخانق مع حد .. سمعت كل حاجة .. وقتها اتسمرت مكانى و سمعت صاحب جوزك بيزعق فيه و بيقوله " أنت دمرتنى .. أنت أخدت كل الى أنت عاوزه و ضحكت عليا .. ضيعت منى أغلى إنسانة عندى فى الدنيا .. و كل ده بعد ما نفذتلك الى أنت عاوزه .. أنا خنت صاحب عمرى عشان الشقة الى وعدتنى بيها يا وسخ .. عملت الى عمرى ما كنت أتوقع إنى أعمله .. دخلتك بيته يوم فرحه و أنا متوقع منك الغدر و الشر لكن سكت .. غميت عينيا و سديت ودانى .. و عشان كده يا يوسف أنت مش لازم نعيش ثانية واحدة بعد كده .. لازم تموت علشان كلنا نرتاح "

.. أردفت رانيا قائلة بحقد : وقتها سمعت صوت يوسف و هو بيتوجع .. فتوقعت إنه ممكن يكون إتقتل .. و مستنتش دخلت الشقة علطول .. و مكنتش باصة غيرعلى يوسف و هو غرقان فى دمه ..

فلاش باك

دلفت رانيا إلى الشقة بسرعة فور سماعها صراخ يوسف من الألم فى حين جرى عمر ليختبىء بالمرحاض و لم تهتم له .. تقدمت من يوسف الذى كان يتلوى من الألم ثم سقط أرضا .. انحنت تجلس أمامه على الأرض و قالت و هى تنظر له بذهول : يوسف .. الكلام الى أنا سمعته ده صحيح .. أنت روحت لآسيا يوم فرحها و دخلت بيتها !

رد عليها بضعف و هو يشير ناحية المرحاض : رانيا .. الحقى المجرم ده ..الحقيه بسرعة قبل ما يهرب و اطلبى الإسعاف

أمسكت به من ياقة قميصه و صرخت به و قالت : رد عليا و كلمنى .. أنت رحت لآسيا يوم فرحها ليه يا يوسف !!!!

رمش بعينيه بضعف و قال : رحتلها عشان أخد حقى منها .. عشان أخد حق إبنى الى مات بسببها .. عشان أعرفها إنى أرجل من الكلب الى اتجوزته و مقدرش يحميها .. عشان أعمل معاها الى كانت عاوزاه من جوزها و فى المكان الى هى اختارته بلسانها يومها .. أنا شربتك العصير يومها و كان فى منوم .. دخلت معاكى الأوضة و أوهمتك إن الليلة هتكون غير أى ليلة .. بس ملمستكيش .. كنت عاوز أروح لآسيا و أنا ...

كانت دموعها تنهمر بغزارة و هى تسمع كلامه القذر فصرخت به قائلة : إخرس .. أخرس مش عاوز أسمع صوتك .. أنت أحقر إنسان أنا عرفته فى حياتى .. كنت بتضحك عليا يومها و بتخدعنى .. كنت بتطلب منى نبدأ صفحة جديدة و أنت فى نيتك تروح تقضى ليلتك معاها .. بنت عمك يا حيوان !! ..

قال لها لصوت مبحوح و قد خذلته يده التى تكتم جرح بطنه و سقطت بضعف : رانيا مفيش وقت للكلام .. إطلبيلى الإسعاف و أنا هعوضك يا رانيا

... التفتت لآسيا و أكملت قائلة و قد سالت دموعها مرة آخرى بغزارة : مكنتش عارفة أعمل إيه و لا أتصرف إزاى .. لقيت باب الحمام بيتفتح و الى إسمه عمر ده بيخرج منه .. وقتها لقيت نفسى بقوم من جمبه و بمسح دموعى .. لقيته مهربش و جاى عليا .. و أنا كمان قربت منه .. ووقفنا قدام بعض .. كان عمال يبصلى و يبص ليوسف .. و أنا كمان فضلت أبصلهم الإتنين .. لقيته بيدينى المطوة الى معاه و بيهزلى رأسه زى ما يكون فاهم أنا عاوزة أعمل إيه .. و بعدها لقيته ماشى و رايح ناحية باب الشقة .. و أنا واقفة مكانى و مدياله ظهرى لقيتنى بنادى عليه و بطلب منه رقم تلفون جوزك .. و فضلت زى ما أنا مكانى ما اتحركتش .. سمعت ورقة بتتقطع و بعدها باب الشقة بيتقفل .. لفيت و لقيت ورقة مكتوب عليها الرقم .. بس لقيت يوسف بينادى عليا و بيحاول يسند على أى حاجة عشان يوصل للتلفون .. وقعت الورقة من إيدى و جريت عليه .. بصتله و قولتله

فلاش باك

انحنت تجلس أمامه مرة آخرى ، نظرت إليه و قالت بعتاب و كأن الجنون قد أصابها : كده برده يا يوسف .. أنت يا حبيبى تعمل فيا كده .. طب ليه يا حبيبى ؟ ... هى كان فيها إيه زيادة عنى .. خططت لكل ده عشان تقضى معاها ليلة واحدة ! .. و أنا ! .. كنت بتوسل ليك تدينى حقى ..

تحسست صدره بيديها ثم ألقت رأسها عليه و قالت : بحبك يا يوسف .. و مصدقاك يا حبيبى .. أنت أكيد عملت كده بدافع الإنتقام صح يا حبيبى ؟

نظرإليها بعينين زائغتين وقال بأنفاس متهدجة : ده الى كنت واهم نفسى بيه .. بس أنا عملت كده بدافع الحب .. آسيا .. هى حب عمرى كله .. آسيا .. لا يمكن تكون لغيرى .. بحبها

رفعت رأسها من على صدره و نظرت إليه بشراسة .. نظرت إلى المدية بيدها ثم نظرت إليه و رأته قد فقد الوعى و لكن مازالت أنفاسه تلفح وجهها .. قبلت جبينه و قالت برقة : بحبك يا يوسف !

كانت يديها تتحسس عنقها و هى تقول بشفاه مرتعشة : دبيت السكينة فى قلبه .. و بعدها أخدته فى صدرى .. حضنته أوى و بكيت .. قولتله كل سنة و إحنا مع بعض عشان إنهاردة عيد جوازنا .. أخدت إيده و حطيتها على بطنى و قولتله إنى حامل يا آسيا .. قولتله حلمنا هيتحقق يا يوسف ثم تحولت نبرتها إلى الحقد و هى تتابع : قمت بعدها من جمبه و أخدت السكينة غسلتها كويس و خبتها فى شنطة إيدى .. طلعت من الدولاب شريحة تلفون قديمة مبستعملهاش و ركبتها فى تلفونى .. شغلت برنامج تغيير الصوت و اتصلت بجوزك .. قولتله الى سبق أكل النبأ .. قولتله مراتك خلاص إنتهت صلاحيتها قبل ما تلمسها .. قولتله إبن عمها إغتصبها ليلة فرحكم .. بعدها قفلت علطول .. أخدت شنطتى و خرجت من الشقة و سبت الباب مفتوح .. نزلت الشارع و فضلت مستنية جوزك فى عربيتى .. بعدها بساعة لقيت واحد بيخرج من عربيته زى المجنون و سابها مفتوحة و طلع يجرى على السلالم .. استنيت ربع ساعة و بعد كده طلعت .. لقيته ماسك فيه و بيضربه .. فضلت أصرخ لحد ما الجيران طلعوا من شققهم و البوليس جه و قبض على جوزك

نكست آسيا رأسها و أحاطتها بكفيها و قد شعرت أنها تتمنى لو تفقد وعيها الآن بعدما سمعت كل تلك الإعترافات .. ثم بعد ذلك التقطت حقيبتها و نهضت من مكانها بخطوات متثاقلة و ساقين يرتعشان بقوة .. اقتربت من رانيا و انحنت أرضا تجلس أمامها .. نظرت لها رانيا بضعف من وسط دموعها فضمتها آسيا لصدرها .. ربتت على ظهرها بحنان و أطلقت العنان لدموعها الحارقة .. ارتعش جسدها بقوة و قالت بأسف و هى تعض على شفتيها بقوة : سامحينى يا رانيا .. أرجوكى تسامحينى

****

و خلال شهر

" حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم « على خليل العوضى » ، و على المتهمة « رانيا محمود الراوى " بتحويل أوراقها إلى فضيلة المفتى ... رفعت الجلسة ".

يوليو ٢٠١٨

فى حى مصر الجديدة / الساعة الواحدة ظهرا

انتهت من حزم أمتعتها إستعدادا للرحيل .. أغلقت آخر حقيبة من حقائبها و وضعتها جانبا مع بقية الحقائب الخاصة بها ... التفتت إلى باب الغرفة و قد سمعت دقات منتظمة عليه .. أذنت للطارق بالدخول و قد كانت رغدة ... دلفت رغدة إلى الغرفة و قالت بتساؤل و هى تجلس بجوار آسيا على فراشها : خلصتى ترتيب شنطك يا آسيا ؟... حطيتى كل حاجة ؟

لم تجبها آسيا و اكتفت بهزة من رأسها .. لاحظت رغدة شرودها و بالتأكيد هى تعرف السبب .. اقتربت منها أكثر و حاوطتها بذراعيها و قالت بنبرة حاولت أن تضفى لها بعد المرح : بقولك إيه يا أوسة إيه رأيك نقوم نخرج شوية ... حركت وجه أختها برفق لتنظر لها فلمحت الحزن بعينيها فقالت بنفس النبرة علها تستطيع أن تخرجها من تلك الحالة : تعالى نروح نقعد فى كافيه على النيل .. ندردش شوية .. و نودع النيل قبل ما نسافر .. قبلتها من وجنتها برقة ثم قالت بتوسل و هى تضع يدها على صدرها : علشان خاطرى وافقى .. علشان خاطرى

ربتت آسيا على كتف أختها بحنان و هى تعلم مقصدها جيدا ...ثم أشاحت بوجهها و قالت بجمود و عينين زائغتين : أنا خارجة دلوقتى فعلا ... بس عاوزة أخرج لوحدى

نكست رغدة وجهها بحزن .. فرفعته آسيا برفق و قالت برجاء و هى تمسك بذقن أختها : أرجوكى ماتضايقيش .. بس أنا عاوزة فعلا أكون لوحدى ...بكرة لما نسافر سوا هنشبع من بعض و نتكلم زى ما أنتى عاوزة .. أوشكت رغدة على الحديث و لكن آسيا قاطعتها قائلة بحزم : بس مش هنتكلم فى أى حاجة تخص الماضى أو الى حصل

فى الساعة الرابعة عصرا بحى الزمالك بشارع أبو الفدا .. بمطعم كبير يتميز ببقعته المميزة و المطلة على صفحة النيل حيث تنساب مياهه المترقرقة التى تنعكس عليها أشعة القرص الذهبى و من ثم تنعكس لمعتهما سويا بعينيها الخضراوتين فتزيد من جمال لونهما و قد اكتسب لمعانا رائعا ...

كان المطعم يتميز بمساحته الكبيرة ، و بتصميمه الهندسى الرائع .. كان مقسم إلى قسم مغلق يفصله حائط زجاجى عن القسم الآخر الذى هو عبارة عن تراس خارجى مطل على النيل مباشرة ...

فور دخولها إلى " ليفت بانك " و هو ذلك المطعم الرائع ... استقبلها أحد العاملين هناك بحفاوة ..طلبت منه الجلوس على طاولة خارجية تطل على النيل مباشرة .. كانت تريد أن تكون فى مواجهة مياهه مباشرة و حتى تنعم ببعض الخصوصية التى لا يتيحها القسم المغلق حيث الطاولات المتقاربة .. بعدما جلست أمام النيل كما طلبت ، وضعت حقيبتها البيضاء ماركة " شانيل "، و التى اختارتها لتتماشى مع حذائها المفتوح " السابو " الأبيض ذو الكعب العالى ،وضعت حقيبتها على المقعد الخالى بجوارها ... طلبت من النادل بإبتسامة صغيرة و نبرة هادئة أن يحضر لها كوب من عصير الليمون المثلج ..

بعد دقائق كانت ترتشف من كوب العصير بهدوء و هى تستمتع بهواء النيل المنعش يداعب وجنتيها بلطف .. يتسبب بتطاير حجابها الحريرى على وجهها فتزيحه برقة ...و ذيل فستانها الفيروزى المنقوش بورود صغيرة بيضاء فكانت تتمسك به على إستحياء ..

فتحت حقيبتها الصغيرة و أخرجت منها دفتر للكتابة ذو لون وردى .. تخطت جميع صفحاته بسرعة حتى وصلت لآخره ... وجدت أنها قد ملات جميع صفحاته بكتاباتها .. لم يتبقى سوى ثلاث ورقات فقط .. حسنا لا يهم .. فى النهاية لقد وصلت لآخر قصتى .. و لن أحتاج المزيد من الورق .. التقطت من حقيبتها قلمها الأسود و الذى كان رفيقها الدائم بالكتابة .. لتخط فى بداية إحدى الثلاث صفحات الباقية ...

" أشعر بحزن شديد ينتابنى و أنا أخط الآن تلك الكلمات .. رغم إنقشاع الظلام .. رغم ظهور الحقيقة و خروج حبيبى " على " من أزمته ... إلا أننى لا أستطيع أن أسعد بذلك .. لا أستطيع أن أبتسم حتى .. لا أستطيع أن أظهر إلا إبتسامات للمجاملة .. لا تلك الإبتسامة التى يعشقها هو ..

.. حبيبى على ... لقد مر على خروجك من السجن شهر و عشرة أيام ... نعم أحسبهم بالدقيقة ... لا أتخيل أننا طيلة هذه الأيام لم نتقابل و لم نتحدث .. لا أصدق أننى لم أكن بجوارك يوم تلقيت الحكم بالبراءة .. و لكن صدقنى لم أقدر رغم أنى كنت أتمنى .. لم أستطع أن أراك أو أن أجعلك ترانى ... كنت خجلى منك للغاية .. تعذبت بسببى كثيرا يا حبيبى .. كنت أريدك أن تفكر بهدوء .. أن تتخذ قراراتك التى ستحدد مصيرنا دون أية ضغوط منى ...

لم أكن أتوقع أن تكون أولى قراراتك أن تبتعد عنى .. لم تهاتفنى مرة .. لم تحاول مقابلتى .. اخترت البعد يا حبيبى و لا ألومك ... فهذا حقك ...

... أصبحت أكره نفسى بشدة ... لقد تسببت علاقتك بى بتدمير حياتك ... سلبك حبنا إشراقك الدائم ، ضحكتك المجلجلة ، إبتسامتك الصافية ، تقطيبة جبينك التى أعشقها حين تتقمص دور المدير الغاضب ، اشتقت حتى لفظاظتك الأولى التى كنت تعاملنى بها حين التحقت بالعمل فى شركتك

آه يا على ... ليتك ظللت تعاملنى بتلك الفظاظة .. ليتك لم تسند لى مهمة العمل مع نادر .. ليتنى لم أقع فى حبك .. ربما لو لم يحدث ذلك لكنت الآن تعيش حياتك الهادئة

.. على

غدا سأرحل عن البلاد .. سأرحل عن بلدى التى لم أعرف سواها .. سأرحل عن طفولتى و حياتى التى قضيتها هنا .. أشعر و كأنى شجرة أصبحت عجوز فعليهم أن يقتلعوها من جذورها .. شئ قاسى جدا و بشع أن تشعر أنه يتم اقتلاعك من بلدك و حياتك و حبك و ذكرياتك و لا تستطيع الإعتراض ..

لكن ليس لدى حلول آخرى .. سأسافر غدا مع رغدة إلى دبى .. و هناك سيقابلنا خالد زوجها و يأخذنا إلى بيته هناك .. سأحاول أن أتعايش معهم .. سأحاول أن أتأقلم على الحياة هناك .. سأحاول أن أتعلم من حبهما كيف يكون الحب الهادئ ... سأتمنى فى قرارة نفسى لى و لك أن نستطيع تكوين أسرة صغيرة مثلهما ..

على ... حبنا كان كالنيران الملتهبة .. حبنا كان قاس بشدة .. لم أكن أعلم أنه سيتحول من همسات حب و عشق و رومانسية .. إلى قتل و ظلم و إغتصاب ..

مر وقت طويل على مواجهتى لرانيا و مازالت أذكر .. مازالت أذكر كل كلمة صرخت بها فى وجهى .. مازالت أتذكر كل إعتراف ذبحتنى به .. مازلت أذكر إرتجافة جسدى يومها وقت سردت لى تفاصيل قتلها ليوسف .. مازالت أشعر بحرارة جسدى الذى ارتفعت بشدة وقتها .. مازلت أتذكر ملوحة دموعى و هى تنساب داخل تجويف فمى ليتذوقها لسانى ..

أنا أمقت الحب ... أمقت الحب الذى يظلم .. الحب الذى يدفع الإنسان إلى الجنون ... الحب ظالم .. الحب .. لم أعد أريد الحب .. لن أطمح إليه .. مرة آخرى .. سأتزوج زواجا تقليديا للغاية يا على .. من رجل يكفينى فقط أن أعرف طباعه و كفى .. لن أتوسله حبا و لن أذوب فيه عشقا ..

لأن العشق كان لك وحدك يا حبيبى .. و لن يكون لغيرك مهما حاولت .. ستظل أنت بالنسبة لى الحبيب الأول و الأخير .. و من يدرى ؟ .. ربما تصبح قصتنا تلك

رواية يكتبها أبى .. وقتها ستكون البطل و معشوق الفتيات اللاتى سيقرأن الرواية .. بالتأكيد سيقعن فى حبك .. مثلما كنت أقع أنا فى حب أبطال الروايات .. حتى قابلتك لتصبح أنت بطل حياتى و قلبى الوحيد..

و لكن صدقنى يا على .. مهما أحبتك إحداهن .. فلن يتعشقك مثلى .. لا تنتظر من إحداهن حبا كحب " آسيا اللامى " لك ..

أنا أفضل منهن بكثير و أسعدهن حظا بالتأكيد لأننى الوحيدة التى عرفتك و تقربت منك و تلمست أوتار قلبك ثم تربعت على عرشه .. أنا الوحيدة التى عرفت أن وسامتك و جاذبيتك لم تكن نابعة فقط من تفاصيل و قسمات وجهك الذى أعشقه .. بل نابعة من شهامتك و نبلك و كرم أخلاقك ..

ستظل أنت فى قلبى مهما حاولت النسيان

و ستظل أنت و أنا حالة خاصة ليس لها مثيل .. و لكن لن نخرج عن إطار كلمات و حروف و .... و قصة و رواية على ورق فى درج مكتب أبى ... لأن تلك الرواية ستظل حبيسة ذلك الدفتر الوردى و من بعد أن أسلمها لأبى .. ستصبح حبيسة أدراج مكتبه ...

ومن يعلم ...ربما فى يوم من الأيام تخرج للنور ... و لكن ليس للقراء من الشباب و البنات العاديين .. بل لأحفادنا ... و لكن لا أعلم هل وقتها سيكونوا حاملى لدمائى و لدمائك فى شرايينهم ... أم فقط حاملين لحبنا الذى سيرثوه فى دمائهم دون أن يدروا

معذبتك آسيا

بعد مرور عشر سنوات

مركز القاهرة الدولى للمؤتمرات بمدينة نصر

كانت القاعة ممتلئة عن آخرها بالحاضرين ... أعلام فى الأدب ، كتاب ، كاتبات ، صحفيون من صحف قومية و مستقلة ... كانت القاعة مجهزة بشاشة عرض كبيرة سوف تعرض عليها المادة المطروحة. للمناقشة فى ذلك اليوم .. القاعة تعج أيضا بالمصورين و المخرجين و الإعلاميين الذين حضروا لتصوير الحفل و تغطيته و بثه مباشرة على القنوات الفضائية .. كانت المنصة مجهزة بطاولة طاويلة وضع خلفها ثلاثة مقاعد فقط .. المقعد الخارجى لكاتب مشهور لم يصل بعد .. و المقعد فى المنتصف لنجمة الحفل اليوم و التى ينتظرها الحضور بشغف .. أما المقعد الثالث فقد كان لصاحب دار النشر المعروفة " القلم حياة " !

تفاجأ الحضور بتهدئة الإضاءة من حولهم ... و اعتلاء المنبر ، الذى يوجد على المنصة و يبعد بمسافة عن الطاولة الطويلة ، سيدة فى الثلاثينات ترتدى بدلة سوداء رسمية أنيقة تبرز رشاقة جسدها ... وقفت وراء المنبر ثم قالت بصوت رخيم بعد أن أمسكت بالميكروفون

"سيداتى و سادتى ... الحضور الكريم .. أود أن أرحب بكم اليوم هنا فى قاعة المؤتمرات العظيمة ... أود أن أشكر كل شخص منكم اقتطع من وقته و أتى إلى هنا اليوم ليحضر حفلنا الليلة .. حفل توقيع رواية " ظلمنى الحب " ... من فضلكم رحبوا معى بضيوف المؤتمر الكرام "

أشارت بيدها ناحية الثلاث الضيوف الذين حضروا أثناء إلقاءها لكلمة الإفتتاحية و التزموا مقاعدهم بهدوء ... قالت بصوتها الرخيم و قد ظهرت فيه نبرة إعجاب و تقدير كبيرة لهم ، أطلت من عينيها أيضا ... " من فضلكم رحبوا معى بالكاتب الكبير «عزت اللامى » ... و علا تصفيق الحضور ترحيبا به ... تابعت قائلة " و بالأستاذ القدير « مختار جميل » صاحب دار النشر الكبيرة « القلم حياة » .. و حيى تصفيق جمهوره بهزة رأس متواضعة و إبتسامة جذلة .... صمتت قليلا ثم قالت بإبتسامة واسعة " و الآن صفقوا معى لنجمة حفلنا الليلة ، الكاتبة المبدعة التى أطلت علينا منذ فترة وجيزة برائعتها " ظلمنى الحب " .... من فضلكم صفقوا معى للكاتبة المبدعة ، إبنة هذا الرجل المتواضع " آسيا عزت اللامى " ....

نهضت من مكانها وسط تصفيق هائل من الحضور الذين انبهروا بجمالها الأخاذ ، بمشيتها الواثقة و قوامها الممشوق الذى يظهره بفتنة فستان أسود أنيق وبسيط للغاية ، ما كان يميز فستانها هو قسميه .. فستان طويل ضيق باللون الأسود يلف جسدها

بنعومة و ذو أكمام بيضاء تتداخل بها نقوش سوداء على شكل فروع أغصان طويلة أعطاها هالة كالفراشة الرقيقة ... وقفت وراء المنبر و قالت بثقة و صوت رخيم و هى تتجول ببصرها بين الحضور دون خجل أو خوف

" بسم الله الرحمن الرحيم ... أولا أنا عاوزة أرحب بيكم و بحضوركم الكريم الى هو شرف ليا كبير أوى .... اتجهت ببصرها ناحية الرجلين القديرين اللذان كانت تتوسطهما منذ دقيقة و تابعت و هى تشير نحوهما ... عاوزة أرحب بأهم إتنين عندى فى الدنيا ... أبويا و أبويا الروحى ... عاوزة أوجهلهم الشكر لأن بسببهم أنا واقفة بينكم انهاردة و شايفة الحب ده فى عنيكم ليا ... حابة أشكر دار النشر الى اتبنت موهبتى و ساعدتنى أظهرها للنور ... حابة أشكر كل حد اشترى الرواية و قرأها و حس بيها و جه النهاردة .... بجد وقوفى انهاردة هنا بينكم ده شئ كبير أوى بالنسبة لى و تاج على رأسى "

انتشت بسعادة و هى تسمع التصفيق الحاد و الصفير العالى الذى يدوى فى القاعة ... لمعت عينيها بفرحة ... و قالت و هى تمسك بالميكروفون مرة آخرى " أشكركم ... التقطت أنفاسها و قالت بجدية ...الحقيقة أنا عمرى ما فكرت فى يوم إنى أكتب ... عمرى ما فكرت إن ممكن يكون عندى الموهبة ... كنت بقرأ روايات بابا و بس ...و روايات كتاب تانيين طبعا ... روايتى الى بقت بين أيديكم دى كانت فى يوم من الأيام مجرد خواطر ... خواطر بتجينى فى لحظات معينة ... كنت بدونها و بس ... و عمرى ما فكرت أنشرها ... خواطر عن الحب الى كنت بتمنى أعيشه زيى زى أى بنت ...

الحب ... دمعت عيناها رغما عنها عندما نطق لسانها بتلك الكلمة ... و لكنها تابعت بقوة قائلة .. الحقيقة أنا مش شاطرة أوى فى إلقاء الخطب و مش عايزة أطول أو أتفلسف فى وجود كبار الكتاب والمثقفين ... أنا بس عاوزة أعلق تعليق صغير

... أول حاجة عاوزة أقولها إنهاردة إنى مكتبتش بغرض الكتابة نفسها ..لا .. أنا حبيت أتكلم معاكم عن تجربتى مع الحب الى عشتها فى يوم من الأيام ، مش بس مرة ، لا مرتين ... انهاردة أنا عاوزة أكلمكم عن الحب .. الحب مش بس مشاعر حلوة بنحس بيها تجاه الى بنحبه .. لا .. الحب ده عهد !

عهد بتاخده على نفسك يوم ما ترتبط بحد و لازم تلتزم بيه .. لأن مفيش أسهل من إنك تحب حد ، و تتوتر و قلبك يدق بسرعة ، وشك يحمر لما تشوف الى بتحبه ..مفيش أحلى و لا أجمل و لا أسهل من البدايات .. البدايات الى فيها بتشوف كل حاجة جميلة ، كل تصرف من شريكك رائع و مبهر و مفيش فيه أى عيوب ....

لكن الصعب إنك تفضل جمبه مهما حصل ، مهما جت عليكم الدنيا .. عمرك ما تزهق و لا تمل منه مع الوقت ، تصدقه و تفضل جمبه و تآمن بيه ... عمرك ما تشك فيه و لا فى حبه ليك ، يكون عندك دايماستعداد تتعب عشانه و تضحى و عمرك ما تفكر إنك تظلمه أو تسيبه لوحده فى أكتر وقت يكون محتاجلك فيه .. عمرك ما تخليه يبص لنفسه فى المراية و يحس بسببك إن فيه حاجة ناقصة .. عمرك ما هتخليه يظلم نفسه أو يظلمك ....

صمتت لحظات عن الحديث لتمسح بعض قطرات الدمع التى إنسابت على وجنتيها و قد انفعلت بشدة أثناء إلقائها للكلمات الأخيرة ...و أخيرا رفعت وجهها و قالت للحضور بإبتسامة جميلة أطلت بين دموعها : صدقونى حتى الإنسان بيظلم نفسه لما بيسمح لحد يظلمه .

قالتها و تركت المنبر و اتجهت نحو والدها الذى ترك مقعده و نهض ليتلقفها فى أحضانه و يمسح على ظهرها بحنان و قد أدرك تأثير كلماتها الأخيرة على نفسها ... دمعت عيناه هو الآخر و هو يحتضنها ... و شعر بفخره بها بشدة عندما رأى جميع الحاضرين قد نهضوا من أماكنهم ووقفوا لتحيتهما و قد علا تصفيقهم بشدة و أصبح يرج جدران المبنى من حولهم ... يرجه بمشاعرهم التى خرجت لتعبر عن حالتهم تجاه ذلك الأب العظيم و ابنته الكاتبة !.

أوشكت على النزول من المنصة حين لمحته يدلف من باب القاعة و يتجه صوبها ... تركت حضن والدها سريعا و اتجهت مرة آخرى للمنبر و قالت برجاء : من فضلكم ... أرجوكم اسمعونى لآخر مرة ... أنا زى ما قلتلكم إنى عمرى ما فكرت أكتب ... نسيت أقولكم مين الى كان سبب فى إن روايتى تخرج للنور ... ابتسمت له بحب حين رأته يقف فى المنتصف بين صفوف الحضور عن اليمين و الشمال و قد عقد ذراعيه فوق صدره و هو يرميها بنظرات الفخر و الإعجاب .... أشارت عليه بيمناها و قالت بفخر : الفضل فى نشر روايتى الى بين إيديكم دلوقتى يرجع لجوزى الكابتن « يس مختار جميل »!

******

مش كل الى بنحبهم هيكونوا لينا

و لا كل الى بنحبهم لايقين علينا

ممكن نلاقى اللى ياما حلمنا بيهم

و يلاقونا ما نلاقيش الحب فيهم

و ساعات بنشوف الحب و هو ميشوفناش

وساعات يقابلنا الحب و يمشى و ما عرفناش

و ساعات بيجينا الحب و يمشى كأنو ماجاش

و كتير بيسيبنا الحب و جرحو مبيسبناش

مش كل الى راح مننا سبناه بإيدينا

ما جايز يكون حلمنا محلمش بينا

ممكن يلاقى فينا فعلا كل حاجة

و أى حاجة و ما يلاقيش الحب فينا

!!!!

تمت بحمد الله